

# العذراء والشعر الأبيض

منتديات المكتبة العربية

[www.Tipsclub.net](http://www.Tipsclub.net)

*Amly*

حسان عبد القدوس

# العذراء والشعر الأبيض



دار المغارف

## ❦ أصحاب السوابق ❦

دخل الأستاذ أحمد عبد اللطيف مكتب الوزير وانتفض السكرتير يستقبله في احترام مبالغ فيه ، وقال الأستاذ أحمد في هدوء :

- هل أستطيع أن أرى سيادة الوزير ؟

وقال السكرتير في رعشة :

- طبعاً يا أفندم .. طبعاً .. ثانية واحدة ..

وما كاد السكرتير يدبر ظهره حتى لوى شفتيه في قرف وأطلق زفرة من صدره كأنه يستغيث بالله ، وفتح الباب ودخل إلى الوزير وقال كأنه يبلغه بأنباء نكبة :

- الأستاذ أحمد عبد اللطيف هنا ..

ورفع الوزير حاجبيه في دهشة وقال :

- ماذا يريد ؟

- يريد أن يدخل ..

- ألم يسبق أن طلب تحديد موعد ؟

- لا ..

وأطلق الوزير أنفاس الضيق ، وعاد السكرتير يقول :

- هل أقول إن سيادتكم في اجتماع وأحدد له موعداً في الساعة الثانية ..

- أى شيء يا أحمد .. أى شيء .. اطلب ..

وقال أحمد كأنه يسخر من فرحة الوزير :

- إنك تعلم أى لم أطلب أبداً شيئاً منكم ..

وقاطعه الوزير :

- ولكننا ليست غلطة أحد فأنت الذى كنت ترفض كل ما يعرض عليك ..

كان يمكن أن تكون الآن وزيراً ..

وضحك أحمد قائلاً :

- ربما لأنى أنه منك .. فإن كل وزير يصبح بعد قليل وزيراً سابقاً ..

وأنا أكره أن أحمل لقب « سابق » إنه أقرب إلى لقب « المرحوم » .. هل تذكر

أخانا مختار رفعت .. إنه وزير سابق ورئيس وزراء سابق ، وهو أيضاً رئيس

مجلس إدارة سابق ، وسكرتير هيئة سابق ، إنه الآن يعتبر من أصحاب السوابق ..

وهو يعيش فعلاً كأصحاب السوابق ، حائر في تحقيق مكانة وصفته في المجتمع ..

إنى أعرف أن الذى يصاب بلقب « سابق » يصاب بمرح خطر يؤثر في كل تفكيره

وفي كل أحاسيسه .. إنه بعدها يصبح إما من أكبر المغالين في النفاق وفي التلذذ

في الاستسلام ، وإما أن يصبح من أكبر المتطرفين في المعارضة وفي النقد .. ولا علاج

له إلا أن يعود إلى الوزارة .. وكثيرون عادوا إما لجهودهم في النفاق والاستسلام

وإما لإسكاتهم عن الكلام والنقد ، والذى يعود لا يعود أبداً كما كان ، إنه يعود

وهو مجروح ويزاول عمله وهو يحسب في كل يوم أن يتلقى السهم المسموم من

جديد ويصبح « سابقاً » مرة أخرى ، ولذلك فهو يعمل لما بعد خروجه من الوزارة

أكثر مما يعمل لمسئوليته كوزير .. ولست في حاجة لأن أضرب لك الأمثلة ،

فهى معروفة ..

وقال الوزير في حارة وقرب :

- ولكن يا أحمد كل وزراء العالم يدخلون ويخرجون .. ومنذ وجد الإنسان

لم يوجد وزير بقى العمر كله وزيراً إلا في القصص الخرافية ..

وقال أحمد وهو لا يزال يضحك :

- هناك فرق .. فهناك وزارة بأكملها تترك الحكم ، أو وزير يخرج من

الوزارة نتيجة معركة .. سواء معركة سياسية أو معركة فنية خاصة باختلاف الرأى

الفنى .. وفي هذه الحالة لا يتأثر الوزير بلقب سابق لأنه يعيش وضعاً مستمراً

وهو المعركة السياسية أو الفنية .. فهو مقاتل دائم وكل ما هناك أنه غير موقعه

داخل هذه المعركة .. ولكن الذى يصاب ويخرج هو الذى يصبح « سابقاً »

بمجرد شلوت .. شلوت قد يرفعه إلى أعلى كأن يخرج من الوزارة ليصبح مستشاراً

أو بعد أن يمنح وصافاً جليلاً ، وقد يكون شلوتاً إلى أسفل ويمجد نفسه في الشارع ..

المهم أنه لم يدخل معركة يعرفها ويستطيع أن يستمر بها سواء داخل الوزارة

أو خارجها ، ولكنه ألقى فجأة من الشباك وقراً خير وفاته في الصحف وبدأ يستقبل

المعزين دون أن يستعد لاستقبالهم ، أو يقيم صيواناً لاستقبالهم .. إن آثار الشلايت

على بتطلونات كثير من الوزراء السابقين لا يمكن أن تمحى أبداً حتى لو أخذ

بتطلونه وذهب به إلى أكبر الإخصائين في إزالة البقع والفتوق ..

وقال الوزير فهمى عباس في حدة :

- اسمع يا أستاذ أحمد .. إن هذا الكلام معنى ولابد أنك تفكر ذلك ..

وأحب أن أقول لك أنه لا يهين أن أخرج من الوزارة اليوم أو غداً .. لا يهين

في أى لحظة أن أكون سابقاً .. كل ما يهينى هو إحساسى بأنى أجلس على هذا

المكتب لأؤدى خدمة ليلدى .. إنى أخدم ليلدى سواء وأنا جالس إلى مكتب وزير

أو إلى مكتب موظف درجة سادسة . .

وقال الأستاذ أحمد دؤن أن يبدو عليه أى تأثير بحلّة سيادة الوزير :

— هذا ما فكرت فيه عندما عرضت على الوزارة منذ سنوات كما تعلم . .

فكرت في خدمة بلدى . . وأنا كما تعلم محام وخريج كلية الحقوق وكل دراستى خاصة بالقانون والعلوم السياسية والاجتماعية ، ولكن الوزارة التى كانتا يعرضونها علىّ هى وزارة المواصلات . . وقد رت أنى في حاجة على الأقل إلى ثلاث سنوات لدراسة علوم المواصلات حتى أستطيع أن أقرر بعدها إذا كنت أستطيع أن أكون وزيراً أو لا أستطيع . أى أنى لم أتعال على الوزارة ولكنى فقط درست قدرى وإمكاناتى على حمل المسئولية و . . .

وقاطعه سيادة الوزير :

— يا أستاذ أحمد . . إن الوزارة ليست مركزاً فنياً . . كل الاختصاصات

الفنية يتولاها وكلاء الوزارة . . أما الوزير فهو مركز سياسى . .

وقال أحمد في هدوء :

— هذا هو الخطأ الأكبر الذى تقع فيه وتقع فيه كل الدول العربية وأيضاً معظم دول العالم الثالث وهو أن يعتبر مركز الوزير داخل نظم الحكم التى يعيشونها مركزاً سياسياً . . أبداً . . إن مركز الوزير لا يكون مركزاً سياسياً إلا داخل نظم تعدد الأحزاب لأن الوزارة تنفذ مبادئ وخطط وبرامج الحزب في مواجهة حزب آخر . . ونحن ما زلنا متأثرين بالماضى عندما كانت الوزارات سياسية حزبية . . كان الوزير سياسياً لأنه وفدى أو لأنه دستورى أو لأنه مستقل ، ولكن الآن أى صفة سياسية يمكن أن يحتاج إليها الوزير . . لقد أخطأنا يوماً ووضعنا للوزراء صفة التمثيل السياسى الخارجى . . كنا في مرحلة التفاهم مع

أمريكا نمختار وزيراً له موقف سياسى راسخاً ، وفي مرحلة التفاهم مع الاتحاد السوفيتى نمختار وزيراً له موقف سياسى شيوعى . . وكل هذا لم يؤد إلى نتيجة سياسية ، لأن الواقع هو أن الوزارة كلها ليس لها اختصاص سياسى ولا تستطيع ، وليس من حقها أن تقبل أو ترفض أى قرار سياسى . . إن السياسة مركزة في تنظيم آخر خارج الوزارة . . وكان الحل الأمثل هو الاعتراف بكيان هذا التنظيم وأن تنفرد الوزارة ككيان فى تنفيذى . . ولكن هذه اللقطة بين السياسة والتخصص العلمى أدت إلى ضياع صفة الوزير لا هو سياسى ولا هو فنى . . أنت مثلاً . . . إنك خريج كلية الآداب قسم اللغة العربية و . . . وقاطعه الوزير وقد اشتدت حدته قائلاً :

— يا أحمد . . أنت أستاذنا جميعاً ونحن نقدر لك استمرارك في التفرد

للمحاماة و . . .

ورد أحمد مقاطعاً :

— حتى مكنتى كمحام تعرض لكل لهذا الخلط وكل هذه الأوضاع الغريبة . . فأنت تعلم أن عدد المؤكدين أو الزبائن الذين يعتمدون على مكنتى محدود ، فرغم أنى متفرغ للمحاماة كعمل فضلاً إلا أنى أكثر تفرغاً للفكر السياسى منذ تخرجت وقبل أن أتفرغ . . وكانت صورتي ومعنى السياسية والكتب السياسية التى كتبها ونشرتها ، ثم ما هو معروف عنى من عمليات ثورية كنت أقوم بها في شبانى ، كل ذلك أثر في إقبال الناس على مكنتى كمحام . . وكنت أعطى الناس العذر ، فمع اقتراف أنهم يقدرونى كسياسى عاشوا مع جيلاً كاملاً ، إلا أنهم لا يحتاجون في قضاياهم إلى سياسى بل يحتاجون إلى محام . . ثم قد يكون القاضى مختلفاً معى في آرائى السياسية فيتأثر بهذا الخلاف في حكمه ، فما ذنب صاحب القضية . .

إن من صالحه دائماً أن يختار محامياً مغرغاً مغرغاً كاملاً للمحاماة .. هذا ما كنت أعتقد .. إلى أن قابلت مرة الرئيس في لقاء خاص ، وأنت تعرف أني تعودت أن ألقاء كثيراً كصديق ، ولكن في هذه المرة نشرت المقابلة في الصحف ضمن المقابلات الرسمية ، وكانت الصلصة التي تعرضت لها هي أني فوجئت في اليوم التالي مباشرة بعدد كبير من الزبائن بدأوا يترددون على مكبي .. زبائن جدد .. وأنواع جديدة من القضايا .. وفرح عبد العاطي وكيل المكتب الذي عاش معي العمر كله وهو يعاني تقدير القدر عليه في الزبائن ، واستحملت أنا أسبوعاً وأسبوعين وأنا أقابل كل من يأتي إلى المكتب وأقرأ وأبحث كل قضية .. ثم توقفت .. إنها ليست قضايا ، إنها صليبات تحتاج إلى وساطات ، وكل هؤلاء الزبائن الجدد لم يلجأوا إلى كمحام ، إنما لجأوا إلى كأحد المقربين بعد أن قرأوا الخير في الصحف .. إن الذي يقابل الرئيس يستطيع بلا شك أن يقابل رئيس الوزراء ، ويستطيع أن يقابل الوزير ، ويستطيع أن يقابل رئيس هيئة أو أي وكيل وزارة .. ويستطيع أن يحقق المطالب ويكسب القضايا .. و.. وكانت النتيجة هو أني اعتلوت عن جميع القضايا التي جاءتني بهذا الفهم الجديد لقيمتي ، بل إلى أغلقت مكبي وذهبت إلى القرية وبقيت هناك ثلاثة أشهر ..

قال الوزير فهمي عباس ساخراً :

- لأن لك قرية تغنيك عن المكتب .. ولكن لو لم يكن لك شيء في القرية أين كنت تذهب .. اعذرني يا أستاذي عن هذا السؤال ..

وقال أحمد دون تأثر :

- تقصد أكل العيش .. في أستطيع أن أعيش بلا عمل لأنني أملك أرضاً في القرية ، ولذلك أستسلم لكل آرائى السياسية لأنني لست محتاجاً .. هذا

ما تقصده .. وهذا ما جئت لأطلب وساطتك فيه ..

ودق جرس التليفون بجانب الوزير ، وكان السكرتير يذكره بأنه على موعد

وقال الوزير في عجل :

- لا .. لا .. لا مواعيد ..

ثم التفت إلى أحمد قائلاً :

- في خدمتك يا أستاذ أحمد ..

وقال أحمد :

- أخشى أن تفاجأ إلى حد أن تحبب أُملى ..

وقال الوزير مبتسماً :

- لقد عودتنا على المفاجآت ..

وقال أحمد :

- لقد اخترتك ولجأت إليك لأنني مقتنع بأنك خير من يستطيع أن يحل كل موقف وأن يقدر وأن يفهم الصعب ..

وقال الوزير كأنه يتعجبه :

- شكراً .. كلنا من تربيتك ..

وقال أحمد في هدوء وبين شفثته ابتسامة حزينة :

- جئت لأوسطك حتى نسعى لإقناعهم بوضعي في السجن ..

وقال الوزير كأنه يتفحص :

- ماذا تقول .. السجن ؟

وقال أحمد في هدوء :

- نعم .. السجن .. إن الشيء الوحيد الذي أطلبه من الثورة بعد هذا

العصر الطويل وبعد أن أصبحت الثورة دولة ، هو إصدار قرار بوضعي في السجن ..  
ونظر إليه الوزير كأنه ينظر إلى مجنون ، وقال :

- ماذا فعلت وجئت تعترف به حتى تدخل السجن ..

- لم أفعل شيئاً بعد ..

- ولكن بأى سبب تريد أن يدخلوك السجن ..

- تحت التحقيق ..

- التحقيق في ماذا وأنت لم تفعل شيئاً ..

- التحقيق في احتمال أن أفعل شيئاً ..

- أنت رجل قانون وتعرف أن الاحتمالات لا تكفى لتوجيه أى اتهام ..

- ليس القانون .. ولكن أحد المقررين إليكم .. كل الناس تعرف أنى من

المقررين .. والمقررون لهم امتيازات كثيرة ، والامتياز الوحيد الذى أطالب به هو

إدخالى السجن ..

- ولكن لماذا ؟

- لأن القرية لم تعد تكفى ..

- تكفى لماذا ؟

- لهربى من نفسى .. إن السجن وجدت لتحمى الناس وتحمى الدولة ..

وأنا أريدها لتحمى نفسى من نفسى ..

- لا أفهمك ..

- حتى تفهمنى يجب أن تقدر أولاً أنى تعبت .. إلى الآن فى الستين من

عمرى .. الواحد والستين .. ورغم ذلك فكيف لا يزال فى شبابه لا يريد أن

يشيخ معى ولا يريد أن يستسلم لواقعى .. وأصبحت أخشاه وليس هناك من

وسيلة إلا أن أحبس نفسى فى زنزانة حتى لا يستطيع فكبرى أن يتحكم فى تصرفاتى  
ولا حتى فى لسانى ..

وزفر الوزير زفرة زهق وقرف وأسد رأسه بين يديه كأنه لم يعد يستطيع  
أن يسمع مزيداً من هذا الكلام ، ثم قال :

- صدقتى يا أحمد .. لقد جعلت من نفسك مشكلة لا يمكن حلها ..

وقال أحمد وهو ينظر إلى الوزير بكل عينيه كأنه يرجوه أن يحتمله :

- يكفى أنك اعترفت أنى أصبحت مشكلة .. وحتى تصل إلى تحديد خطوط

مشكلتى يجب أن تعرف أنى لا أقبل أبداً أن أحمل لقب « سابق » .. أفضل أن

أموت قبل أن يعلن أنى أصبحت من أصحاب السوابق .. وأنا ليس لى صفة أعتر بها

وأحرص عليها إلا صفتى ككاثر .. فكر ثورى .. وإيمان ثورى .. ولا أريد أن

أعيش حتى أصبح فى نظر وتقدير الناس ثائراً سابقاً .. واحد من ثوار زمان ..

واحد لا يستطيع أن يلاحق بثورته الأجيال الجديدة والتطورات السياسية والحضارية.

وبما أنى فى الوقت نفسه أريد أن أستريح من نفسى ومن ثورنى فإن أفضل مكان

وأشرف مكان يمكن أن يسترىح فيه النائر هو السجن .. إن وجودى فى السجن

هو تأكيد لصفتى ككاثر وفى الوقت نفسه إعفائى من أداء مهنتى ككاثر ..

وقال الوزير ساخراً :

- كما تعرف أيام زمان نوعاً من الشبان يفتعل الحركات الثورية ويفتعل

الاحتكاك بالبوليس حتى يقبض عليه وينشر اسمه فى الصحف ويشتهر كأنه

أحد الثوار .. وهو ليس يثائر ، إنما مجرد نصاب باسم الثورة ، وأخشى بعد هذا

العمر الثورى الطويل الذى عشته أن تحسب من بين هؤلاء .. تريد السجن

ليبدو بطلاً ..



وقال أحمد في هدوء :

.. لا ألوذ على تصور هذا الاحتمال .. لقد تصوره أنا أيضاً .. خشيت أن تعتبروا سعيي إلى السجن نوعاً من البحث عن الشهرة والبطولة .. ولكن يجب أن تقدروا أني لم أقم بأى عمل يمكن أن يرر دخولي السجن .. إلى أدخل السجن بناء على طلب شخصي .. أى يمكن أن يصدر القرار في صيغة « تقرر حبس الأستاذ أحمد عبد اللطيف حبساً مطلقاً بناء على طلبه الشخصي » ثم لا ينشر هذا القرار في الصحف ولا يدرى أحد أين اختفيت .. أرجوك .. افهمي .. يمكن أن تعتبرى مريضاً في حاجة إلى دخول مستشفى .. والمستشفى الذى يصلح لى هو السجن ..

.. أنت لست مريضاً .. والسجن ليس مستشفى .. وأنت تطالب الدولة بقرار استثنائي لا يقره قانون .. فإنك تريد أن تستغل صداقتك واحترامنا لك لتحقيق مطلب شخصي ..

.. هذا صحيح .. ولكنه مطلب لا يكلف الدولة شيئاً .. وأنت تعرف كم كلفت الدولة المطالب الشخصية الأخرى ..

وسكت الوزير برهة ثم رفع رأسه وملأ عينيه من وجه الأستاذ أحمد كأنه يريد أن يتأكد أنه هو نفسه الأستاذ أحمد الذى يعرفه ثم قال :

.. أستاذ أحمد .. إن ما يحيرنى هو اعتقادك أنك يجب أن تهرب من فكرك الثورى .. لماذا .. إن الثورة لا تزال مستمرة ولا تزال قادرة على احتواء أى فكر ثورى .. ولا أعتقد أنك ضد الثورة أو معارض لها بحيث تتصور أنها لن تحتل أفكارك ..

وابشم أحمد ابتسامة الأستاذ وقال :

.. هناك فرق بين الثورية المضادة وبين اختلاف الموقف داخل الثورة الواحدة ..

وأنا وأنت أصبحنا من زمن نختلف في الموقف .. أنا أقف في الشارع وأنت تقفون في الداخل .. والذين يقفون في الشارع هم الذين اختاروا الحرية المطلقة .. حرية بلا مسئولية تنفيذية .. إنها حرية الفكر .. والذين يقفون في الداخل يقيدون حريتهم بعشرات السلاسل والأغلال .. السلاسل والأغلال التى تفرضها المسئولية التنفيذية .. وكل من الطرفين على حق في موقفه .. الذى يقف في الشارع يمكن أن يطالب بمشروع شعبي يتكلف ألف مليون جنيه ، والذى يقف في الداخل يعارض هذا المشروع لا لأنه ضد الشعب ولكن لأن الدولة لا تملك ألف مليون جنيه .. أى أن الثائر المطلق لا يتقيد بالواقع بل يرفضه ويثور عليه ويركز كل فكره الثورى على المستقبل ، أما الذى يحمل المسئولية التنفيذية فهو مقيد بالواقع وهو مضطر إلى الإبقاء على هذا الواقع وصيانته حتى لو اضطر إلى تسليط البوليس على رجل الشارع ، وليس معنى ذلك أنه لا يفكر في المستقبل ولكن تفكيره قد يكون مجرد الإيمان بأن الواقع قادر على التطور لتغطية المستقبل ، أو قد يكون تفكيره هو مجرد الانتكال على الغيب ، ومواجهة كل المشاكل بهذا الانتكال .. ربنا يحلها .. و ...

وقاطعه سيادة الوزير فهى عباس قائلاً :

.. المهم أنك قلت إن كلاً من الطرفين على حق في موقفه .. أى يمكن

التفاهم بينهما .. و ...

وقال أحمد مقاطعاً :

.. لا .. التفاهم هو انجاء الضعفاء المسلمين .. لا يمكن لأى ثورة أن

تتقدم في مواجهة المستقبل إلا تحت ضغط .. وهو إما أن يكون ضغطاً من خارجها

أو ضغطاً من داخلها . ضغط قوة شعبية قائمة مستمرة تملك أن تجعل كل مسئول في حالة مستمرة من الدفاع عن نفسه . وكى بدافع عن نفسه يجب أن يثبت قدرته على التقدم . على التطور . على مواجهة كل مطالب المستقبل . على تحقيق المبادئ الثورية . فإذا احتجى هذا الضغط أو ضعف ، أصيب المسؤولون عن الحكم بالغرور لأنهم تخلصوا من الإحساس بالدفاع عن النفس . والغرور هو أخطر ما يتعرض له الحكم ، وهو ما يمكن أن يجعل من الدولة مجرد شركة مقاولات لا تتصرف إلا في حدود ما يطلبه صاحب الملك المغرور . ثورات كثيرة عجزت عن تحقيق مبادئها لأنها لا تواجه قوة ضغط . الثورة الشيوعية مثلاً . إن مبادئ ماركس لم يطبق واحد على مائة منها حتى اليوم . والمجتمع السوفيتي لا يزال يعاني من الانفصال الطبقي ، ولو أن الطبقات تحولت إلى طبقات بيروقراطية . لماذا . لأن الثورة قضت على قوة الضغط الخارجى عليها ، ثم قضت على قوة الضغط الداخلى أيضاً . أى قضت على الفكر الشيوعى الذى يقف فى الشارع . وفى أيام ستالين أعدم ثلاثة ملايين شيوعى كانوا يمثلون قوة ضغط على الحكومة ، ثم بدأ المجتمع الشيوعى بعد ستالين يتقدم فى بطء لأن الحكومة سمحت بظهور بارقة من الضغط الداخلى . لهذا لا يمكن استمرار الثورة على أساس التضام بين الفكر المطلق والفكر التقيضى المسئول أى التضام بين المقيدين بالواقع والمتطلعين إلى المستقبل . لا يمكن أن تستمر إلا تحت قوى ضاغطة . كل منها يضغط على الأخرى .

وقال الوزير وهو يتسم كأنه توصل إلى الحل الذى يرضى أحمد :  
- إذن فإنى أتمهد لك باسم جميع الأصدقاء أن تترك لك حرية التعبير عن القوة الضاغطة . إننا نثق فيك حتى لو اختلفنا معك .

وصاح أحمد وقد احتد لأول مرة :

- لا ، لا ، لا أستطيع . قلت لك إني تعبت . تعبت من نفسي ومنكم . أريد أن أستريح . أن أحال على المعاش . ولا أطلب وساماً ولا حتى خطاب شكر . أريد أن أستريح في السجن . إني كمن يرسل كتابه الذى اتى منه لوضعه في غلاف محترم له . والسجن هو الغلاف الذى أريد أن أغلف به حياتى . هل في هذا شئ يصعب على الدولة .

وقال الوزير وقد علا صوته هو الآخر :

- إني لا أستطيع أن أتوسط لك في مثل هذا الطلب الغريب . إني سيموتى بالجنون لمجرد أن أنقل إليهم فكرة مجنونة كفكرتك . وهذا الأستاذ أحمد وقال وهو يتسم ابتسامة مسكية ضعيفة :

- لقد فكرت في الجنون أيضاً . فكرت أن أدعى أنى أصبت بمرض في عقل ولى أعصابى . وأطلب من الطبيب أن يضعنى في مستشفى المجاذيب . واخترت مستشفى بهمان بالذات لأن نزلاءه أقل خطراً . والانتهاه بالجنون هو نهاية مشرفة أيضاً لصاحب أى فكر ثورى . لأن معناها أنه أجهد عقله في سبيل وطنه إلى أن جن ، وقد يعتبر الناس أن الدولة هى التى وضعتى مع المجاذيب كما يحدث لكثير من المتهمين السياسيين تخلصاً من محاكمتى .

وقال الوزير في تأثر :

- أستاذى إني أشفق عليك من كل ما تفكر فيه . من كان يصدق أن هذه يمكن أن تكون أفكار الأستاذ أحمد عبد اللطيف .

وقال أحمد :

- هل تعرف ما فكرت فيه أيضاً . فكرت في الانتحار . إن الكاتب

الأمريكي هيننجواي انتحر لأنه اكتشف أنه أصبح أعجز من أن يقدم شيئاً جديداً لقراءته . . وأنا . . ربما كانت هذه هي سر أزمي . . لم أعد أستطيع أن أقدم فكرةً جديدةً لوطي . . لم أعد أستطيع أن أستمع باتجاهي الثوري وأصبح من حق أن أنتحر . . على الأقل فاني أفضل لقب « مرحوم » على لقب « ساق » . .  
التائر المرحوم أشرف من التائر السابق . .

وقال الوزير وهو يتطلع إلى أحمد بنظرة إشفاق :

- تستطيع أن تفكر في شيء آخر . . تستطيع أن تفكر في اعتزال العمل السياسي والفرغ لمشروع زراعي أو اقتصادي . . كثير من زملائنا كما تعلم أنهوا وضعهم الثوري وتركوا كل مسئولية سياسية ونجحوا نجاحاً كبيراً في مشروعات تصدير واستيراد أو غيرها من المشروعات . .

ونظر أحمد إلى الوزير كأنه يلومه وقال :

- تريدني أن أكون واحداً من هؤلاء . . إنهم جميعاً استغلوا الثورة في الاتجار . . لقد وجدت كتاباً أصدره واحد منهم في إحدى دول الخليج . . دول البترول . . وكتب عليه اسمه وكتب تحت اسمه صفحة « عضو مجلس قيادة الثورة » رغم أنه لم يكن عضواً في مجلس القيادة ، ورغم أن الكتاب كله لا علاقة له بالثورة إنما هو كتاب عن مشروع تجاري ربح منه التائر السابق أكثر من مليون جنيه استرليني . . هل هذا ما تريده مني ؟ . . هل يهون عليك أستاذك إلى هذا الحد . . هل يهون عليك الثورة لتنتهي إلى يد أمثال هؤلاء ؟ !

وقال الوزير وهو يحاول أن ينهي الحديث :

- لا . . لا أقصد هذا النوع من الناس . . هناك مشروعات أخرى مشرفة . .  
تستطيع مثلاً أن تقيم في القرية مزرعة دجاج - الدجاج الآن يمثل حاجة شعبية

« محل أزمة حادة من أزماننا » وهي أزمة المطالب العذائية . . كل صاحب أرض « . . لأن مزرعة فراخ . . وشخصيات معروفة من الشخصيات الثورية السابقة يعيش الآن على مشروعات الفراخ . .  
وقال أحمد ساعراً :

إن كل ما أحياه هو التعامل مع عقول الناس . . عقل وعقلهم . .  
تبادل الفكر . . ولا أستطيع أن أتعامل بعقلي مع عقل غرقة . . وإن كانت الفراخ كما تقول أصبحت لها قيمة شعبية ودور وطني . .

وقال الوزير وهو يضغط يده على حافة المكتب كأنه يقيم حتى يلمت نظر أحمد إلى ضرورة إنهاء المقابلة :

- على كل حال يا أستاذي . . أنا آسف . . لن أستطيع أن أعرض مشروعك على أحد . . لا أستطيع . . أكرر أسفي . . وقد أحمده من على مقعده ومد يده بصافح الوزير مودعاً قائلاً :

- كنت أنتظر هذا . . وقد قلت لك في أول الحديث إنك ستجأ . .  
وعلى كل حال من حق أن أختار . . إما السجن أو مستشفى المجاذيب أو الانتحار . .  
والوزير يودعه حتى الباب قائلاً :

- لا تنس مشروع الفراخ . .

وقال أحمد ضاحكاً

- هذا إذا قامت الفراخ بثورة

❖ الساعات الأخيرة قبل الغروب ❖

كنت أقصى أياماً في جزيرة رودس . سائحة تبحث عن الهدوء والجمال . .  
وسيت حالسة في حديقة فندق «جراند أوڤيل» على حافة حمام السباحة أقرأ كتاباً  
بسم مجموعة قصص قصيرة لكتاب إيطاليا عبر الأجيال المتعاقبة من أول بوكاسيو  
وسيكاميلي إلى الكاتب المعاصر مورافيا . . ووقف أمامي شاب وسيم رشيق  
ذاه رسم خطوط وعضلات جسده بنفسه ولبق فنان ، وفيه سمرة أوربا  
التي تختلف قليلاً عن سمرةنا . . سمرة مصر . . وهي سمرة يتميز بها شباب  
حوض اليونان وجنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط . . وقد حاولت أولاً أن  
أناهمل هذا الشاب ولكنه ظل واقفاً أمامي حتى اضطرت أن أرفع عيني إليه  
والتيقنيت بابتسامة حلوة بين شفتيه شدة ابتسامتي إليه . . وقال وكأنه يعرفني  
من زمان :

- سيدتي . . منذ أيام وأنا أراك لا تفعلين شيئاً إلا القراءة في الكتب . .  
كنت تستطيعين القراءة في أي بلد ولكن جزيرة رودس ليست مخصصة للقراءة ، إنها  
جزيرة تستطيع أن تعطي أكثر مما يعطي أي كتاب . .  
وكان يتكلم بالإنجليزية ولهجة إيطالية .  
وقلت وابتسامتي تنبع بلا افتعال كأنني فرحة بهذا الجمال الذي يعرض نفسه علي :

إني لا أستطيع أن أجد شيئاً من رودس قبل أن أنتهي مما يعطيه لي هذا الكتاب .  
قال وهو ينظر إلى الكتاب بين يدي في زهق كأنه ينظر إلى منافس خطير :  
- هل يأخذ منك وقتاً طويلاً ؟

قلت :

إني أقرأ في قصة قصيرة

قال .

قد تأخذ منك ساعة .

قلت :

- ربما أقل .

قال وعينه مركبتان على وجهي كأنه يحاول أن يكتشف مصيره معي :  
- هل أعود إليك بعد ساعة . . أقصد نصف ساعة ؟

قلت وقلبي يفضحك :

- حاول . .

قال في إصرار وكأنه انتهى من تحديد مصيره :

- سأحاول . .

وانتعد عني وعيناي تجريان وراء قوامه المشوق المرسوم بحطوط فنان وتعلقان بشعر  
رأسه . إنه لا يطلق شعر رأسه بلا حساب كما هو موضحة الشأن هذه الأيام ولكنه  
يضعه في قالب معتدل يتنق مع ملامح وجهه ، وهو ليس شعراً ناعماً لأمعاً  
ولا شعراً حشاً عامقاً . ولكنه شعر متموح في لون الساعات الأولى من العروب ،  
وأحسست إحساساً قوياً بأنني أريد أن أمد يدي وأغرز أصابعي بين خصلات شعره . .  
وطبعاً قاومت هذا الإحساس ورفعت كتابي أمام عيني أحاول أن أهرب منه وأعود

في القراءة . .

وسد بدأت أتعتمد على القراءة ملء الفراغ الواسع الذي أتعرض له في كثير من  
أحيائي ، وأنا لا أقرأ إلا القصص . . القصص الطويلة والقصص القصيرة .  
ولا أحس وأنا أقرأ القصص بمجرد التسلية وتضييع الوقت ، كما لا أحس بأنني  
معتدٌ تنقل لأعيش في الخيال ، بل أحس وأنا أقرأ قصة كأنني أقرأ دراسة اجتماعية . .  
الفارئ يستطيع أن يتعرف على كل طوائف الشعوب وكل مميزات الشخصية  
الإنسانية من خلال القصص التي يكتبها كتاب كل شعب . . ولذلك أصبحت  
هوايتي أن أجمع القصص التي تكتب في كل بلاد العالم . . قصص روسية  
وقصص يابانية وقصص هندية و . . و . . بل أني قرأت أيضاً قصصاً كتبها  
كتاب من عانا ومالي وكوبا . . وأصبحت أحس كأنه من السهل على أن  
أكتشف شخصية أي إنسان من أي بلد في العالم ، حتى هذا الشاب الذي وقف  
معي . . أليزوتو . . إني أعرفه من خلال قصة قرأتها منذ أكثر من عشر سنوات  
كتبها كاتب ألماني بعنوان « قيمة الحب عشرة » ويظهرها شاب احترف اصطياد  
سماتح المعجائر الإنجليزيات والأمريكيات ويعطيه كل ما يطلب من متع نظير  
حر عدل . واتسعت أعماله إلى حد أنه افتتح بيتاً كاملاً مخصصاً لاستقبال عجائز  
نساء ، واتسعت شهرة هذا البيت في مجال السياحة في ألمانيا حتى أصبح يتردد  
عنه النساء الصغيرات أيضاً ، وهو لا يبخل أبداً بقواه كرحل يبيع الجنس ، ولكنه  
بدأ يحس أنه في حاجة إلى بعض المقويات ، ثم لم تعد المقويات تكفي لتغطية  
مسات الزبائن فاستعان باثنتين من الشبان ليعملوا معه داخل البيت ، ولكنه كان  
دائماً هو المطلوب وهو صاحب الشهرة بين المعجائر والشابات . . إلى أن أحب .  
أحب فتاة لا تعرف شيئاً عن مهنته ولا تعرف كيف جمع هذه الثروة الضخمة ،

وأحبها فعلاً بكل عقله وقبه وقرر أن يسي أعماله الخاصة بالساعات ويعتبر  
للحب ، ولكنه عندما بدأ يعطى للحب .. عندما بدأ يمارس الحب ..  
فشل .. لم يستطع .. وكان يعود لممارسة مهنته مع سائحة عجوز قبيحة ،  
ثم يجرى إلى حبيبته معتقداً أنه استرد ثقته في قواه ولكنه يفشل .. واعتقد  
أن الحب يرفض أن يستجيب مع آله ، وهو قد حول نفسه وحسده إلى آلة  
لا تستطيع أن تعيش الإحساس الإنساني .. الإحساس بالحب .. فانتحر ..  
هذه هي القصة التي ذكرني بها ألبرتو وحكمت بها عليه .. إنه هو أيضاً  
بصطاد الساعات العجائز .. به يحترف مهمة يطلق على صاحبها لقب « حيجولو »  
وهي مهنة منتشرة في كل قنادق العالم ، وفي قنادق مصر أيضاً .. وحتى أمس  
كان ألبرتو في خدمة امرأة أمريكية ربما كانت في السبعين من عمرها ، ولعلها  
سافرت هذا الصباح وتركت رودس فجاء يعرض نفسه عليّ ..  
وأنا ..

هل أما عجوز .. في - بلا كذب - في التاسعة والخمسين من عمري ،  
ولن أعترف بأن وصلت الستين عندما أصل إليها ، ولكنني محتفظة بقوامي ونضرة  
جلدي المشدود فأبدو كأني في الأربعين من عمري ، وصدقوني أني لم أحرع عملية شد  
جلد وهي العملية التي أجرتها معظم سيدات المجتمع الراقي في مصر .. أبداً ..  
وربما كان احتفاظي بنضارتي يرجع إلى هدوئي الدائم ، ورضائي عن نفسي ،  
ونحاحي للعالم .. نحاح روحي ونحاح أولادي وساني .. إن النجاح في حد ذاته  
عملية تجعل الجلد تحفظ بضارة السمحات واتساق القوام ..  
لا ، إن ألبرتو لم يأت إليّ لأني عجوز .. لقد جاء إليّ لأني وحيدة .. إنه  
يراني منذ أسبوع في هذا الفندق وأنا وحيدة .. ووحدة المرأة هي إغراء طبيعي

سعدم إليها أي رجل .. الوحدة .. الفراغ .. إنها أكثر ما يهدد نصرفات  
للإسك سواء كان رجلاً أو امرأة .. وأنا أتغلب على وحدتي وإغرائي بقراءة  
مخصص ..

وعدت وبحثت الكتاب وحاولت أن أعيش في داخله كأني أحمي به  
نفسى من ألبرتو .. ولكنني لم أستطع .. إن ألبرتو أثار في نفسي إحساساً بأنني  
محبوبة في وحدتي ، رغم أنها ليست المرة الأولى التي أعيش فيها وحيدة وفي فندق  
في بلد أجنبي ، فبعد أكثر من ثلاثين عاماً وأنا أسافر كثيراً مع زوجي إلى  
أوروبا ، وسافرت معه مرات إلى أمريكا ، ومرتين إلى روسيا ، وفي كل مرة  
ثاني يشي من عمله في العاصمة التي تقصدها ، ثم يقنعني بأنه في حاجة إلى  
السفر وحيداً إلى عاصمة أخرى ، وغالباً ما تكون لندن أو باريس ، ونفق على أن  
أنظره في مدينتي المدن السياحية المعروفة .. وكتب أقبل هذه الفرقة بيني وبينه  
السطوة وفرح لأنه في الغالب كانت انتي أمينة وابي طارق معا ، أو كما  
محققان في في البلد التي تختارها وأقضى معها أسبوعاً أو أسبوعين في إطلاق  
عائل حلو إلى أن يلحق بنا عبد اللطيف ونعود جميعاً إلى مصر .. ولكن أمينة  
هذه في كبر .. أمينة الآن زوجة وأبجيت ولدين ، وطارق يقيم في أمريكا ..  
ورغم ذلك فزوجي لا يزال يتركني وحيدة في كل مرة يسافر فيها إلى أن يعود إليّ ..  
أه في حاجة إلى عندما يسافر حتى يستكمل صفته الراحية وحتى أكون بجانبه في  
لدعوات التي توجه إليه ، ولأنه لا يطمئن إلى أحد في حفظ أوراقه إلا إليّ ،  
وهو أصبحت أعرف وأحفظ من هذه الأوراق أكثر مما يعرف هو نفسه ..  
م بعد أن تنتهي العملية يصبح وليس في حاجة إلى فينكر الأعداء ليتركني ،  
وكان زمان يجسد في الأولاد حجة فهو يريد أن يخلعها مدرسة في جنيف

أو يريد أن يلتحقا بالدراسة الصيفية في أكسفورد أو كامبردج ، أو يريد هما أن ينمتعا بمصيف أورما ، ولكن بعد أن كبر الأولاد لم تعد هناك حاجة تفقنى إلا أنه يريد أن يكون بعيداً عني ، وكنت أستسلم لما يريد . . ماذا يمكن أن يكون بخرسه من هذه الفرقة المتعمدة . . أن يتمتع نفسه كرجل . . يذهب إلى هذا الصنف من النساء الذى يعطيه بالثمن . . لا يمكن أن يكون محصور مرتبطاً بأى علاقة جادة مع أى امرأة . . إلى أعمره ، إنه يلعب أو يعطى نفسه إحازة زوجية ، وهو فى حاجة إلى هذه الإحازة خصوصاً بعد أن وصلنا إلى هذه السن . . إنه الآن فى الثانية والستين ولا يزال محتفظاً بكل رجولته . . إنى أعرف رغم إنى فقدت المقدرة منذ سنوات على إثارة هذه الرجولة . . إن كل ما يحتاج إليه مجرد امرأة يدفع لها . . نفس الصنف الذى ينتهى إليه ألبرتو . . امرأة تتبع نفسها . . ورجل يبيع نفسه . . ولكنى لم أشعر أبداً بحاجتى إلى رجل من هذا النوع ولا من أى نوع آخر . . إنى عشت وحيدة فى مصايف أوروبا وفى جزر البحر الأبيض . . فى كابرى . . وسيليا . . وكريت . . وجزر كنارى فى المحيط الأطلنطى . . أصبحت أنا التى تختار الملجأ الذى أعيش فيه إلى أن ينتهى زوجى من لعبه . . وأنا التى اخترت جزيرة رودس لمجرد أنها قريبة من أثينا التى كنا فيها للعمل .

وفجأة وجدت ألبرتو واقفاً أمامى يقول من خلال ابتسامته الرزنية :

— هل انتهت القصة . .

ورفعت عيني إليه وطارق جليد يلح على عقلى . . لماذا لا أجرب . . ماذا سأحصر . . إنها مجرد تسلية تريحنى من وحدتى ومراعى ومن قراءة القصص وقلت وأنا أبتسم له ابتسامة كبيرة .

الواقع أنها لم تنته . .

.. شحنته استأمتى عند يده وُحِد الكتاب من بين يدى وقال :  
سأورى لك قصة أمتع مما تقرئين . . ومن يدرى ربما استطعنا أنت وأنا أن  
نكتب قصة . . هل نكتبها بالعربية أم بالإيطالية . .

وقلت فى دهشة .

كيف عرفت أنى أكتب بالعربية .

قال وهو يشد مقعداً ويجلس بجائى :

سألت . . لقد أخذتك أولاً على أنك إسبانية . . إن ملامحك فيها كثير  
.. ملامح الإسبانيات ولكنى عندما سألت عرفت أنك مصرية .  
وقلت ضاحكة :

— وماذا عرفت أيضاً .

قال كأنه يطعننى :

— إنى أعرف أكثر مما تريدنى أن أعرف . . المهم ألا تبقى الآن هنا . . هل  
ذهبت إلى ليندوس . .

قلت :

— سمعت عنها ولم أذهب لأنى لا أحب الذهاب فى أفواج سياحية .

قال :

— مستكوين أنت وحدك فوجاً كاملاً . . إنك تساوين عشرًا . . تعال .

وساطة تركت له يدى يشدنى منها ويبقى محتفظاً بها ونحن نسير إلى خارج  
الفلنق ويدعوتى للركوب بجانبه فى سيارته . . إنها سيارة قيات صغيرة قديمة  
ورغم ذلك فرحت وأنا أركبها كأنى أصبحت طفلة وحدث لعبة تلعب بها .



أو ربما كانت هذه السيارة الصغيرة القديمة قد حررتني من كياي الاحتجاعي الذي يعرض على أن أركب السيارة البويك والمسيدس الكبيرة الفخمة . أصححت حرة . . والطريق إلى « ليدس » يعبر إلى قمة الجبل ويهبط إلى الوادي وكله مكسو بأشجار الزيتون وأشجار البرتقال والجمال من حول يكاد يطير في لا . ليس مجرد الجمال . . لقد عشت قبل ذلك في القمم والجبال وبين أشجار الزيتون والبرتقال ، ولكن هذه هي المرة الأولى التي أحس فيها بأن أعيش معامرة مع رجل غريب . . إن الإحساس بالمعامرة يجعل الإنسان يركز انتباهه أكثر إلى كل ما يمر به فيكشف مزيداً من الجمال . ولكن . . لماذا أسميتها معامرة . إنها مجرد رحلة سياحية أقوم بها على حسابي الخاص ، وأدري ليس إلا دليلاً سياحياً ترحمناً . وأنا مطمئنة إليه مطمئنة لأني سيدة كبيرة عموماً . لا يمكن أن يعلم فيها أي شاب كأليوتو .

وهو لا يكف عن الكلام طول الرحلة . . إنه يعملي أصححت عندما يريد أن يضحكي . . ويزيد معلوماتي عندما يريد أن يرويني بمعلومات ويروي لي قصصاً مسلية تصلح ليضمها كتاب من الكتب التي أقرأها . . وقد انتهزت فرصة سكت فيها وسألته :

- أليوتو . . ماذا تعمل . . ما هو عملك ؟

ونظر إلى كأنه استخف السؤال وتلعثم قليلاً ثم قال :

- أنا رجل أعمال .

قلت :

- أي نوع من الأعمال ؟

وأطال نظره اللوم إلى ثم قال :

- كل الأعمال تؤدي إلى نتيجة واحدة . . كلها محاولات لتحقيق سعادة لإنسان . . إن مدرس الأطفال يبيع السعادة للطفل بتعليمه . . والجرسون في بار بيع السعادة بتقديم الخمر للزبائن . . ورئيس الوزراء في أي بلد يدعى أنه يبيع السعادة لشعب بتحقيق الحرية والرخاء . . وأنا أزاوِل أي عمل يحقق السعادة . . لا يهم نوع العمل . . المهم أن أكون سعيداً به وأن أسعد به غيري . .

قلت :

- إنك تسعدني فعلاً ، ولكن هل أنت سعيدي ؟

قال :

- في الآن سعيد بالأمل منك ولا يمكن أن يتحقق الأمل بمجرد نظرة أو مجرد نفاذ . . إن الأمل يولد كالجنين ثم يأخذ في النمو إلى أن يتحقق ويستكمل نفسه . . وأنت أنت وأنا لم يولد إلا منذ لحظات ألا تسمعين صراخه . . واه . . واه . . واه . . وضحكت وعدت أسأله :

- هل تحقق الأمل بينك وبين السيدة الأمريكية التي كت أراها معك .

ونظر إلى وبين شفتيه ابتسامة كأنه يشفق بها علي وقال :

- أراهن أنك سيدة بلا تجارب . . إنك تجعليني أحس كأنني أول رجل

في حياتك ، بعد زوجك طبعاً . .

قلت كأنني أتبهه .

- إنك لم تدخل حياتي بعد . .

قال :

- أقصد أنني أول رجل غريب تلبين دعوتي .

قلت :

- هذا صحيح . .

قال :

- وهذا ما يجعلك تحاولين أن تعرفي كل شيء عنى رغم أنى معروف فى كل أوروبا تقريباً . وهذا أيضاً ما يجعلك تغارين من السيدة الأمريكية . حاكليين .و. وقاطعت :

- إلى لا أغار ولكنى فقط أحاول أن أعرفك .

قال :

- حتى محاولة معرفتى يجعلك كأنك طفلة صغيرة مجتاز تجربة لأول مرة ، فإن معرفتى لا تهم فى أى شيء ، المهم هو اللحظة التى نقضها معاً ، هل أنت سعيدة بها وهل أنا سعيد بها أم لا . ولكن . . لا يهم . . سأورى لك قصة جاكليين . . لقد عرفتها منذ عشر سنوات فى فينيسيا وكنت لا أزال فى اولى تجارى . وكان لها فضل كبير على . . علمتنى كل شيء . . ورفعتنى إلى الحياة التى كنت أحلم بها . قدمتنى إلى أرقى المجتمعات . وعشت معها فى أكبر العداق التى أصبحت الآن زيوناً دائماً . . بل إن أصحاب العنادق يتنافسون على دعوتى للإقامة عندهم كما يتنافسون على استئجار الفرق الموسيقية أو المايين المشهورين . وقد أخذتنى حاكليين معها إلى أمريكا . . إنها تملك أسهم إحدى شركات البترول فى ولاية أوكلاهوما وعشت هناك أكثر من عام ثم لم أعد أطيع . رغم كل ما كانت تحيطنى به حاكليين . . لقد اشترت لى طائرة خاصة لأنتقل بها داخل أمريكا ، وكنت أطيّر بها إلى لاس فيجاس لألعب القمار وأحسر وحاكليين تتحمل ، ورغم ذلك لم أعد أطيع . وكانت كريمة فاتفقت معى على أن أعود إلى أوروبا وتأتى هى إلى كلما أردتنى . لقد سافرت صباح اليوم . . ومنذ ثلاثة أيام .

منذ رأيتك فى الجرائد أو قبل وأنا مصمم أن أتقدم إليك بعد أن تسافر جاكليين . . وأقول لك بصراحة . . لو عادت جاكليين فسأضطر أن أعود إليها :

قلت وأنا مبهورة بالصراحة التى يتكلم بها :

- إنها كبيرة . . أكره منى بكثير . . لملك تحس بها كأم . .

قال فى بساطة :

- لا . . أحس بها وأحبها كعمل . . إن الطبيب لا يهتم من المريض .

وأعتبرنى طبيباً نفسانياً

ويزداد انهارى بصراحة ألبرتو . . إنه لا يحنى شيئاً عن طبيعة عمله بل يتحدث كإخصائى فخور بتخصصه . . إنه لا يخدعنى . . ولا يحاول أن يصل إلى شيء لا أعرفه . . إنه يقدم لى نفسه ويتركى أختار . . والسيارة القديمة الصغيرة تعلو وتهبط بنا بين أشجار الزيتون والبرتقال ، وفجأة بدأت السيارة تهتز ثم عجزت عن السير وتوقفت ، وصرخ ألبرتو :

- هذا ما كنت أخشاه . .

ونزل من السيارة وفتح غطاء الموتور وبدأ يبحث فيه إلى أن عاد إلى التحرك . . وعدنا نقفز فى طريق الزيتون والبرتقال ثم عادت السيارة وتوقفت ، ونزل منها ألبرتو قائلاً :

- إنها غلطى . . كنت أريد أن أشتري سيارة جديدة من روما وليس من هنا . .

ثم دار وفتح لى الباب قائلاً :

- سنضطر أن نسير كيلومتراً واحداً ونصل إلى قرية « مالتونا » . . إن هناك أحسن نبيذ . . هل تستطيعين السير كيلومتراً واحداً . . أستطيع أن أحملك بين ذراعى لو أردته . .

وقعزت من السيارة في خفة كأنى أحاول أن أثبت له شأى ، وتركنا السيارة وراءه دون أن يهتم ألبرتو حتى يغلق أبوابها ، وبدأنا نسير على أقدامنا بين أشجار الزيتون والبرتقال وقلت :

- ألا يستحسن أن نعلق أبواب السيارة ؟

قال وهو يأخذ يدي في يده :

- لم نعد في حاجة إليها ، ليأخذها من يريده .

وسرنا حولي نصف ساعة . وكل ما حولي جميل . والجمال في داخلي . . .  
أحس كأنى أعيش قصة بطلتها فتاة صغيرة خطفها فارس أحلامها . . . ولم أكن أحس بالبرتو بالذات . . . ليس هو . . . وهو إلى الآن مجرد شاب من الشباب الذين تعودت أن أقيسهم بمعنى وأنا جالسة في مقاهى أوربا . . . ولكن ما أحس به هو ما يحيطني به ألبرتو . . . هو الإحساس بالمغامرة . . . بالشئ الجديد . . . بالجمال الجديد . . . جمال التحرر من كل ما عشت فيه من تقاليد . . . وتوقف ألبرتو تحت شجرة زيتون قائلاً :

- استراحة لمدة عشر دقائق . . .

ثم مقط على الأرض في ظل الشجرة وأسقطني معه . . . ثم سكت عن الكلام . . .  
وأخذ ينقل عينيه في أنحاء وحشى ، ثم مد ذراعه ووضعها فوق كفى ، ثم قال في همس :

- أريد أن أحاول . . .

وعيناي متعلقتان بوجهه وشعره المتسرج في لون الساعات الأولى من الغروب ولكنى حائرة . لا أدري ماذا يريد أن يحاول . . . ولا أدري ماذا أريد أنا . . .  
ومال بشعته فوق عنق ، ثم تسلل بهما فوق وجنتي ، ثم أحسست بهما بين

شفتي . . . ونجمدت شفتاى . . . منذ أكثر من عشر سنوات لم أتلق قلة بين شفتي . . .  
روحى عبد اللطيف كان قد استثنى عنهما كما يستثنى عن الحذاء القديم ، وأنا أيضاً . . . شفتاى . . . كانتا قد فقدتا الحاجة بالإحساس بالقبل . . . ولذلك نجمدت شفتاى بين شفتي ألبرتو . . . وهمس مبتسماً :

- إنك مازلت صادقة . . . أحس كأنى يجب أن أعلمك كل شئ حتى

القبل . . .

وشفتاى لا تزالان متطعتين إلى شفتيه كأنهما تستحديه ألا يتركهما .  
وعاد إليهما . . . وتركهما له . . . أطلقتهما من سجنهما الطويل . . . ولكنى وأنا أقبله أحاول أن أتذكر كيف كنت أقبل قل أن أجتاز سن القل . . . وكنت أخشى أن أفعل شيئاً منغراً أو شيئاً لا يعجبه . . . ولكن ألبرتو كان يتصرف بين شفتي نصرف الأستاذ .  
إيه يفتلخى القبل . . . يلقى على الدرس الأول . . . وتعلت على نزع كبرياء المرأة فأعدت شفتى عنه قائلة :

كفى يا ألبرتو . . . دعنا نعد إلى السير . . .

وقعزت واقفة ، وقفر معى وهو ينسم كأنه يعلم كل أحاسيسى ، وبدأنا من جديد ، وبدأ يعود إلى أحاديثه كأنه يعرف لى الألحان بين أشجار الزيتون والبرتقال . . .

إلى أن وصلنا إلى قرية « مالونا » ودخلنا هناك دكان بقال واستقلوه بالتهايل كأنهم يعرفونه من زمان طويل ، وجلسنا لتناول طعام الغداء والنيذ ، وهو يقوم بين الحين والآخر ليدل الأسطوانات فوق « الديستونك » . . . وبعد أن اتينا وقرنا أن نعود لنستأجر سيارة ونعود إلى « رودس » فتحت حقبتى وأخرجت منها كل ما فيها من آلاف الدرخمات ومددت بها يدي من تحت المائدة إلى ألبرتو قائلة :

وكانت الساعة الرابعة عندما وصل بنا التاكسى إلى الفندق وتركنى ألبرتو  
على أن يلتقى فى التاسعة . إنه هو أيضاً الذى دفع أجر التاكسى وقد حاولت  
أن أدفع أنا ولكنه عاد وقال مبتسماً :

- لا تكونى ساذجة ..

ومن الرابعة حتى التاسعة كنت أشبه بالمجنونة .. كنت كئيبى أحاول أن  
أحلق نفسى من حديد .. لقد دخلت الحمام ولأول مرة أهتم بأشياء مضت سنوات  
طويلة لم أهتم بها .. إنى أستعرض كل تفاصيل جسدى فى المرآة ، وأتحسس صدرى  
لأطمئن إلى أنه لا يزال يحسب بشىء من عسكه .. وساقى .. ودرعى .. وبطنى ..  
لا شئ أنى لا أزال محتفظه باتساق قوامى .. وبذلك فى الإستحمام مجهوداً  
لم أعود أن أبذله ، ولم أكن فى كل ذلك أفكر فى ألبرتو أو يخطر سالى .. لم أكن  
أعد نفسى له .. ولكنى كنت أعد نفسى لنفسى .. كنت أعيش شخصية جديدة  
أريدها هكذا .. ثم قررت أن أذهب إلى الكوافر رغم أن شعرى ناعم وكنت  
قادرة دائماً على أن أعقسه كما أريد بلا كوامير .. وعندما بدأت أختار الثوب  
لذى سأبدو به بدأت أبحث عن مظاهر أخرى غير التى تعودتها .. لقد تعودت  
أن أختار ثوب المساء لأظهر به فى الدعوات الرسمية بصحبة زوجى ، أو فى  
المهرات الاجتماعية بصحبة أيضاً وكنت أجه دائماً إلى الأزياء الحشمة العاقلة ،  
وكنت معروفة فى كل المجتمعات باتساق ذوقى فى اختيار ثوبى مع الاحتفاظ  
بهذه الحشمة العاقلة .. ولكنى الليلة لست حشمة ولا عاقلة ، إنى أفكر فيما  
يكشف عنه الثوب أكثر مما أفكر فى الثوب نفسه .. ذراعى .. عنقى  
وبرار صدرى وخطوط ظهرى .. كل ما أنحيل أنه جميل منى أحاول أن أبهره ..  
ووقفت أمام المرآة معجبة ببطلة القصة التى أثقلتها .. ولكن .. ماذا

- ألبرتو .. أرجوك ادفع عنى الحساب ..  
وكنت أعتقد أن هذا ما يجب أن أفعله بعد أن اعترف لى ألبرتو بعمله ..  
ونظر لى ألبرتو فى دهشة ثم ضحك ضحكة كبيرة وقال :  
- ليس هكذا أيتها الطفلة الساذجة ..

ثم دفع الحساب من جيبه ، وأعتقد أنه كان سعيداً فى دفع القشيش  
فقد أثار فى الذكائن كثيراً من التهليل وصيحات المرح .. وأكثر من ذلك ..  
أخذنى إلى دكان فى القرية يبيع تحف السيراميك التى تشتهر بها رودس ،  
واشتريت لى قطعاً غالية دفع ثمنها من جيبه ..

وركبنا السيارة التاكسى وأنا حائرة .. لا أدري كيف أحدد أسلوب التعامل  
معه .. ترى كيف يتعامل زوجى عبد اللطيف مع النساء اللاتى يعطينه اللحظات  
الحلوة ..  
وقال ألبرتو :

- ساعت منا « لاندوس » اليوم .. فالليل هناك بارد وهم ينامون بمجرد أن  
تنام الشمس .. ولكننا سنذهب غداً أو بعد غد وبعد أن نجد سيارة جديدة ..  
والتاكسى ينطلق بنا عائداً بين أشجار الزيتون والبرتقال ، وألبرتو يضع ذراعه  
فوق كفى وأملت رأسى واسترحت بها فوق كفه .. ثم رفعت يدى ودست  
أصابعى بين خصلات شعره .. حققت ما كنت أحلم به منذ رأيت .. شعره  
المتوجع فى لون الساعات الأولى من الغروب .. لم لا .. إنى أعيش فى حالة  
سيك .. نسيت عمرى ، ونسيت زوجى وأولادى ، ونسيت مركزى .. إنى  
أعيش قصة ، ويبدو أن إدمانى قراءة القصص جعل منى امرأة مخمورة بقصة  
تؤلفها وتعيشها ..

أحمل معي لألبرتو .. يجب أن أحمل له هدية تشجعه على أداء مهمته و  
إسعادي .. هكذا تتطلب القصة .. وألبرتو ليس «جيجولو» رخيصاً يقبل  
أن تدفع له المرأة حساب السهرة . إنه محترف على الثمن . وكنت قد اشتريت  
من باريس علبة سجاائر ذهبية وولاعة سجاائر كازيتيه هدية لأخي إسماعيل  
سأعطيها لألبرتو وأشتري لإسماعيل هدية أخرى

واستقلني ألبرتو في هو الفندق كأنه بهر برشاقي ولا أريد أن أقول جمالي .  
على الأقل بهر بحمال ثوبى وجمال إعدادى لنفسى . وجلستا تناول العشاء  
في صالة الفندق . وأخرجت علبة السجاائر والولاعة وقدمتها له قائلة :  
- حتى لا تنسائى ..

ولم يبد عليه أنه بهر بالهدية .. قلبها بين يديه وقال بلا حماس :  
- ألف شكر . كنت في حاجة فعلاً إلى علبة سجاائر وأفضل دائماً  
ولاعات كازيتيه :

قالها ببساطة كأنه تعود على أن يتلقى مثل هذه الهدايا .. ثم بدأ يثير إهتمامى  
بحكاياته وبكاته ويقضى وقتاً طويلاً في اختيار أنواع النبيذ ، ويروى لي تاريخ  
كل نوع .. وأنا لم أتعود أن أشرب من النبيذ ولكنه استطاع أن يجعلني أشرب ..  
لم أسكر ولكني شربت .. وبين كؤوس النبيذ قال لي ألبرتو :

- غداً نذهب في رحلة بحرية بين الجزر .. وبعد غد تكون قد اشترينا  
السيارة ونذهب إلى ليندوس خبرينى .. هل تفصلين المرسيدس أم الألفا روميو .  
وتوقف عقل لحظة عند هذه الكلمة .. ماذا يقصد .. ولكني بسرعة  
تجاهلت كل ما يحظر على بالى بما يقصده ، وقلت :

- ألفا روميو تليق بك .. والمرسيدس تليق بي . إن فرق السن ينحكم

صاً في أنواع السيارات ..

وقال كأنه غضب :

- لا تتكلمي عن المن مرة أخرى .. تعالى .. سأثبت لك أن لا فرق

بين وبينك ..

وقام من حول مائدة العشاء وقمت معه ، وفي هذه المرة لم يدفع الحساب ، قيد  
الصح في حسابى بالصدق ، ويبدو أن الجرسونات في هذا الفندق وهو أكبر فندق  
في المدينة تعودوا كلما رأوه مع امرأة من النزلاء أن يضعوا الثمن على حسابها ..  
وقلت وأنا ألحق بخطواته السريعة :

- إلى أين ؟

قال :

مرتين ..

قالها وكله ثقة في نفسه وكأنه تملكني وكأنى استسلمت له ثم توقف برهة  
عند مكتب البواب وطلب مفتاحاً ، ونظر البواب إلى واتسم ابتسامة لم أرتع لها  
ثم أعطاه المفتاح ، ثم أدخلني معه في المصعد وضغط على رقم الطابق الرابع  
به نفس الطابق الذى أقم فيه . ثم سار بي في نفس الممر الذى يؤدي إلى  
حجرتي .. ووقف أمام حجرتي فعلاً .. الحجرة ٤٤٤ .. وفتح بابها بالمفتاح .

وقلت كأنى أصرخ :

- كيف أعطوك مفتاحي ؟

قال :

- لقد كنت معي .

قلت :

- لم أحملك تطلب مفتاحي ، ولو سمعت لاعترضت . .

قال في ثقة :

- لا أظن . .

ودخل الغرفة كأنها غرفته ، كأنه يعرف كل تفاصيلها وكل ما فيها ، ثم رجع سماعة التليفون وطلب زحاجة ليكبره من عصير النعناع ، ثم جلس على الأريكة العريضة وشدق ليجلسني إلى جانبه ، وقال وهو يحتوي بعيني الغامضين وابتسامته الحلوة تكاد تلتقط شفتي :

- يا عزيزي . . إن العمر إحساس . وأنا أحس بك الآن كأنك فتاة في الرابعة عشرة ، وأحس بنفسى كأنى وحش في الأربعين قرر أن يفترسك .

وأنت . أنت في حاجة إلى هذا الإحساس . . الإحساس بألك امرأة . . إن القدرة على الإحساس لا تضعف أبداً ولا تقل . .

وقد بدأت أحس فعلاً . .

وبين كنوس العصور المسكر يشتد إحساسى . . إحساسى بأنى امرأة وأن ألبرتو رجل . . وأنا قريبان جداً من الفراش . . وألبرتو يتحكم في مهارة صناعى . .

يحبب الصنعة . لا شئ يبتنا سوى الصنعة . . المهارة في الإخراج وفي الوصول . . واكتشفت أنه لا شئ هناك يسمى سن اليأس بالنسبة لأنى امرأة . قد يكون

الوصول إلى سن اليأس هو توقف المرأة عن القدرة على الإنجاب ، ولكن ليست هناك أبداً من تصل فيها المرأة إلى العجز عن الإحساس . وقد كنت أعتقد

أنى وصلت إلى سن اليأس منذ سنوات ، ولكنى الآن مع ألبرتو أحس بالمتعة كاملة . . أحس كأنى أعيش في جسد تبفض كل خديجة منه بالحياة ليس في

داخل قطعة مانت أو فقدت الإحساس . . وربما كان هذا هو سر ما كنت أعانيه

مع زوجى عبد اللطيف . إنه يؤمن بما يسمى سن اليأس بالنسبة لى فتاهل

حساسى كل هذه السنين . إنه ما تعديه كل مساء الشرق عندما يصل إلى هذه السن . . وقد حررق ألبرتو من المعاناة . .

وتركنى ألبرتو عارية فوق الفراش . قاتلاً :

- سأراك غداً .

وفي لحظة خلعت من أصبعى حاتمى السوليتير الذى يحمل فصاً ماسياً به ثمانية قمرابط . وكنت قد اشتريته منذ أكثر من عشر سنوات ثلاثة آلاف

حيه ورعاً يسوى الآن ثلاثين ألفاً ، وأعطيته لألبرتو قاتلة .

- به . . واشتر لنا سيارة ألفا روميو . .

وأحله ألبرتو بعد أن قبل أصبعى الذى خلعته منه ،

إنه حين غال دفعته للمفجأة التى فوجئت بها . . معاذة أنى ما زلت أعيش بحساسى كامراً . .

ومهما كان الشئ الذى دفعته فلا يمكن أن يقاس بما دفعه زوجى عبد اللطيف خلال كل هذه السنوات وخصوصاً بعد أن تعدى لستين حتى يمارس إحساسه برحولته

مع نساء أوروبا اللاتي يقدمن نفس ما يقدمه ألبرتو . . يقدمن متعة الإحساس . . . . .

ومنت ليبتها . لعلى لم أم من أغنى على فقد كان ألبرتو قد استنزف كل قوى من ساعة أن قابلته في الصباح حتى تركنى على فراشى بعد منتصف الليل . .

وستيقظت في حوالى الساعة الثانية بعد الظهر . لا . لم أستيقظ ولكنى وزعت نافرة من فوق الفراش كأن ناراً مستنى ، وكل ما حدث أمس يطلق

في رأسى . . كيف استسلمت لكل هذا . . إن هذا النصف من المحترقين أمثال

ألبرتو أعرفه وأسمع عنه منذ زمان ولكنى لم أستسلم أبداً . بل لم يكن يحظر على بالى التعرض لمثل هذه التجربة . . وزوجى إنه يعيش حياته الخاصة منذ سنوات وقد احتملها دون أن أحاول أبداً أن أعطى لنفسى الحق فى حياة خاصة بى انتقاماً منه أو ردّاً عليه . ثم مركزى وقيمتى فى المجتمع المصرى والعربى والأوربى إن المركز والقيمة لا يصعبهما ما يعرفه الناس عنك ولكن ما تعرفه عن نفسك وما أعرفه عن نفسك الآن يهدم مركزى وقيمتى . وأولادى يا حمر . كيف أواجه أولادى وأحفادى وفى صدرى حطية كبيرة أحفياها عنهم . إن الإحساس بأنى أخفى عنهم شيئاً يضعفتى أمامهم . يجعلنى أستسلم لأخطائهم . لو وقت ابنتى أمانة فى حطية ماذا أقول لها وأماها وقعت فى نفس الحطية . والله ماذا يفعل بى الله . . إنه قد يعفو للرحل ، بل مسحه الحق فى الزواج من أربع حتى يحميه من الخطية . أما المرأة فهو لا يعفو لها بسهولة ولم يمتنعها شيئاً تحمى به نفسها إلا إيمانها به واستسلامها لحكمته . . قد يصب غضبه على فى صحتى ، أو فى أولادى ، أو فى زوجى . . يارب كن غفوراً . . احشنى من غصلك . وقررت أن أقوم وأنظروا وأصل . ولكن هذه الحجرة كلها لم تعد تصلح لأداء صلاة . . إنها موقع الخطية . .

وتعذبت ساعات طويلة حاولت خلالها أن أقنع نفسى بأن ما حدث ليس شيئاً كبيراً ولا غرباً ، وأنى يجب أن أتححر من التقاليد القديمة وأعيش المجتمع الحديث . . إن فى الجزيرة عشرات من الرجال من أمثال ألبرتو وكل منهم يبيع بصاعته لسيدات كهن فى سى وأكرم متى وكلهن من عائلات كبيرة ثرية بل حتى المجتمع العربى . كثير من السيدات المحترمات يتعاملن مع أمثال ألبرتو كلما خرجن من بلادهن . بل إن سوق النساء العرييات أصبحت هى

لعمل الواجبة لصناعة ألبرتو . بل ربما كان ألبرتو لم يختفى ليقب على شيئا . . لأن حرف أى عربية ، وأقيم فى هذا الفندق فأن ثرية . ثراء بترولى . . وقد . . معادلاً ربما أكثر مما تدفع سيدات البترول . .

وذهب فى غرقى حتى المساء لم أطلب شيئاً آكله ولا حتى كوب ماء . . ثم لب إلى بهو الفندق فى المساء وقد قررت أن أنسى أى علاقة بألبرتو ، ولا محرو لأم . .

ووجدته أمامى كأنه كان فى انتظارى . وقت له موراً :  
 آسفة مسيو ألبرتو . . إلى متعة وفى حاجة لأن أتق وجيدة .  
 وقال فى هدوء واتسمته الحوة تتطلع إلى شقى :  
 - هذا ما كنت أنتظره . فإنى أعرف أنك ما زلت مبتدئة .  
 وابتعد عنى . .

وعيناي تجريان وراءه وإحساسى يأخذ فى التحريك . . إحساسى بأنى امرأة فى أريده . . إن ما تركه فى ليلة أمس لا يمكن أن أخلص منه بمجرد قرار . .  
 إلى أحسن بكل قطعة من حسدى فى لفة إليه . . شفتاى . . صدرى . . ساقى . .  
 لقد أصبحت . . أصبحت مريضة . . ولن أقاوم مرضى وأنا وهو فى مكان واحد . .  
 وبسرعة انصهرت إلى مكتب الفندق وحجرت مقعداً فى الطائرة التى تنحى إلى أينما صباح العدد . . وما كنت أتعد عن المكتب حتى وجدت ألبرتو أمامى يقول فى صوته المنعم الهادئ :  
 - هل تسمحين أن أصبحك إلى المطار . . هناك شيء يبق دائماً ولا يكف شيئاً . . وهو الصدقة . .  
 وأجبت وأنا أعرب من إغرائه ومن ضمى :

- نعم . . نعم . . أراك في المطار . .

وعدت أخرى إلى غرقى دون أن أتناول طعام العشاء ، ونضت أن أموت لو تمكث دون أن أكل فطلبت قطعة من الساندوتش وكوب ماء . .

ولم أتم ليلتها . . أتعلب في صراع بين ما يريد هذا الإحساس الذى آثاره في ألروني ، وبين تصميمي على أن أعالج نفسي من هذا الإحساس . .

وفي الصباح لم ينتظري ألبرتو في المطار ولكنه انتظري في هو الفندق ، وقام بكل الإحراجات الخاصة بنقل حقائبي ونصفية حساني ثم وضعني في سيارة يقودها . ليست السيارة القديمة وليست جديدة ، وقال :

- إذا التقينا مرة ثانية سركبن الألفا روميو . .

وكل ذلك دون أن يحاول إقناعي بالعدول عن السفر . . لم يطلب شيئاً بدت . . كأنه فعلاً طبيب يجد أن العلاج الوحيد لحالتي هو أن يتركني أتعهد القرار

نفسى . .

وقبل أن أتركه في المطار أعطاني بطاقة تحمل اسمه وعنوانه . قائلا :

- إنه عنواني في روما ولكنهم من هالك يستطيعون أن يتصلوا بي في أى مكان أنا فيه . . إذا احتجت إلى . .

ورفعت عنى إليه ولم أتكلم . . ولا حتى كلمة وداع . .

وحريت إلى الطائرة . .

وفي ألبانيا اتصلت بروحي عبد اللطيف في لندن وطلبت منه أن يأتي إلى في اليوم نفسه . . ولكنه لا يستطيع أن يترك لندن قبل يومين ، فقلت له إلى مريضة وسأعود غداً وحدي إلى القاهرة .

وعدت .

لعل أنسى وأشقى من إحساسي بأنى امرأة . .

.. ..

بعد ستة شهور قرر روجي عبد اللطيف أن يسافر إلى برلين في عملية جديدة . .  
سعى الخبير كان المعروف أن أسافر معه ولكنى صرخت دون أن أتعهد الصراح  
كأنه فاجأني بشيطان خفيف :

- لا . . لن أسافر .

وقال في دهشة :

- لماذا ؟

تمت :

- لأنى زهقت من السفر ولم أعد أحملي

قال :

- ولكنه عمل . . ولعمل في حاجة إليك وأنت تعرفين أنك عندما تكونين معي  
دون ما يمكن أن أصل إليه في شهر أصل إليه في يوم . . إن لروحة تفتح دائماً  
أوب المجتمع اتحاد أمم روحها . . عدم تكويني معى ندعى إلى جلسات عذبة  
وتعريف عى روحيات لآخرين وهذا هو أقصر طريق لاجاح العملية . . وعندما  
أتمكّن وحدي أدعى في النوادي الليلية وفي المكاتب . . وكل واحد من الآخرين  
ينسى أن أكون وحدي حتى يستل صياقتي في السهر بعيداً عن روحه ولكن هذا  
الأسلوب يعطل العملية ويفتح مجالات كثيرة غير محترمة . . وأنت تعرفين كل ذلك  
وأنا أعرف أنك تسمين لي لاجاح . . ولن أجمع بعيرك .  
وكتت فعلاً أعرف كل ذلك . . ورغم أنى حاولت كثيراً أن أقنعه بإعفاني  
من صحته إلا أنه أصر واصطرت أن أقبل ولكنى قلت :



- في شرط واحد . ألا تركني وحدي . . غير مسموح لك بأجرة زوجية .

وقال مستريحاً :

- موافق . . ولا دقيقة وحده . .

وسافرنا .

وتحت العملية

وفي نفس اليوم بدأ عبد اللطيف يقتنع بأنه مضطر أن يسافر إلى لندن وحده .  
وصرخت :

- حذني معك . .

قال :

- ليس هذا في صالح العملية . . إني سألتني هناك شخصيات عربية  
والعرب لا يصحبون زوجاتهم . العمليات معهم تتم في النوادي الليلية والكباريات  
كما تعلمين .

وكنت أعلم . . ولكني أعلم أيضاً أن ما يسعى إليه عبد اللطيف ليس لقاء  
الشخصيات العربية ولكن الارتقاء في حياته الخاصة ، وقد أصر على السفر وحده .  
وقلت له إني سأعود إلى القاهرة غداً أو بعد غد .

وسافر زوجي . .

وكنت وحيدة في غرفتي بالفندق . . ووجدت نفسي أبحث عن البطاقة  
التي تحمل اسم ألبرت . . وكنت أحتفظ بها كنوع من التحدي لنفسي . . نوع  
من إقناع نفسي بأنني لا أخرب ولكني أقاوم . . وقلت البطاقة في يدي واتسمت  
ابتسامة ساحرة . . أسخر من نفسي . .

وطلبت روما بالتليفون ، وردت علي صوت نسائي ناعم ، سألت عن ألبرت ،  
قلت :

- إنه في إسبانيا . . مايوركا . . احتفظني بالخط سأحول لك المكالمات . .  
وسمعت صوت ألبرت . .

وقلت في هدوء :

- ألبرتو قائلتي في سان مورتيز . . غداً

❧ یا أنت . . دغنی لغزوری ❧

أنت . .

لعلك تسألني لماذا انقطعت عنك طوال هذه الشهور والواقع أنني لم  
أقطع عنك وحدك ولكنني انقطعت عن كل أصدقائي خارج لسان ، ربما لأنني  
فقدت ثقتي بنفسى إلى حد أنى لم أعد أستطيع أن أواجه أحداً حتى ولو بمجرد  
تبادل المخطابات أو التحدث في التليفون .

وأنت تعلم كم كنت معزولة بنفسى خصوصاً عندما أكون خارج لبنان . .  
كنت أقوم من نفسى أستاذة على كل مجتمع أحد نفسى فيه ، وأعطى لنفسى  
الحق فى توزيع الدرجات على طلبة علم التقدم الحضارى . . وأنا - أستاذة  
علم التقدم الحضارى - لم أكن أقلر مستوى أى طالب فى أى بلد عربى  
بأكثر من صفر . . وأنت وحدك كنت أمتحك درجتين من عشر درجات  
رعا لأننى التقيت بك وأنا مازلت طفلة لم أتمكن بعد كل عناصر الغرور . .  
الجمال . . والذكاء ، والثراء المكتسب بالعمل لاثراء الصدفة الذى تحققه  
دار التورل ، ثم قوة الجذب فى كل المجتمعات العالمية التى حققت فى عاحاً  
لا تحلم به أى فتاة أخرى . كل هذا خلق لى الشخصية التى كنت أعتر بها .  
شخصية الأستاذة . . شخصية العبقرية . . الشخصية التى كانت تمنحني

الحق في أن أوزع تصانحي على كل من أقابله ، ونصور كل يد تمتد إلى  
كأنها تستقيت بي لأتقدها أو لأسد حاجتها . .

وقد ضاع كل شيء .

ضاح غرورى . .

\* أصبحت كلما التقيت بأحد يخلج إلى أنه ينظر إلى نظرة إشفاق لا نظرة  
الإعجاب التي تعودتها . . وكلما مددت يدي لمجرد المصافحة أحس بأنه  
يستغلها كأنها يد تستقيت به وتستجديه . . فإذا تحدثت كان حديثه كله دروس  
وبصائح كأنه هو الذى أصبح أستاذاً وأن التلميذة الفاشلة العيبة التي لا تسوى  
أكثر من حفر . .

وقاومت . .

قاومت نفسى حتى أظلمت محتفظة بشخصيتي المغرورة .

ولكن . .

لا أمل . . لم تعد هناك وسيلة للاحتفاظ بهذه الشخصية إلا أن أعزل بها .  
انعزلت عن كل الناس الغرباء وقد أصبح كل من ليس لسانياً غريباً عني  
لا يعيش إحساسى ولا يتكلم لفتى ولا يفهمنى حتى أنت وكانت خطباتك  
تصلنى فأقذف بها بعيداً وأنا أحاول أن أقمع نفسى بأنى أتعلى عليك . وعدم  
تحدثت في التبعون أكر نفسى عليك كأنى أرفضك . لعل بهذا التعالى وأرفض  
أستطيع أن أحس بأنى ماريت محتفظة بشخصيتي المعرورة ، وإن كان الواقع  
هو أنى كنت أخاف هذه الخطابات وهذه المحادثات التليمبية لأنى أعلم أب  
لا تحمل إلا مجموعة من التصانح النافهة والاقتراحات الفارغة التي تشبع  
إحساسك بأستاذيتك وترضى بها شهوة الشماعة . .

### الشماعة . .

بني أعيش في إحساس بأن العالم كله شامت فينا . . كل فرد من بني البشر يتلذذ  
بما يحدث لنا . . يتلذذ بدمائنا التي تغرق الشوارع ، وكياننا الذي يتهدم ،  
وصرحنا الذي يشق قلوبنا . . وقد يدرف العالم دموعاً شفقة علينا ، ويصف كرونا  
أسود حداثاً على قتلانا ولكن وراء هذه الدموع وهذا الكرافة فرحة في القلب .  
فرحة الشماعة . . فرحة سوداء . . وربما كانت شماعة الإنتقام من سنوات الغرور  
بدي عشا مصه على العالم . شماعة التخلص من السيطرة اللسانية التي لم تكن  
تعتمد على شيء إلا على الذكاء الغرورى . شماعة إنبصار الشيء على اللاتشي .  
وقد كنا لا شيء ، ورغم ذلك كنا نسيطر على كل العالم العربى إلى أن انتصر  
عينا شيء . . شيء مجهول . . وربما لأنه مجهول فقد انتصر . . فالمجهول  
هو الله . .

ولعل الشماعة التي أحسست بها يوماً كأنها سكين تذبحنى هي شماعة هذه  
المراة التي تدعى ايفيت . . أنت تعرفها بل أنت الذى قدتها إلى دون أن تدري . .  
« بعيت مصرية مسيحية يسرى في عروقتها دم أنجى لا أدري أهو دم أرمى أم حريكى  
أم فرسى ، المهم أنها قدمت إلى نفسها عندما جاءت إلى بيروت على أنها مصرية  
وأنت الذى عودتني على أن أحس بمسئوليتي عن كل فتاة مصرية تصادفني . .  
أحبها لمجرد أنها مصرية ، وأعطيها لمجرد أنها مصرية . . ربما لألك يوماً ما كنت  
مسئولاً عني . . مسئولاً عن تكوين عقليتي وفكرى . . كان عقلك المصرى هو  
الذى هذب عقلى اللبباني . ولهذا تعودت أن أرد لك الحميل في كل ماهومصرى .  
وكانت « ايفيت » تلمد مسكينة ، غيبانة ، رغم أنها حميلة . وعرفت أنها من عائلة  
كث غيبة في مصر وكان أبوها يمتلك مصنعاً للرحام ، ثم فرضت عليه الحراسة ،

وضاعت كل أمواله، ورغم ذلك بقي في مصر وبيت «إيفيت» معه، تحاول أن تعطي حرمها بأن تكتسب صداقة بنات وولاد الطقة المصرية الجديدة كما حاولت أن تكتسب صداقتي عندما جاءت إلى بيروت بصحبة بعض صديقاتي المصريات .  
 « ولا تدري ماذا فعلت لإيفيت . إلى منذ اليوم الأول أقمت من مسمى أستاذة عيباً بحكم غروري بنفسى، وبدأت أقدمها لمجتمعات بيروت الراقية . وحتى تشرفنى في هذه المجتمعات كنت أشتري لها الفساتين، وأعطيت من عدى الحوارب وأدوات المنكياح . وأرسلها إلى حلاق الحاص ليدوى شعرها ويرسل لي بقاتورة الحساب . وكانت هي تقدر كل ذلك وكانت حريصة على أن تحفظ لي بغروري . وضعت نفسها كسكرتيرة لى . دائماً تتأخر عى بخطوة إلى الورا ونحن ندخل أى مجتمع . وقد تدهش لإحساسى بقيمة هذه المظاهر رغم أنى فتاة مارلت في الثانية والعشرين من عمرى ولا يهمنى أن أظهار بسكرتيرة أو بدلولة تسير خلفى . ولكن هكذا أنا . أو ربما هكذا لبنان الغرور الحضارى . أو ربما كانت هذه هي عقدة اللاشى . فإن اللاشى يظهر بأنه شئ . ونحن لا شئ .

ولا شك أن إيفيت حققت نجاحاً في مجتمع بيروت . ولأنها مسيحية فقد تحاطفها الشبان المسلمون . فلهذه هى أيضاً عقدة في لبنان . الشاب المسلم يهيم أن يستل على فتاة مسيحية ، ولشاب المسيحي يهيم أن يستل على فتاة مسلمة . مجرد شهوة طائفة .

وكانت إيفيت حريصة على أن تقدم لى كل يوم تقريراً عن كل علاقاتها مع المجتمع أو مع أى شاب . كأنه تساندى ، أو كأنه تقمى بأبى لا يمكنها أن تدنو أن تستغنى عنى . وكانت دائماً تأخذ بنصائحي . كنت أطلب منها أن تتعدو

دعوة ، فتعذر ، أو أنصحها بأن تقاطع شأباً من الشبان تقاطعه . وكان ذلك يجري في إطار من الصداقة الحلوة وإن كان فيه ما يرضى غرورى .  
 « هذه أيضاً ما يدفعنى إلى الاستمرار في تحمل مسئوليتها

إلى أن تعرفت إيفيت بشاب من أثرياء الصدقة - أقصد أثرياء البترول - استمرت في هذه الصداقة مع موافقتى إلى أن عرض عليها أن يأخذها معه في شواطئ الريفييرا ونصحها أن تقبل بعد أن قصبت ليالى أشرح لها كيف يمكن تحفظ به . إنها لن تحتفظ به إلا إذا احتفظت بشئ لم يأخذه منها . اعرف هذا . أنا أستاذة التقدم الحضارى . أنا المغرورة .

وسافرت إيفيت ونقبت حريصة على أن تكتب لى . إلى أن بدأت الأحداث في لبنان . حدث كل هذا الذى حدث . وبدأت نوبة الضياع وفقدان ثقة في مسمى ترهب على صدرى ، وفكرت أن أسافر إلى أثينا في اليونان لأزرح . كنت أعلم أن إيفيت هناك . لم أقرر السفر إلى أثينا لأنها هناك بل لأنى تعودت أن أزرح هناك . أى أنى لم أكن في حاجة إلى إيفيت . لا يمكن أن أحتاج إليها أبداً . ولكن لأنها هناك فقد شرقتها بأن أرسلت لها بريقة بمود وصول .

ووصلت أثينا ، ولم أجد إيفيت في انتظارى ، ولكنى وجدت سائق سيارة يحمل لائحة مكتوباً عليها اسمى ويطوف بها بين الناس . إن إيفيت لم تأت لاستقبالى ، لكنها أرسلت لى سيارتها . ما شاء الله . والله عال يا مست إيفيت . ورغم ذلك كنت السيارة وأنا أقول للسائق في لحظة أحاول أن أعبر بها عن كل غرورى :  
 - أوتيل هيلتون .

وقال السائق في برود :

- السيدة تنتظرك في البيت .

يا سلام سلم .. جناب السيدة إيفيت تنتظرنى فى بيتنا .. ولا أدرى لماذا  
سكتت وقبلت .. ربما تغلبت على عقلية الدبلوماسية اللبنانية .. عقلية إدارة  
الأعمال .. أن تأخذ كل زبون وفقاً لشخصيته ..

واستسلمتى إيفيت وفى عينيها نظرة كأنها تستغل بها فتاة مسكينة فقيرة مشردة .  
خيل لي إليها أنها نفس النظرة التى استغلتها بها أنا عندما جاءت من مصر وهى  
مسكينة فقيرة مشردة ..

وقبلتنى إيفيت كأنها تقبل صديقة مريضة راقدة على سرير فى المستشفى .  
أو ربما كانت قبله أشبه بالقبشيش تحسن به على فتاة شحاذة .. وقالت وهى  
تبسم لى ابتسامة ضعيفة خيل لي أنها محاولة فاشلة لإدارة شئاتها فى :

- كنت أنتظرك من مدة .. وقد خصصت لك غرفة فى البيت . قد لا  
تكون على قدر غرفتك فى بيروت ولكنها على الأقل غرفة فى بيت ..  
قلت وأنا أنظر إليها فى دهشة :

- لقد حجرت فى الهيلتون ..  
قالت كأنها أصبحت مسهولة ضئى :  
- لماذا الهيلتون .. كوفى واقعية .. وأقوى معى هنا .. وقد دبرت لك

كل شئ ..  
قلت وقد بدأت أواجهها فى سخط وتحد :

- أفضل الهيلتون ..  
قالت وهى تظفر لى فى تعجب :  
- لا تكونى عنيدة ..

وابتسمت كأنى أتعف عن نفسى ألم الجرح وقلت محاولة أن أحادثها بنفس

الأسلوب الذى تعودت أن أحادثها به فى بيروت :

- المهم .. كيف حالك مع صديقك .. احكى لى بالتفصيل ..

وقالت وهى لا تزال واقفة أمامى كأنها أستاذتى :

- ليس هذا مهماً .. المهم هو أنت .. إننا سنقيم فى أثينا مدة طويلة .. و ..  
واقطعنا فى حدة .

- لن أقيم هنا إلا بضعة أيام .

قالت فى دهشة :

- ثم إلى أين ؟

قلت :

- العودة إلى بيروت طبعاً .

قالت كأنها تصرخ :

- هل أنت مجنونة .. بيروت انتهت .. صديقى .. دبرى أمرك من  
اليوم واتركى لبنان ..

فقلت وأنا أنتفض أمامها :

- أنت المجنونة .. لم ينته شئ .. وأنا لست هنا كمهاجرة . ماذا  
تصورين .. هل أصبحنا كالفلسطينيين كئيت علينا الهجرة من بلادنا ..

إن فلسطين أحدها اليهود أما لسان فلا تزال لنا حتى لو عشتا فيها يقتل بعضنا  
بعضاً .. واسمى .. كوفى معى كما تعودت أن تكونى .. لا شئ تغير ..

وظفرت لى وبين شفيتها ابتسامة ساخرة تنفضح شئاتها :

- أعتقد أن كل شئ تغير ..

وخطوت نحو الباب كأنى أخرى مها قائلة :

- سأذهب إلى الفندق .. اتصل بي هناك .

قالت وهي تجرى ورائي :

- انتظري ..

وصلت إلى يدها بكمية من النقود اليونانية ، وهي تقول :

" كنت قد دبرت كل شيء على أن تسمى ممي .. بل إلى اشتريت لك ثوبين وحذاءين وأنا أعرف مقاسك .. ولكن ما دمت عتيقة وتريدين الإقامة في فندق فقد تكونين محتاجة ..

وأمكنك النقود بين أصابعك كأنك أنتحس مجموعة من الدبدان السامة ، ثم ألقيت بها في وجهها بنصف وأنا أصرخ :

- قلت لك أن لا شيء تغير ..

ونزلت أجزى على السلم وأنا أغل بالثورة في داخلي .

إن الناس تظن أننا وصلنا إلى حد الإفلاس . إهم لا يعلمون أن سر ثراء بيروت أنها لا تحتفظ بأموالها في داخلها . إن ما في بيروت هي أموال العرب أو أموال الأجانب وكل أموال اللبنانيين خارج بيروت .. لا يحتفظ لبناني في بيروت إلا ما يكفي حياته اليومية .. ولكن ثروته .. كثره .. دائماً خارج بيروت .. ولذلك ، رغم كل هذا الدمار ، فنحن أقوى وأعنياء أقوى من شاة الناس فيما ..

واعترضت لإيفيت عندما حاولت أن تلتقي في المساء .. قلت إلى متعة وفي اليوم التالي سافرت إلى جزيرة كورفو .. قضيت أياماً .. وحيدة .. أمتص حيرتي وعذابي .. ثم عدت إلى بيروت .. العودة دائماً إليها .. إلى بيروت ..

يا أنت ..

إني لا أكتب لك لأني في انتظار وأيك ولا استجداء لمواساتك ، ولكن لأني فقط تعودت أن أرتاح وأنا أكتب لك .. وأحس وأنا أطلعك على أسراي كأنني ألقى بها في بحر لا قرار لها .. ولكن .. هل يمكن أن يكون في لبنان كله ما يسمى سرّاً لا أظن .. إن المجتمع اللبناني عندما قرر التعامل مع الواقع مهما كان مصبول هذا الواقع ، أراح نفسه من نقل الأسرار .. ولكن الأسرار لها صلعها ولذتها وكنت أمتني دائماً أن يكون لي سر .. ولأني لا أجد لي سرّاً في سان بعد كنت أكتب إليك لمجرد إقتناع نفسي بأنني أبوح بسر لرجل غريب يعيش بعيد عني

وحكايتي مع طولي منذ بدأت لم تكن سرّاً في لبنان حتى لو تظاهرت أمامك بأنها سر حطيطاً طلعك عليه ..

أنا مسلمة .. وهو مسيحي .. عاروف ..

وعائلتي تقيم كما تعلم - أو كانت تقيم - في حي الأشرية .. حي الأعلية المسيحية .. ثلاث عائلات إسلامية فقط تقيم في شارعها والباقي عائلات مسيحية معظمها مارون . ولم يكن لذلك أي أثر في مجتمع حي الأشرية . أو على الأقل بين العائلات الكثيرة العنية في الأشرية .. كانت أعر صديقاتي هي عابدة وهي مسيحية من الروم الارثوذكس وسرين وهي مارونية وفاتيما وهي بروتستانت .. و .. كنا دائماً معاً وسهرات البيوت نجتمعاً كلها . رقص معاً . ونضحك معاً .. وقد تشافس مسلمة ومسيحية على رجل واحد ..

ولم أعرف طولي وأنا صغيرة ، ولم يكن من أبناء الجبران ، ولكنني انضيت به منذ عابدين فقط خلال حفل ساهر أقامته إحدى عائلات الحي .. وفي خلال

لنشر الدعوة .. نشر الإسلام .. من يريد مسلمة فليسلم .. والإسلام في لبنان لم يعد في حاجة إلى دعوة ، فقد أصبحت أغلبية الشعب اللبناني مسلمة ، والمسيحيون يدخلون في الإسلام أمواجاً على الأقل حتى يحصلوا على حق الطلاق من زوجاتهم المسيحيات .. ثم إنني أستطيع تقرباً إلى الله وتكفيراً عن أفاعيتي أن أجعل من أولادى وأولاد طولي مسيحيين .. أفراداً في طائفة الإسلام .. إلى واثقة أنني أستطيع ..

ولم يكن كل ذلك يعني أننا ستزوج اليوم أو غداً .. فطولي لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره ورغم أنه من عائلة مارونية ثرية إلا أنه لا يزال في حاجة إلى وقت حتى يقيم لنفسه شخصية مستقلة ويستطيع أن يتزوج حتى لو تحدى أهله .. ليس قبل أن يصل إلى الثلاثين .. ورغم ذلك لم يكن التخطيط للزواج يتوقف بيني وبين طولي .. إلى أن بدأت الأحداث ..

وقد بدأت وكأن لا شيء يمكن أن يحدث .. مجرد تعبير عن الرأي بطلقات الرصاص .. وفي كل يوم كنا نؤكد عن إيمان بأن كل هذا سيتهي غداً .. إن من طبيعة الشعب اللبناني التفاؤل ، وكان تفاؤلي كل طائفة يجعلها تتصور أنها ستنتصر غداً .. ولكن لا شيء يتهي .. وشوارع الأشربة تزدهم بالشبان المسلمين ، وكنت أعرف أنهم من أفراد الكتائب أو من أفراد حزب شمعون، ولكنني عندما كنت أذهبهم في الطريق كان يحيل إلى أنهم غرباء .. رجال آخرون غير رجال لبنان .. هذه النظرة التي يتطلعون بها إلى لم أصادمها أبداً من قبل .. وهذه الشعاع المقلوبة التي تكاد تطلق بصفة على وجهي لا يمكن أن تكون شعاعاً لثانية .. وبدأ إحساس حديد يسيطر على كل ما خرجت إلى

أسابيع أحس كل ما كأنه مرتبط بالآخر إلى الأبد .. ولم تحضر شهور إلا وكنت قد قررت أنني لن أتزوج إلا طولي .. كان المجتمع قد بدأ يستسلم لحسا ولم يسر إلا الزواج .. وليس هذا حرماً في المجتمع اللبناني .. مسلمة تتزوج مسيحية حتى لو تزوجت السنة بالمارون .. وابنة زعم لبناني مسلم متزوجة من مسيحي مويسري .. وابنة زعيم إسلامي آخر متزوجة من مسيحي فرنسي .. وكبير قضاة لبنان المسلم متزوج من مسيحية لسانية .. وأحد أصدقائك مسلم متزوج من عائلة مسيحية معروفة ، وصديق آخر مسيحي ماروني تزوج من مسلمة .. وابنة مؤسس دولة لبنان المسلم اعترف المجتمع اللبناني بحبا المسيحي وأصبح يستقبلهما على أيهما خطيبان رغم أنهما لم يعلما خطبتهما ولا قررا الزواج ليس غريباً في المجتمع اللبناني أن يتزوج المسلمون والمسيحيون .. ولم يكن غريباً أن أقرر الزواج من طولي .. ولكن التقاليد في لبنان ترفض أن توفق العائلتان على هذا الزواج .. ثم يتركان لثلاثين حرية التصرف .. فإذا أعلن المسيحي إسلامه ليتزوج من مسلمة فرحت العائلة المسلمة وأقامت حفلاً صاحباً كأنها تعلن انتصارها بالاستيلاء على مسيحي وضمه إلى حظيرة الإسلام .. أما إذا راعى الاثنان عدم جرح عائلتهما فإنهما يسافران إلى قبرص ويتزوجان هناك زوجاً مدنياً ، ويعودان زوجين لا يثبت المجتمع كله بما فيه عائلتهما أن يعترف بزواجهما ..

وكان فكري ينتجه إلى أن أتزوج طولي زوجاً مدنياً لا لأنه رفض اعتنا الإسلام حتى يتزوجني ، ولا لأنني رفضت اعتناق المسيحية لأتزوجها .. لا كان تمكيري قائماً على اقتناع .. قائم على الارتعاع فوق الطائفية الدينية والإسلام في اقتناعي - حرم على المسلمة الزواج من غير المسلم كـ



الشارع . . إحساس الخوف . . إننا لم نعود الخوف في بيروت . .

والأحداث تزداد بشاعة . . القتل يسقطون في حين . . حتى الأشرفية ،  
ورغم ذلك لم أكن أريد أن أعترف أو حتى أنصور أنها معركة بين المسيحيين  
والمسلمين . . إلى ما زلت أتأزور وأتحدث في التليفون طول النهار والليل مع  
صديقاتي المسيحيات . . وعندما يسقط أحد المسلمين قتيلاً نيكى عليه كلنا  
وعندما يسقط مسيحي فربما يشتد البكاء أكثر لمجرد أنه يمثل أعلىة المحي . .  
ثم طوفى . . إنه لا يزال حبيبي وسيبقى حبيبي . . بل إن أمي بدأت تعلق به  
وتكف عن رفضها له ، ربما لأنها أرادت أن تتخذ منه حماية لنا داخل المحي .  
مسيحي في بيتنا فلا يمكن أن يعتدى علينا المسيحيون . . ولكننا لم نكن نستطيع  
أن نستمري في خداع أنفسنا أو التعلق بارتباط السير الطويلة مع حيرتنا المسيحيين .  
والمارون بالذات . . وصمم والذي على أن ترك الأشرفية . . أن نهاجر إلى حي  
آخر نحمي فيه ونعيش فيه كمسلمين مع مسلمين . . وربما كان ما يدفع والذي  
أكثر إلى الهجرة من الأشرفية هو خوفه على أخى ياسر . . إن أمي نفسه هادئ عاقل  
يستطيع أن يتصرف بحكمة مع الأحداث . . وأنا وأختي وأمى لا خوف علينا .  
لا يمكن أن يصل الاعتداء إلى النساء . . ولكن أخى ياسر ، رغم عدم اتقائه إلى  
أى تنظيم من التنظيمات المتفائلة إلا أنه شاب وهو حري . . بهوى أن يعرف ويعبر  
كل شيء بنفسه . . ومن يدرى ، لعله في خطوة يضيغ ،  
واستسلمت للهجرة بعيداً عن الأشرفية وبعيداً عن حبيبي طوفى من أجل  
أخى ياسر . .

وكانت هذه هي الأيام التي سافرت فيها إلى اليونان لأستريح كما رويت لك . .  
وقد عدت بعد أسبوعين . . ولم أصدق أذننى بما سمعته . . لا يمكن أن يحدث

كل هذا . . ويحدث في لبنان . . إهم لا يكتفون بالقتل . . إهم يشوهون  
قتلهم . . يحرقونهم قطعاً . . وهم يعتدون على البيوت . . يسرقون ويدمرن .  
كلهم . . كلهم . . ليسوا مسيحيين ولا مسلمين . . كلهم . . كلهم  
وصدقنى أن الإحساس الذى كنت أعيش فيه هو أن كلهم ليسوا لبنانيين .  
ولا حتى سنة ولا شيعية ولا دروزاً ، ولا مارون ، ولا روم أرثوذكس ، ولا كاثوليك ،  
ولا بروتستانت . . ولا . . ولا . . إهم ناس غرباء لا نعرفهم . . جيوش جاءت  
من الخارج واحتلوا مناطق محددة يتحاربون فيها ، بدليل أن خارج هذه المناطق  
كل شيء هادئ . . إن أمي يمارس عمله . . وأخى يطير من بيروت إلى الكويت  
ليباشر عمليته هناك ثم يعود في اليوم التالى وأمى لا تزال مهتمة بالشخط  
في أم نعيمه حتى يجيد تقديم اللبنة والكبة . . وأختي تنتق ثوبها الذى سترور به  
صديقتها . . أنا وحدى التى ستنح . . لقد اعتدى الغرباء على بيتنا في الأشرفية  
وكنا قد تركنا فيه أئمن ما يملكه بيت . . تركنا الكثير لأننا كنا نصور أننا لن  
نعيب إلا أياماً . . السجاجيد العجمى ، وقطع الأوبالين ، وقطع من مجوهراتنا ،  
وكل قطع ذكريات صباى وشبابى بما فيها السلطة لمرصة بالقيروز التى كانت  
أول ما أهداه لى طوفى . . وكل العائلة استسلمت لهذا الاعتداء . . استسلموا  
لفقدان بيتنا . . أمي يحمد الله على أنه لا يزال يحفظ بحياته . . وأخى ييضق  
على الأرض ويؤكد أنه يشتري لنا أكثر مما ضاع منا ، وأمى بكثت أياماً ثم  
استطاعت أن تتناسى . . أنا وحدى المجنونة . . أعيش كأنه لن يكون  
لنا أبداً بيت بعد بيت الأشرفية . . إن طوفى يستطيع أن يعيد لى بيتى . . إنه  
هناك في الأشرفية . . ويستطيع أن يعيد لى البيت . .  
ومنذ وصلت وأنا أبحث عن طوفى ولا أستطيع أن أجده . .

لم يعد أمامي إلا أن أذهب بنفسى إلى الأشرفة . . إلى بيتنا . . إنهم يرمونى هناك ولن يعتدوا على . . ثم إلى فتاة . من يعتدى على فتاة عزلاء حتى لو كان من هؤلاء الغرباء الذين يتقاتلون . .

ولم أقل إلا لأمى . .  
وصرخت أمى . . يا مجنونة . . إنهم ميقتلونك . .

ولكنى مصممة .

سأذهب إلى الأشرفة . . إلى بيتنا . . إن طوفى هناك وسأكون فى حمايته . .  
ونوفاً من أن تلجأ أمى إلى أبى ليحول بينى وبين الأشرفة . . جريت من أمامها إلى الشارع . . وإذا بها تخرى ورائى وتنحى فى . . ثم تمسك يدي وتسير بجانبى وتقول وهى تقاوم دموعها :

— سأذهب معك . . ريثما يستر . .

وركبنا سيارة أجرة . . وأمى لا تمسك عن ترديد آيات القرآن التى تحفظها . .  
وقفت السيارة عند منطقة رفض السائق أن يتعدها . . ونزلنا إلى الشارع .  
وأمى قد توقفت عن ترديد القرآن . . ولعل عيناها لماماً غربياً كأنها عقيمة على معركة تتحدى بها القدر . . وبدأت تخطو بجانبى كأنها أقوى منى . . منصوبة القامة تنق بقدمها على الأرض .

إننا بجوار عرض الشارع الذى يعصل بين المنطقتين المتقاتلتين . . احتزنا أكثر من نصف الشارع . .

وفجأة . .

انطلقت رصاصة . .

ونظرت حيل فى دهشة كأنى أتعجب ثم صرخت . . إنها أمى . . ترنح ،

وتسقط . . وسقطت فوقها . . ماتت . . قتلوا أمى . . وفوق رأسى رجلان . .  
لا أستطيع أن أميز وجههما . . ربما كانا من أبناء الأشرفة . . ولكن فى هذه اللحظة كنت أراهما من خلال عمامة كثيفة نعبى . . وسمعت صوت أحدهما يسألنى سائخراً :

— هل هى أمك ؟

وتركت جسد أمى ووقفت أمامهما صامتة . . تائهة . . وكل خلجة منى قد شلت . . وعاد الرجل يقول وكأنه يضحك :

— خساره . . كان المفروض أن تكونى أنت .

وقال الرجل الثانى :

— أتركها . . سنأخذها معنا . .

وقال الأول :

— انتظر حتى نعطيا ذكوى أمها . .

وانحنى على جثمان أمى . . وأخرج سكيناً قطع به أذناً من أديها ثم اعتدل ووضع أذن أمى فى يدي وهو يصيح متهقها :

— هدية من أمك . . حتى لا تنسى . .

وأطلقت يدي على ما وضعه فيها وقطرات من الدم تسرى بين أصابعى . دم أمى

وهجأة ظهر رجل ثالث يجرى نحونا وهو يصيح . .

مستحيل . .

إن العمامة تتراح من أمام عيني وأستطيع أن أراه . .

إيه طوفى . . حبيبي طوفى .

وفوق كتفه سلاح . .

إيه واحد منهم ..

وصرخ !

- سميرة ..

ولف ذراعه حول كتفي وأخذ يصرخ في وجه الرجلين كلاماً لا يهمني أن أسمعه أو أفهمه ..

ثم صرخت .. وصرحت .. وصرخت .. وجذبت نفسي من تحت ذراع طوني وجريت عائداً إلى الناحية التي جثت منها .. وطوني يجرى ورائي وهو يصرخ - سميرة .. يا مجنونة .. انتظري .. سأقول لك ..

ولحق بي .. أحست بيده وقد أمسكت بكتفي

وقهقه أيضاً ..

انطلقت رصاصة ..

وسقط طوني .. وسقطت بجانبه .. توقفت أنفاسه .. لقد قتل .. كأني ..

ولكني لا أحس شيئاً .. لم يعد في ما أحس به .. راقدة بجانب جثة حبيبي الذي قتل أمي .. والطلقات تشتد بين ناحيتي الطريق وكلها تمر فوق رأسي .. كم مضى .. ساعة .. ساعتان .. لا أدري .. وتوقف إطلاق النار .. ورأيت رجلاً يرحف ناحيتنا ثم يعود وهو يشد وراءه جثة طوني .. وإسان آخر قرب وحمى إلى نهاية الشارع .. ثم وضعني بين زملائه .. إنهم يسألونني ويطمئنون إلى أنني منهم .. وعندما تبعجوا لأني جازفت بعبور هذا الشارع بصحبة أمي ، قلت : - كنا عائدتين إلى بيتنا في الأشرية .

ونظروا إلى كأنهم يشفقون على مجنونة .. وبلغ أحدهم أدن أمي التي كنت لا أزال مطبقة عليها بأصابعي وصرخ :

- الكلاب ..

ثم سحق فوق جثة طوني وقطع إحدى دمه وألقاها بعيداً ثم أخذ يجرى في بقية حده ..

واسحبت وانتقظت أذن طوني ..

وصمتها مع أدن أمي في يد واحدة .

° ° °

يا أت ..

لا تحاول أن تكتب لي كأنك تعتقد أنني أسألك رأيك .. رأيت لا يساوي شيئاً .. أنا لبنانية وكل لبناني ليس في حاجة إلى رأي أحد .. وقد كتبت لك لمجرد أن أستربح ثم ألقي بما أكتبه في سلة المهملات .. آسفة .. لا أقصد أنك سلة مهملات ..

وعلى كل حال قلن أعطيك عنواني لتكتب لي فقد تركت بيروت في صمم على أن يقذف بي بعيداً عن بيروت .. وإلى أعيش هنا كما تعودت أن أعيش .. مغرورة .. أستاذة علم التقدم الحضاري .. وفوق صدرى عبق قالباً صغيراً من الذهب المرصع بالماس ، وفي داخله أحفظ بأذن أمي وأذن طوني .. إن القلب صنع لي الجواهرى الفرنسى المعروف كارتيه .. إيه حقة قتيبة تثير حسد كل البنات .. ولا تدري كم كلفني .. لا يهم .. إنا دائماً نستطيع أن ندفع .. لم يتعب شيء .. وعندما أعود إلى بيروت سأدعوك تلمس بنفسك أنه لم يشعر شيء

وسأعود ..

ولن أنسى

❦ العذراء والشعر الأبيض ❦



١

إن صرختها لا تزال تملأ أذنيه ؛  
- أنت لست أبي .. كن صريحاً مع نفسك وتذني كما أنا .. وأنا لست

ك

إنها صرخة تتردد كأنها صدى صوت القدر يزه إلى مصيره كل ليلة قبل  
أن ينام ..  
قل أن ينام معها ..

ويصحو كل صباح وينظر إلى عينيها المغمضتين فوق وجهها الصغير ويتشم  
انتفاضة تحمل كل أحاسيسه المتناقضة .. تحمل السعادة بنفسه والخجل  
من نفسه والسخط على نفسه ..

وتعود الصرخة تدوى في خياله :

- أنت لست أبي ..

وقد حاول كثيراً أن يقنع نفسه وأن يحس بأنه أبوها .. إنها تحمل اسمه ..  
شبة محمد عبد الله .. وهو الذي أعطاه هذا الاسم .. هو محمد عبد الله ..  
إذن هي ابنته .. وقد قضى من عمره أكثر من ثمانية عشر عاماً وهو يحاول أن  
يقنع نفسه وأن يحصر إحساسه بأنها ابنته ..

ولكن . .

واتسعت ابتسامته وقد امتلأت بالسخرية من نفسه حتى كادت تنقلب إلى قهقهة مرة ، وعاد فيلم الذكريات يطوف بحياله القيم الذى يعود ويتردد كلما خلا إلى خياله ، دون أنه يستطيع أن يقاوم الاستسلام له . .

كان لا يزال فى بداية شبابه . . فى السادسة والعشرين من عمره . . وكان قد انقضى على زواجه من ( دولت ) أربع سنوات . . إن دولت تكبرة سنًا ثلاث سنوات وقد أحبها وهى زوجة رجل آخر ، وربما كان أقوى ما فى هذا الحب هو نشوة الاستيلاء عليها . . النشوة التى ترعى غرور كل رجل يصل إلى زوجة رجل آخر . . ولكن دولت لم تتركه طويلاً يتمتع بهذه النشوة فقد استطاعت بعد عام واحد من لقاءهما أن تطلق من زوجها وأصبح من الطبيعى أن يتزوجها .

وقد دفعه إلى الاستسلام للزواج الخائب الآخر من حبه لدولت . . جناب الاعتماد عليها ، فمقد أن التقي بها وهو يعتمد عليها ، وهى من الشخصيات التى تعبر عن الحب بالعطاء . . كانت تعطيه كثيراً . . وهو لم يكن قد بد فى بناء نفسه بعد . . كان قد تخرج فى نفس العام من كلية التجارة . . وكان يقوم وهو طالب فى غرفة من بنسبون فى أطراف الجزيرة ، وكان يعيش عن ما ترسله له عائلته المقيمة فى طط . ليس غنياً ولكنه أيضاً ليس محتاحاً فى حدود المستوى المتواضع الذى يعيش فيه . ولكن دولت بدأت تعطيه ونقته من عرفة فى الجزيرة إلى غرفة فى بنسبون بشارع متفرع من شارع قصر النيل . . وقد حاول أن يرفض . . إن يحار عرفته فى الجزيرة ثمانية جنبيات وهذه العرفة الجديدة . . اختارتها دولت إيجارها خمسة عشر جنبياً لا يستطيع أن يدفعها . . وحاولت دولت دفعه بأنها ستحمل عنه دفع الإيجار . إنها غبية ورثت عن أبيها ، وزوجها يعصب

كثيراً ولا بدق فى الحساب . . ولكنه رفض . . إنه يرفض التنازل عن اعتزازه بنفسه وإحساسه بأن الرجل هو المسئول عن المرأة لئى يملكها . . ولكن دولت تلح وهى فى حاجة إلى هذه العرفة الجديدة أكثر من حاجته هو إليها فإنها تستطيع أن تصل إليه فيها ديد أن يكشف سرها أحد . فالعمارة كبيرة فى منطقة تجارية ومن يراها داهية إليه يمكن بسهولة إقناعه بأنها فى طريقها لأن تشتري بعض المشتريات أو فى طريقها إلى الدكتور أو لحياطة اللذين تصمهما نفس العمارة ، أما العرفة التى يقيم فيها فى الجزيرة فهى قصبة ، لا أحد يراها داهية إليه إلا ويصب عليها نظرات العنة ، وأصحاب الشقة أنفسهم رغم أنهم سكتوا نظير الهدايا التى تحملها إليهم كل مرة ، ورغم أنه قدمها إليهم على أنها ائنة عمه إلا أنهم يستقبلونها كل مرة كأنهم يشلمون عنها ثوباً ليروا من تحته ما يراه محمد . . وقد اقتنع محمد بهذا المطق ورعى أن ينتقل إلى العرفة الجديدة على أن يظل يدفع الثأنية الجنيات التى تعود أن يدفعها وتدفع هى الباقى . .

وضحكك دولت قاتلة . .  
- لا . . النصف بالنصف . . كل منا يدفع سبعة جنبيات ونصفاً . .  
ولكنها كانت تدفع كثيراً واستسلم بلثة وغرور إلى ما تدفعه . . نصف ثيابه أصبحت هدايا تقدمها له ، والساعة التى يتباهى بها أمام أصدقائه ، والقلم الذى يكتب به ، بل إنها تحملت مسئولية حياته الخاصة كأنها أصبحت زوجته . رغم أن فكرة الزواج لم تكن تخطر له على بال ولم يكن يعتقد أنها هى نفسها يمكن أن تفكر فى أن تزوجه . . فهى زوجة رجل محترم ناحج يوفر لها احتياجاً ومادياً كل ما تحلم به أى امرأة . . وكان يعتقد أن كل ما بينهما هو ذلك النوع من الحب الذى لا يشمل كل شئ ولكنه يعطى جانباً من النقص

الذى يشعر به كل من الطرفين . شئ ينقصها يعطيه لها ، وشئ ينقصه تعطيه له . .  
إلى أن وحيث بأنها طلقت . . ولم يسبق طلاقها أية مقدمات أو حديث عنه  
بينهما . . مفاجأة صارحة بالنسبة له خصوصاً وأنه لم يكن قد مضى على  
رواحها أكثر من أربعة أعوام ، ولم يكن قد مضى أكثر من عام واحد على لقاءهما ،  
وخصوصاً أنه تأكد من أنها هي التى طالبت بالطلاق . . وكل ما قاله له أن  
أبلغته بطلاقها :

- إلى لا أستطيع أن أعيش لرجلين . .

وكان من الطبيعى أن يفكر فى مصيره معها . . هل يتزوجها ؟ وقبل أن  
يقرر كانت هى قد بدأت تشير بأسلوبها المادئ الناعم إلى الزواج . . هل  
كانت تنتظر أن يتخرج فى الجامعة ويبدأ حياته العامة حتى تطلق وتطالبه بالزواج . .  
لا يدري . . بل لا يدري ماذا يجد فيه مما يفرها بالزواج منه حتى لو كان فيه  
ما يفرها بحبه ، فهو لا يستطيع أن يوفر لها الحياة التى كان يوفرها لها زوجها  
الأول . . لا الحياة الاجتماعية ولا الحياة المادية . . إنها تزوجه وهى تعلم أنها  
ستعطيه أكثر مما تأخذ . . لا يهم . . هذا ما تريده . .

واستلم للزواج بلا حماس وبلا اقتناع تام ، وتركها هى لتحمل مهمة  
اتخاذ كل الإجراءات . . هى التى قدمت لأهلها ، وهى التى اختارت بيتها ،  
وهى التى قامت بتأنيته وهى التى اختارت المادون وهى التى تولت دعوة أقاربها  
واكتفى هو بأن يتولى دعوة أبيه وعائلته . . كل هذا لم يأخذ شيئاً من فكره ،  
فقد كان قد بدأ يفكر فى بناء نفسه . . فى أن يعمل . . وكان يكره أن يكون  
موظفاً فى الحكومة فبدأ يسعى بين شركات المقاولات ويحاول أن يكسب علاقات  
وصداقات مع رجال الأعمال وأهمهم رجال وكالة البيع . . وحتى بعد أن أصبح

زوجين صلاً لم يحس أن هناك شيئاً جديداً يجمعه بها ، فهى ليست غريبة  
عنه ، وليس فيها شئ جديد ، وما تقدمه له بعد الزواج هو نفسه ما كانت  
تقدمه له قبل الزواج . . الاهتمام بكل شئ ومسئولية كل شئ ، كل ما أضافته  
هو أنها بدأت تفتح أمامه أبواباً اجتماعية جديدة كان فى حاجة إليها وساعدته  
كثيراً فى بناء نفسه . .

ومثل اللبائى الأول من الزوج أحس بأن هناك شيئاً تريده وتسعى إليه  
دون أن يدو ما هو ، إلى أن انقضى أكثر من شهر عندما قالت له يوماً :  
كل ما ينقصنا اليوم يا محمد هو أن نحلف . . أن أكون أما وأن تكون أباً .  
نفسى فى بنت يا محمد .

ولم يتم بما تريد فهو نفسه لا يحس بأنه يريد أن يكون أباً ، بل يكره أن  
يكون أباً لبنت أو ولد . إنه لا يزال فى مقتل شبابه . . كل ما يريد هو نفسه .  
وورث الشهور . . وبدأ يلاحظ أن دولت تتردد كثيراً على الأطباء وتضع  
إجراءات غريبة عليه فى علاج نفسها إلى أن صارحته بأنها تذهب إلى الأطباء  
لتحمل وتلد ، ثم فاجأته يوماً بأن طالته بأن يذهب إلى طبيب ليتأكد هو الآخر  
بأنه يستطيع أن يشجب ، وصرخ فى وجهها .

- لا يسحق إذا كنت أستطيع أولاً أستطيع إننى لم أتزوج لأكون أباً . .  
تزوجت لأكون معك أنت تكلمى وتخبى عن دوشة العيال . دوشتك تكفىنى .  
ولكنها تلج عليه أن يذهب إلى طبيب ، وإلحاحها يدفعه إلى التساؤل . .  
هل تزوجه فقط لنسجبه منه وهل طلقت زوجها الأول لأنها فقط لم تحب منه  
رغم أنها عاشت معه أربع سنوات . ولكنها كانت تستطيع أن تترك نفسها  
للإحجاب قبل الطلاق والزواج ، فقد كانت تعطيه كل شئ ، وكانت تستطيع

أن تنسب حلفتها إلى زوجها الأول أو تتبع أى أسلوب آخر مما نسمع ونقرأ عنه من أساليب . . وتذكر أنها قبل أن يتزوجا كانت حريصة كلما جاءت إليه على اتباع كل إجراءات منع الحمل ، ربما لأنها لم تكن تريد أن يكون لها مولود حرام . . أو ربما لأنها لم تكن تريد أن تعترف بأن النقص فيها . . هي امرأة ناقصة . امرأة لا تنجب . امرأة عاقرة . ولم يكن هناك ما يمكن أن يعطى عقبتها إلا أن تتظاهر بتعاطي وسائل منع الحمل . . أو تبهم زوجها الأول بأنه هو الناقص . . ثم تلج على زوجها الثانى بأن يذهب إلى طبيب .

وذهب إلى الطبيب مرضاة لها وتحت ثقل إلحاحها .

وكان يمتنى أن يثبت عليه الطبيب أنه عاقر لا ينجب ، فهو فعلاً لا يمتنى ولا يحب أن يكون أباً . . قد تكون هذه أنانية منه ، ولكنه مقتنع بأنه لا هو ولا العالم كله فى حاجة إلى مولود آخر . وقد أكد له الطبيب أن رجولته طبيعية وأنه لا شك قادر على الإنجاب ورغم ذلك فقد ألح عليه أن يكتب له أى نوع من الدواء حتى يعود إلى دولت وكأنه هو الذى فى حاجة إلى العلاج ، لعلها تهدأ .

وقد قرحت دولت فعلاً عندما عاد إليها وفى يده زجاجة دواء ، وأصبح هذا الدواء أهم وأعلى ما فى البيت بالنسبة لها ، وتناوبه له فى اهتمام مبالغ فيه كأنها تنفذ به حياته وحياتها . ومع ذلك فلا شك أن دولت كانت تحس أنها تدارى عقدة فى داخلها . عقدة المرأة العاقر . فهي تعمد منذ سنوات زواجها الأول أنها لا تنجب ولكنها لا تريد أن تعترف بنقصها ولا تريد أن تبحث عن حياة نعتيها عن أن يكون لها أولاد وبنات ، وكانت تعتمد أن تذهب إلى الطبيب مراراً دون أن يحير حتى زوجها ، وقد عرض عليها أحد الأطباء أن يجرى لها عملية حرجية ولكنها رفضت حتى لا تفضح أمرها ، وكانت تغطى كل ذلك بالتحدث باستمرار عن عجز

وجها عن الإنجاب ثم كبرت الكذبة فى خيالها حتى بدأت تفكر فى أن تلج روحها فعلاً بحجة عجزه . . وقيل أن تبدأ فى الطلاق من زوجها الأول عرفت محمد . إنه زميل لائى عنها فى كلية التجارة وأصبح صديقاً لأحبابها . وقد شعرت منذ رآته بأحاسيس كثيرة تشدها إليه ، وقد كانت تستطيع أن تمارع هذه الأحاسيس . . إنه لا يزال فى نضارة شبابه وهو يبدو كأنه ريفى لا يزال بخبره وبكل قوته لم تستتره بعد حياة المدينة . . من يدرى ربما كانت تستطيع أن سجب منه . . هذه العقدة هى التى دفعتها إليه وإلى محاولة الاستيلاء عليه .

ورغم ذلك فعندما استولت عليه كله وعطته كل شيء كانت حريصة على أن تعرض عليه وعلى نفسها إجراءات منع الحمل لأنها لم تكن تريد أن تعترف حتى أمام نفسها أنها لا تحمل ، أو لأنها لا تريد أن تشعر بعجزها عن الحمل ، وربما لأنها كانت لا تزال متمسكة بالأمل . . وكانت حريصة ألا تحرب هذا الأمل إلا فى الحلل

هذه المشكلة التى تعيشها دولت بكل فكرها وأعصابها وبكل وجودها ، لم يكن محمد يعيشها أبداً رغم أنها كانت تذكرها بها يحرصها على تقديم الدواء جادع له . . كان كل فكره وإحساسه وشاظه يحصر فى ساء عمله . وقد بدأ يسبح بسرعة وبدأت أرباحه ترتفع إلى أن قارب أن يكون فى مستوى ثروة زوجته ، وكان قد مر عايمان على زواجه عندما قرر أن يسافر إلى لندن للدخول فى صفقة جديدة ، وفوجئ بأن دولت تصر على أن تسافر معه . . يا حبيبتى إلى أسافر إلى لندن لأول مرة ، فديعتى أنه هناك وحدى إلى أن أكتشفها لك ثم أسافر معاً فى المرة القادمة . . ولكنها تصر . . لماذا . . هل تغار عليه . هل تخشى أن يتزوج فتاة إنجليزية . ولماذا تصر على تهريب كل هذه المبالغ



من الجنيات الإمبرالية . إنه لم يعرف إلا وهو جالس بجانبها في لعائرة التي حملتهما إلى لندن . . إن كل ما تريده هو أن تعرض نفسك على طبيب هناك لتعلمها تحمل ، وتلع عليه أن يعدها هو أيضاً بأن يعرض نفسه على طبيب . لابد أن هناك شيئاً جديداً . . علماً جديداً . . دواء جديداً ، شيئاً لم يصل إليه أطباء مصر . . فلتحرب . . وثار عليها . . لم يخطر على باله أنها لا تزال تحاول وأن تتكيف كل هذا المشوار وكل هذه المصاريب حتى تستمر في محاولتها . وأقسم في ثورته أنه لن يعرض نفسه على طبيب وأعلن ندمه لأنه استسلم لها وصحبها معه . . ولم تتحد ثورته بل ظلت هادئة مبتسمة كأنها تعلمه . . وفي لندن اكتشف أنها كانت قد حدثت موعداً مع الطبيب الإحصائي ، وذهبت إليه وحدها وتركته يتفرغ لعمله . .

ومرت أيام قاحاته بعدها بأنها قررت أن تقل إجراء عملية جراحية ينصحها الطبيب - ووافقها دون أن يهتم حتى تنقضي تفاصيل العملية كل ما عره أنها عملية تتطلب أن تنق في المستشفى أكثر من أسبوع ، وهو مضطر أن يعود إلى مصر بعد يومين . . وبقى معها إلى أن خرجت من غرفة العمليات ثم سافر في نفس اليوم عائداً إلى القاهرة . . ولم تتعرض . . كانت تعرف أنه لا يهتم بأن يكون أباً فأغفته من أن يتحمل عبء محاولتها أن تكون أمّاً . إلى هذا الحد كانت تعطي وعادت إليه بعد شهر ووجهها يضحك بنضارة الأمل . إن الأطباء أكدوا لها أنها حتماً ستكون أمّاً . . وعندما أحدها محمد بين ذراعيه وهما في الفراش بدأ يحس بإحساس لم يحسه من قبل . . إحساس ثقيل . . لم يكن إحساس المتعة التي تعودها معها ، ولكنه إحساس أقرب إلى الإحساس بالمسئولية . . إنه مسئول الآن على أن يجعل منها أمّاً . أن يقوم بعملية حمل . . وأحس عملاً كأنه عبي

وشك أن يقوم بإجراء عملية جراحية لما يكمل بها العملية التي أجرتها في لندن . . كأنه طبيب . حتى أن شفتها لم يعد لها نفس طعم القبلات . . وضغط أصابعه على جسدها لم يعد يثيره كما كان . . إنه مكلف الآن بإجراء عملية جراحية . . يجب أن تكف عن هذه الانسامة التي كان يحبا حتى تساعده على التحرك كأنه طبيب . . وأن تمنح عينيها حتى لا تزعجها رؤية الشرط . .

وقد أثر كل ذلك في إحساسه الطبيعي بالجنس ، وأحس أنه يضغط على كل رجولته حتى يستكمل هذا الإحساس . . وقد أفلح في أن يقوم بالعملية وأن يؤدي واجبه ، ولكنه من يومها وهو لا يستطيع أبداً أن يعود إلى متعته التي تعودها معها وهما في فراش . . في كل مرة يسيطر عليه الإحساس بإجراء عملية . . آداء الواجب . . فقط آداء الواجب . .

ومر عام كامل دون أن يتغير شيء في دولته . . لم تحمل . . وبدأت تفكر في أن تعود إلى الأطباء في لندن ولكنه صرخ رافصاً . . أحمدي الله على ما كبه لك . . دعي حيك في يفتيك عن حرماتك . . كان يقول هذا الكلام وعقته يأخذه إلى مشروع الطلاق . . ربما طالبت بالطلاق كما طالبت زوجها الأول حتى تعطي عقدتها أمام نفسها وأمام الناس . ولكن لماذا لا يطلقها هو . . ولكن لا . . لا يستطيع . . إنه لا يستطيع أن ينسى كل ما أعطته . . إنها سر بحاجه . . وسر كل هذه الحياة الفخمة التي يعيشها . . وقد تعود عليها وعلى الحياة معها وتعود أيضاً على نقصها وعجزها عن أن تكون أمّاً إلى حد أنه لا يستطيع أن يعيش كاملاً بغيرها . .

والذي حدث أنها عرفت أن زوجها الأول الذي كان قد تزوج غيرها قد أحب وأحست أن عورتها قد اكتشفت . . لم تعد تستطيع أن تضلل نفسها

وتفضل الناس ويقول إن الزوج هو السبب . وبدأت تعاني من ثقل الإحساس بأن مالا تستطيع أن تعطيه لروحها تستطيع غيرها أن تعطيه ، وزاد ثقل هذا الإحساس حتى وصل بها إلى حالة اليأس . - اليأس من أن تستمر في محاولة أن تحمل وتنجب ، وقررت أنه لم يعد أمامها إلا وسيلة واحدة حتى تعرضها وتعرض لروحها عن عجزها وهي أن تتنى . -

ومكثت طويلاً في مشروع التنى قبل أن تعرضه على محمد ، وقررت بينه وبين نفسها أن تتنى بنتاً . - إن البت يمكن أن تكون أقرب إليها من الولد . - وتستطيع بطبيعتها كأنثى أن تفهمها وتربها أسهل مما تستطيع أن تفهم وتربي الولد . - وبدأت فعلاً تبحث عن الملاجئ ودور رعاية الأحداث التي تعطى حو التنى . - وفي القاهرة أكثر من دار لرعاية الأحداث ، تضم الأطفال الذين يجمعون من الشوارع وأغلبهم قض عليهم في جرائم صغيرة ليس لهم ديب فيها . - وليس في القاهرة إلا ملجأ واحد في المطرية يضم الأطفال اللقطاء بعضهم اختواه الملجأ وهو لا يزال في أيامه الأولى من الحياة . - ولم يجد في دور رعاية الأحداث طفلاً يشد إحساسها ، واقتناعها . - كانت تقف أمام كل طفلة وتردد طويلاً ثم تتعد دون أن تستطيع أن تتخذ قراراً . - ثم ذهبت إلى الملجأ في المطرية وما كادت عينها تلتقي بشيئة حتى قررت أن تكون ابنتها . - إنها طفلة في الرابعة من عمرها كل ما في وجهها يتسم . - عينها تتسمان ، ووجنتها تتسمان ، وشفتاها ، حتى أصابع يديها . - ابتسامة دسمة هادئة فيها حلاوة وفيها دك ، ولون بشرتها أقرب إلى البياض كلونها ، وشعرها أقرب إلى اللون الفاتح يصعب فيه الأسود مع القرمزي مع الأصفر كلون شعرها . - إن من السهل أن يعتقد الناس أنها ابنتها فعلاً ، وخاصة أن تصرفاتها وحركاتها حتى وهي طفلة وفي مدجاً لقطاً .

فيها كثير من الرقة الأرستقراطية ، ومن يدرى ربما أنجبتها في خطبة امرأة من عائلة لها قيمتها ثم وضعها أمام جامع أو أمام مركز بوليس هرباً من المصيبة . - وسألت في الملجأ أسئلة كثيرة عن بشيئة أين وجدوها ؟ . وهل يذكرن العاقبة التي كانت تلتفد بها . - ولم يكن وجدوها أمام جامع ولا أمام مركز بوليس ، لقد وجدوها قريباً من سور السفارة الأمريكية في جاردن سيتي . - وكانت ملففة بأغطية غالية مطررة ولم يكن قد مضى على ولادتها أكثر من أسبوعين ، وكان من بحثها أن الذي عثر عليها رجل محترم استدعى عسكري البوليس وأرشدته إلى بشيئة وهي لا تزال علقاة على الرصيف بجانب السور ، وحملها العسكري إلى قسم البوليس ، وسلمها البوليس إلى الملجأ . - والحمد لله . - فقد كان يمكن أن يعثر عليها أحد لتشردين وسلمها إلى عصابة إجرامية ليشنوها بينهم وهو ما يحدث كثيراً . - ودولت تسمع القصة ويجري بعينها بحثاً عن بشيئة وتضمها من بعيد في فرحة . -

وهرعت إلى محمد لتنبهه قرارها . - إنها ستبنى طفلة ، وقد وجدتها في الملجأ . - وبطر إليها محمد كأنه ينظر إلى مجبوبة ، ثم قلب شفتيه قرعاً ومتعاضاً ، ووافق . - إنه لا يريد ابنة ولا ابناً ، وكل ما يريد هو أن تهدأ زوجته وتريحه من عقدها . - وذهب محمد معها إلى الملجأ ليتخذ إجراءات التنى ، ولم يعتمد هناك أن ينظر إلى بشيئة وبدأ في توقيع الأوراق بلا أية عاطفة كأنه يوقع على شيك نرحل لإحدى الجمعيات الخيرية ، أو كأنه يوقع عقداً في صفقة لأيهما أن يحضرها ، ولكنه عندما رأى بشيئة ابتسم كاملة شملت أحاسيسه كلها . - وجهها الطفل . - ابتسم ابتسامة كاملة شملت أحاسيسه كلها . - وكان يمكن أن يكون التنى حزياً أي أن يتولى أمرها دون أن يسبها إلى نفسه ،

ولكن دولت أصرت على أن يكون التبنى كاملاً . . أى أن تكون ابنته وتحمل اسمه . . ولم يهتم محمد أيامها . . لم يكن يهمه أن يكون ربيته أو ابنته . . إنها شيء سيوجد في البيت كعلاج لعقدة القصر التي تعاني منها روحته هي التي اختارت لها اسم بثينة ، إنه الاسم الذي كان يمكن أن نسمي به انتها لو أُجِبت لأنه اسم أمها . .  
وانتهى توقيع الأوراق . .  
وأُسرع محمد خارجاً ، وترك روحته تصحب بثينة إلى البيت دون أن يلتفت إليها . . ولم ير عيني بثينة وهما متعلقتان به تنبهما في تمنق عميب . .



إنه يذكر الأيام الأولى التي أصبحت فيها بثينة شيئاً في البيت . . لم يكن يحس بهذا الشيء ، ولم يكن يعتمد أن يعطيها شيئاً من الحنان ولا حتى من الاهتمام ، بل إنه لم يعود نفسه تقبيلها كطفلة صغيرة إنما كان يكني كلما دخل أو خرج من البيت أن يمسح بيده على شعر رأسها مسحة سريعة وهو يبتسم لها نصف ابتسامة . . وكان أحياناً يلحظ في لحظات أنها فعلاً طفلة جميلة . . عيناها ، شفاتها ، لون بشرتها ، شعرها . . وأحياناً كان يضحك ضحكة كبيرة عندما تلفت نظره بحركة من حركات الطفولة . . إنه لم يلحظ أبدأ تنعها له كلما كان في البيت . . إنها تسير وراءه في كل تحركاته ، ويجلس فيجدها حالمة أمامه ، وحتى عندما يخرج من حمام الصباح يجدها واقفة في انتظاره ، لم يكن شيء بعدها عنه إلا دولت لتأخذها وتؤدي لها ما تتطلبه طفولتها . . ولم يلحظ أيضاً أنها كانت تكرر كثيراً كلمة « بابا » كأنها الكلمة الصائبة التي كانت تبحث عنها . . بابا . . بابا . . بابا . . وكانت في البداية تنطقها في حياء وتردد ثم أصبحت تنطقها وترددها بكل إحساسها كأنها ترغدها . . كأنها الكلمة التي تثبت بها شخصيتها وتستكمل بها كل وجودها . . لم يكن يلحظ أو يحس بأي شيء تجاه بثينة أو « بوسي » وهو رسم التذليل الذي اختارته لها دولت ، كل ما كان يحس به نحوها أنها تحفة جميلة اشتراها هدية لزوجه كباقى التحف التي تملأ البيت ، وإن كان يحس هذه التحفة أكثر لأنها شملت زوجته معه وأراحته من عقدتها . .

وقد كانت العلاقة بينه وبين زوجته دولت تأخذ مع الزمن في التباعد .  
تباعد في إحساسه بها كأميرة . . بدأ يشعر بفارق السن بينهما . . إنها أكبر منه  
بثلاث سنوات . . وبدأ يشعر كلما هم أن يحتضنها في الفراش أنه يؤدي واجباً  
ممرضاً عليه . . واجباً أصبح ثقيلاً ليس فيه إغراء كأنه يقفد أوامر الطبيب .  
وبدأ بينهما ما يمكن أن ينتهي إلى ما يسمى الانفصال الجسدي . . ولم تكن  
دولت تحاول أن تصد هذا الانفصال بل كانت مستسلمة له كأن بثينة قد  
أغتها عما كانت تريد من محمد . . أو ربما كان التحليل النفسي يصل إلى  
حد تصور أن دولت لم تحب محمد منذ البداية إلا بعريضة وإحساس الأمومة  
التي لم تستطع أن تصل إليها بالإحجاب . . وربما كان هذا هو سر عطائها  
الكثير له . كانت تعطيه كأماً لا كعشيقة ولا كزوجة . . وقد وجدت في بثينة  
ما أشبع فيها عريضة الأمومة فلم تعد في حاجة إلى محمد . بل إن فرحتها ببثينة  
دفعتها بعد عام واحد إلى أن تفكر في تبنى طفل ثان . . ولد . . حتى يكون عندها  
ولد وبنت ، وصرخ محمد في وجهها :

— لا يمكن . . إن بنتاً غريبة تحمل اسمي أرحم من أن يحمله ولد .  
ولد لا أدري كيف جاء إلى الدنيا ولا ماذا ورث عن أبيه وأمه . إن الوراثة  
تشمل الشخصية والأخلاق فإذا كان أبوه لصاً أو نصاباً أو صعلوكاً فيمكن أن  
يرث عن أبيه اللصوصية أو النصب أو الصعلكة ، ويعصحي عندما يكبر ويعرب  
يبنى . . لا . . لا يمكن .

وردت عليه دولت بهدوئها الناعم :

— ليست الوراثة التي تحدد الشخصية والأخلاق . . إنها البيئة . تقاليد  
البيئة واحتياجات البيئة . . إنهم يقولون أن لا أحد يسرق إلا إذا كان في حاجة

إلى السرقة . . ونحن في بيتنا . . في بيتنا لا يمكن أن ينشأ لص أو صعلوك .

وعاد يصرخ في وجهها :

— اسمي . . إنني لن أعطى اسمي ولن يدخل بيتي طفل آخر . . فاعمة . .  
وكيفينا بوسي . .

ولم تلح عليه كثيراً فقد كانت بثينة تكفيها فعلاً وتميعها عن كل ما كانت  
تشر به من نقص ، بل إنها أيضاً تغنيها عن الإحساس بهذا الانفصال الجسدي  
الذي بدأ يدب بينها وبين زوجها . .

وكان محمد قد بدأ يسافر كثيراً إلى الخارج . . وربما أكثر من نصف العام  
بقصيه في الخارج وهو ما كان يفرسه عليه عمله ومشروعاته الواسعة . وأيضاً لأنه كان  
يعد في الخارج حرية ممارسة حياة خاصة تعوضه عن إحساسه بالانفصال الجسدي  
بينه وبين زوجته . . مجرد نساء عابرات لم تستطع واحدة منهم أن يكون لها  
تأثير له قيمة في تغيير استمرار حياته مع دولت . . وربما كانت هذه العيبة  
الطويلة في الخارج هي السبب في أنه لم يعود أو لم يكتسب إحساس الأب  
سحر بثينة . . وهناك فرق بين الأمومة والأبوة ، فالأمومة عريضة أما الأبوة فاكسب .  
أي أن الأم تحب وليدها قبل أن تنجبه ، أما الأب فإنه في حاجة إلى وقت يمر  
بعد أن يولد ابنه حتى يكتسب ويستكمل الإحساس بالأبوة . . وهو في حاجة  
إلى وقت أطول إذا كانت ابنة متبناة كشينة . . وكان يسافر إلى الخارج ويساهل .

وكان لا شيء يذكرها إلا أن يراها بعينه . . وكان يعود من الخارج حاملاً هدية  
إلى دولت وينسى أن يحمل شيئاً لبثينة . . وتصرخ دولت في وجهه وتخبر لتشتري  
شيئاً أو تخرج من دولابها شيئاً لتقدمه إلى بثينة كأنها هدية من محمد اشتراها لها  
من الخارج . . ولكن بثينة تقصها لم تكن تحس بأنه تسبها ، كانت فرحتها

معودته تعلى كل شيء ، وتعود تتبعه وتلتصق به في كل تحركاته وتمتلل الصحيح  
تردد : بابا . . بابا . . بابا . .

وبنية تكبر .

ومحمد يكبر . .

وبدا إحساس محمد ببشئة يتطور تطوراً عجيباً . . إنه كلما عاد من الخارج  
والتي بها أحس كأنه يراها لأول مرة ، جسدها ينمو في روعة . . عبقها ،  
لديها ، قوامها ، ردفاها ، ساقها . . جمال يتناسق ويستكمل كل عناصره  
كان الفنان الأكبر قد تفرغ ليرسمه هدية له . . ونظرتها تبدأ في عينيها . . ويلقى  
بهاتين العينين فيحس فيها نداء عجيباً . . إنها تنظر إليه كأنها معجبة به .

كأنها تتمناه . . أو هكذا يحيل إليه . . ثم أنها لم تعد تردد كلمة بابا كثيراً .  
وأصبحت ملاحظتها له داخل البيت ملاحظة عاقلة كأنها أكبر من سنها فقد  
توجد في البيت وهي واثقة أنه هو الذي سيبحث عنها . .

ولم يعد يساها عندما يسافر إلى الخارج ، بل بدأ يحس أن يختصر في  
رحلته ليعود إلى البيت . . لم يكن يصارع نفسه بأنه يعود لأن بشئة أوحشته .  
إن البيت هو الذي أوحشته البيت ودولت وبشئة . . رما وصل إلى السن التي  
يستسلم فيها الرجل إلى وحشة البيت . . هكذا كان يقول لنفسه . . ولم يعد ينسى  
هديتها ، الواقع أن هديتها أصبحت تأخذ من اهتمامه أكثر مما تأخذ هدية  
دولت . .

وبشئة وصلت إلى الرابعة عشرة من عمرها . .

وهو في الأربعين . .

وبدا يستسلم لأحاسيس كثيرة تجذبه إليها ، لاشت أنها أحاسيس الأبوة . .

بدأ بعد وقت طويل يصيح أباً . . لا . . إنه يخدع نفسه . . إنه لا يزال يحس بأنها  
فتاة جميلة . . ويحد حرجاً كبيراً إذا سقطت عيناه على ساقها ، أو إذا ركر نظرتة  
على شفتيها . . وحدث أن دخل الغرفة مرة فوجدتها شبه عارية مع دولت قفقر  
بسرعة كأنه ارتكب فضيحة ، كأنه اعتدى عليها . لا يمكن أن يكون هذا هو  
إحساس أب . . لا يمكن أن يحس أب سيقان ابنته أو جسدها كله كما يحس  
بجسد فتاة غريبة . . لا . . قد تكون بشئة ابنة دولت ولكنها ليست ابنته  
وبشئة في السابعة عشرة . .

وهو في الثالثة والأربعين .

إنه يجد فيها نواحي جديدة . . إنها تقرأ كثيراً وتستطيع أن تجلس إليه ساعات  
طويلة تحكي له عما قرأته . . صحيح أن معظم قراءاتها في القصص ، والتاريخ ،  
والفن ، وأكثر المجالات التي يجذبها هي المجالات التي تنشر أخبار الفنانين  
والفنانات ، وهو لم يكن يهتم يوماً بالأدب ولا بالفن ، ولكنه يحس وهي تروي له  
كأنه ينتقل إلى عالم حديد مثير ممل ، بل إنه كان أحياناً يروي لها بعض مشاكل  
عالمه . . عالم رجال الأعمال . . فتدلى له آراء تدشه كأن لها ذكاء بنات الأعمال .  
ودون أن يعتمد بدأ نظام حياته يتغير . . بدأ يقضى ليالي كثيرة في البيت جالساً  
في غرفة مكتبه المحصنة له ومعها دولت وبشئة ، والراديو والتليفزيون ، وزجاجة  
الويسكي الذي تعود أن يشرب منه كل مساء دون إفراط ، وكانت السمرة تنحصر  
عادة في مناقشة تثيرها بشئة ، أو في قصة تروها ، أو في رقصة تقوم وتعرضها عليهما  
لنظلهما على آخر تطورات الرقص . . وهو سعيد . . مرح . . يضحك ويناقش . .  
وأحياناً يحتد . . ودائماً يعتمد الحلو من أن يركز عينيه على ساق بشئة ،  
أو على صدرها أو على عنقها . . لقد أصبح أصعب عليه أن يعتدل أحاسيس الأب

وبعاني صعوبة أكبر إذا تركته دولت وحده معها . . وفي مرث كثيرة كانت  
دولت تعلن أنها مشتركهما لتنام فيدحن بها محمد فوراً . . (خديني معاكى) . .  
لا لأنه يريد أن ينام ولكن لأنه يخاف نفسه . . يخاف هذه الأحاسيس التي  
تعصف به .

وهي . . بيثة . . إنها تعتمد أن تنى بجانبه كلما كان في البيت . . وتعتمد  
أن تلصق به كلما صحبها هي ودولت إلى دعوة أو إلى سهرة في الخارج . .  
وتضع ذراعها في ذراعه كأنها تتباهى به وتنسبه إلى نفسها . . وفي كل مناسبة  
تقول كلاماً كأنها تحرضه على نفسها :

- تعرف صاحيتي ميرفت . . ستجن عليك . . تقول إنك أجمل وأرشد رجل  
وإنها ستحاول أنه تحطفك من ماما دولت . .

- إنها صغيرة مجنونة .

- ليست صغيرة ولا مجنونة إنها في سن وفي عقل .

وأحياناً تمد يدها وتلعب في شعره الأبيض وتصبح ضاحكة :

- شعلرك يا بابا . . يوسنى .

إنه شعر عجوز . . سأصيفه أسود حتى أسترد شبابى .

ياك . . أنتحر لو صيفته . .

وقد كانت تردد إعجابها بشعره الأبيض إلى حد أنه كان يهددها ضاحكاً :

« انتى حانسكى ولا أقوم أصبغ شعرى أسود » .

وقد كان دائماً وثاقاً بنفسه كرجل يجذب ويشد النساء . . ولكن بجانبه

كلها كانت مع نساء من نفس جيله لم يجرب البهات المراهقات . . وربما وصل

إلى السن التي يقدر إن الرجل فيها يصبح مراهقاً عجوزاً . . من الأربعين . .

وتشد إحساسه البهات المراهقات الصغيرات . . وربما كان صحيحاً أن  
لسات في سن المراهقة يضعفن أكثر أمام الشعر الأبيض . . أمام سن الأربعين  
من بعده . . إن أول حب في حياة البهت هو حب الأب وعادة ينقلها هذا الحب  
إلى محرتها الأولى مع رجل في سن أبيها . .

وحدث أن دعى إلى حملة ساهرة في غلغل هيلتون مع زوجته وابنته . . أى  
شينة . . وليلتها شرب كثيراً من كورس الويسكى « ثم قام فجأة وشد بيثينة من  
يدها وجدها إلى حلبة الرقص ليراقصها . . كانت رقصة هادئة . . سلووكس . .  
وقد بدأ يراقصها وهو يتكلم كثيراً ويضحك كثيراً . . ولكن بعد بضع خطوات

قصة تركز إحساسه كله على صدرها الذي يلاصق صدره . . وأصابعه المحلقة  
على ظهرها . . ساقيه اللتصقتين ساقها . . ولم يستطع مع ثقل كورس الويسكى  
أن يشرها أن يقاوم . . وكعب عن الكلام وعن الضحك . . وضعها إليه بكل ذراعه

ولصق شفتيه فوق عنقه . . وتحركت فيه كل عناصر رجولته . . وهي

إنها مستسلمة . . إنها تضغط نفسها هي الأخرى إليه وتزداد التصاقاً به . . وتعتمد

أن تضغط ساقها بحيث تطلق بينهما ساقيه . . وكلاهما مخنئ في زحام الراقصين .

وسكت الموسيقى

وأفاق . .

أفاق من كل شيء .

أفاق حتى من كورس الويسكى التي كانت تملأ رأسه . .

ونظر إليها في دهشة كأنه لا يصدق ما حدث ثم أسرع مبتعداً عن حلبة

رقص وهي تجري حلقه . . وحلس إلى المائدة وصب لنفسه كأساً ثقيلة وأخذ يشرب

فيها دون أن ينظر إلى بثينة . ثم قام مستأدياً وخرج يزوجه وابنته بثينة . . وركب  
سيارته عائداً إلى بيته ، ودولت تسأله :

- هل أنت متصب ؟

.. لا . .

- إنك لست طبيعياً . .

- وبما أنقلت من الويسكى . .

ولم يحاول أن ينظر إلى بثينة حتى عندما هم أن يدخل إلى غرفة نومه ،  
ولكن بثينة جرت وراءه صائحة :

- تصبح على خير يا بابا . .

ثم انحنى وقبلته فوق خده . .

ولم يرفع عينيه إليها ولم يرد تحيتها . .

وذهب إلى مكتبه في الصباح وقد تمعد ألا يلتقي بثينة أو يقبلها كما تعود قبل  
خروجه واكتفى بأن يقل زوجته وفي المساء أعلن أنه سيخرج من البيت وحده ولكنه قل  
يخرج جلس في غرفة مكتبه وحده مدة طويلة ثم نادى بثينة وجاءته ورفع عينيه إليها بعد  
أن يجاهد طول هذه الفترة ، وآها كأنها ازدادت نضارة وابتسامتها أكثر حيوية وشباباً .  
وحيل إليه أنها هائلة في إحساس جديد ، وقال وهو يحاول جهده أن يبدو هادئاً

- أنا آسف لما حدث ليلة أمس . .

وقالت في برادة :

- ماذا حدث ؟

أقصد عندما نسيت نفسي وأنا أراقصك . .

- إنك لم تنس نفسك . .

لم أكن طبيعياً . . كنت قد شربت أكثر مما يجب . .

- كنت طبيعياً جداً . .

ونظر إليها في دهشة كأنه لا يصدق أنها لم تحس بكل ما جرى وهو يراقصها . .  
واقتربت منه أكثر وقالت :

- صدقتي . . لقد كنت طبيعياً وأنا أيضاً كنت طبيعية . .

ثم انحنى وقبل خده وحررت من أمامه . .

وتركته حائراً . .

ماذا تقصد . . هل ما جرى يمكن أن يكون طبيعياً بين أب وابنته .

أقصد أنه طبيعي بين رجل وامرأة . . أم لم تحس فعلاً بما جرى . .

وفي اليوم التالي قال إنه مسافر إلى الإسكندرية ، وقالت بثينة بسرعة وفرحة :  
- خذني معك .

وصرخ في حدة :

- لا . . إني ذاهب في عمل . .

ومالت بثينة على دولت ترحوها :

- والى ياماما . . دعني يأخذني معه . . إني لم أر الإسكندرية منذ الصيف . .

أريد أن أطمئن على الكاينة وبتنا هناك . وأقابل صديقتي نحية . . وغداً  
حارة .

وقالت دولت في إلحاح :

- محمد .. دع يوسف تسافر معك .. إن من حقها أن تقضى يوماً بعيداً

عن البيت ..

ثم ضحكت دولت قائلة :

9 - أتعهد لك بأنها سترك لك حريتك .. يوسف .. احلني أنك لن تضايقه

بطلبائك ..

وقالت بثينة في دلال :

- أنا باضايقتك يا بابا ؟

وكان الإلحاح عليه كأنه إغراء له ، وضعف أمام الإغراء . وأخذها معه .

وفي طريق الإسكندرية كان يقود السيارة وهو يحاول أن يبقى صامتاً وأن

يكتفي بالنظر أمامه ، ولكن بثينة لا تكف عن الكلام . تروى له قصصاً قرأتها

وقصصاً سمعتها ، وأخبار الفنانين والفنانيات ، وأخبار صديقاتها في الحاممة والنادى ،

ثم تدير راديو السيارة وتهتز على الأنغام وتغنى .. وهو يحاول أن يقاوم . ويكر

مقاومته تحف .. وتحف أكثر إلى أن نسى ما جرى وبدأ يعلأ عينيه منها ويصيح

لصحباتها ويغنى معها ..

ووصلوا الإسكندرية في المساء .. ووقف في فندق مسطرين يسجل اسمه

واسمها .. محمد عبد الله وابنته بثينة محمد عبد الله .. وقال لموظف الفندق :

نريد حجرتين من فضلك ..

وصرخت وهي بجانبه :

- يا خير يا بابا .. إلى أخاف موت إذا نمت في حجرة وحدى .. من أحل

خطرى يا بابا لا تركنى وحدى .

ولم يستطع أن يجادلها طويلاً أمام موظف الفندق ..

وحجبتها غرفة واحدة

وعندما بدأت تخلع ثيابها وتبس ثوبه الناعم احتار أين يهرب بعينه ، ثم

قال بحدة :

- بلبل ثيابك في الحمام .

وقالت في دهشة :

- لماذا ؟

ولم يرد عليها ولكنه جمع ثياب نومه قائلاً :

- أنا سأدخل الحمام .

وبدل ثيابه بعيداً عنها بينما فتحت بثينة الراديو الذى تحمله على تسمات

راقصة ، وعندما خرج من الحمام وحدها في قميص النوم .. وقد تعود أن يراها

في ثياب النوم ولكنه أحس أنه لم يرها أنداً عارية كما يراها في هذا القميص .

وقالت وهي تهتز راقصة على تسمات الراديو :

- طليت لك الويسكى ..

وهو حائر أين يضع عينيه منها .. وجاء الويسكى ، وأخذ يشرب كأنه

يهرب بنفسه داخل الكوب ، أو كأنه يلقى بنفسه في بحر الويسكى ليتحرر ..

ثم شدته من يده قائلة :

- قم راقصى ..

9 - لا تكوّن مجنونة .

- من أحل خطرى .. لا تحرمنى قبل أن أنام ..

وقام يراقصها بجانب الفراش .. وحاول أن يحفظ بها بعيدة عن جسده .



وقالت ضاحكة :

- لا .. كما واقعتني آخر مرة ..

وألقت بنفسها فوق صدره .. وأحس بشديها .. وساقها .. وظهرها العاري وضيقها بكل دراعه كأنه يريد أن يدخلها بين ضلوعه .. وتحركت كل حيوة رجولته .. ثم دفعها عنه بقسوة حتى وقعت فوق السرير ، وقال وأنفاسه تهذج - إذا كنت مجنونة لمن أجن معك .

وابتعد وجلس على المقعد المواجه للسرير .. يحاول أن يشعل سيجارة وقامت من رقدتها واقتربت منه وفي عينيها نظرات جادة كأنها على وشك أن تصدر حكماً نهائياً وقالت في صوت حاسم كأنها قررت أن تتحرر من كل خداع ومن كل خجل :

- اسمع .. أنت لست أبى ، ، حذني كما أنا .. وأنا لست ابتك .

ونظر إليها بعينين ثائرتين خطيرتين كأنه قرر أن ينتهي من كل شيء . ينتهي من هذه المقاومة التي أنهكته خلال سنوات ، وينتهي من هذا الصياح بين ابنة وعشيقه في جسد واحد ، وأبى ورجل يتصارعان داخل جسد آخر وشدها إليه وقص على شفيتها بشفتيه ، وأصابعه تترقعها قميص اليوم ، ثم قام وحملها عارية وألقى بها وألقى بنفسه معها . وحديث كل شيء ..



قالت له إنها هي أيضاً حدثت العمر كله أن تحس به كآب ولكن كان هناك دائماً إحساس يعلب إحساسه بأبوته . راعا مد اليوم الأول الذي وعته فيه وهي لا تستطيع أن تعبه كآب . كان إسماً يملأ خيالها وأحلامها ولا يمثل واقعها . إنها تستطيع أن تتخيله بطلاً للقصاص التي تقرأها والأفلام التي تشاهدها وتعلم به كمستقبل وهي . كان يحبها ويحفظها على حصان ، ولكنها لم تكن تحس به كواقع .. والإحساس بالأب هو الإحساس بالواقع .. وهو لم يكن أبداً واقعاً ، كان حياً وحلماً . وكما تقدم به ، العمر اقترب منها حياً وأحلامها من الحب أصبحت تريد .. تشتهي .. وتتمنى أن تنبأها به أمام صديقاتها كرجل لا كانيها . إنها تعلم أنه ليس أباها ولم يكن يجدي الإخفاء عنها فقد خرجت من الملجأ وهي في الرابعة وهو عمر يستطيع أن يحفظ الذكريات . ولأنها تعلم فقد كان يحيل إليها أن الناس كلها تعلم ، وأنها تعيش في كذبة مستمرة ، ويحيل إليها أن كل من يقرأ اسمها منسوباً إليه يصيح .. كذابة . وهي تتمنى أن تحيل هذه الكذبة إلى حقيقة . والحقيقة الوحيدة التي تستطيع أن تصل إليها هي أن تكون حبيته . وكانت تعلم أن لا أمل .. كانت تحاول أن تنأس .. بل إنها حاولت أن تحب حياً يشعلها عنه . تحب شيئاً من الجامعة أو من النادي يحملها إلى المستوى الطبيعي للحياة . ولكنها لا تستطيع أن تنأس . وعندما تقدم به العمر أكثر بدأت تكتشف أنه هو الآخر يقاوم .. هو الآخر لا يحس بها كآبة بل كفتة يريدتها .. وكانت تحس بكل ما يعانيه وتكتشف كل الكذبات التي

يصحك بها على نفسه . . قدأت تشجعه . . إنها تعترف له بأنها كانت تشجعه .  
تحاول أن تسهل له الطريق إليها . . إلى أن التفتيا كما تخنيا أن يلتقيا . .  
ولم يكن كلامها يكفي ليخلصه مما يعانيه من حيرة في الحكم على نفسه  
هل هي من حقه أم أنه اعتدى عليها بعد أن إلتصمه للمجتمع عليها ، وسجل في  
أوراق رسمية أنها ابنته . . وكان يستريح مما يعانيه عندما يلتقي بها وحدهما  
إنه ينتقل معها إلى الحب كله . . إنه يجها برغم فارق السن . . يجها حياً أوسع  
بكثير من مجرد الاحتياح الجسدي . . أصبح يحب شخصيتها وعقيدتها . . بل  
أصبح يمثل المستقل كله معها . . ولكنه ما يكاد يتركها حتى تعود إليه الحيرة  
والنائب ، والخوف . . والإحساس بالحرمة والكذب . . إنها ابنته كيف أباح  
لنفسه كل هذا مع ابنته . .  
ولكن دولت . .

لا بدري . . إنه أيضاً لا يستطيع أن يعيش بلا دولت . . كلناهما لا نعيه  
عن الأخرى . . كل منهما تكمل ما يفتسه من الأخرى . . كل منهما لها  
أحاسيس حب تختلف عن أحاسيسه بالأخرى . .  
وبعد ما حدث في الإسكندرية كف عن المقاومة ، واستسلم لوجه ليشيه  
مع كل المعاناة التي يعيش فيها وكما يحرصان أمام دولت في البيت على تأكيد  
أن لا شيء جد عليهما . . وربما أصبحا يتابعان أحدهما عن الآخر أكثر وهما  
في البيت ، ويقال هو من سهرات المساء التي كانت تجتمع مع الاليتين في  
غرفة مكينة ربما لأنه أصبح يتعذب وهو يرى بشية أمامه وهو محروم من الاتصال  
معهما وإليها . . وكان يلتقي ببشية لقاءهما الخاص في شقته التي استأجرها منذ  
سنوات وتخصصها لحياته الخاصة . . ثم تعود إلى البيت ويعود بعدها وهما

واقفان أن أحداً لا يلاحظ عليهما شيئاً أو بدأ يشك في أمرهما . .

ولكن محمداً بدأ يلتقط لمحات جديدة من على وجه دولت . . لقد عاش  
معها العمر كله ويستطيع أن يلتقط أي لغة جديدة . . إنها لغة في نظره عجيبة  
تصبحها ابتسامة . . كأنها اكتشفت السر . . ورغم ذلك فهي لا تقول شيئاً  
وتبالغ أكثر مما عودته في تدليله وفي تدليل بشية .  
ربما لم تكتشف شيئاً . .

إلى أن كان يوم . . وكان في لقائه الحاص مع بشية عندما قالت له ضاحكة  
ضحكتها الحلوة ؟ . .

— هل أقول أو لا أقول ؟ . .

— تقولين ماذا ؟ . .

— أحبرني أولاً . . هل أقول أو لا أقول ؟ . .

— قول . .

— إذا أنت الذي تأمرني بأن أقول . . لست أنا التي قررت القول . .

— يا حتى قول . . تكفي . .

— عدني أولاً أن تقبلني بعد أن تسمعي . . أو الأفضل أن تقبلني الآن

فلمست واثقة من وقع الخبر عليك . .

وقلها قبله سريعة وأمسك بها من ذراعيها كأنه يرى أن يهزها وينخلها

حتى يسقط منها السر . . وصاح

— تكلمي . .

— إني حامل . .

واتسعت عيناه من الدهشة ثم تحولت الدهشة إلى ألم كأنه طعنة وقال :

- ولكنك كنت حريصة دائماً  
- لا لم أكن حريصة .. كنت أتعهد أن أحمل منك ..

- لماذا ياجنونة ؟  
- لأعطيك ما أخذته منك .. لقد أخذت منك ابنتك التي كانت أن  
ماردت أن أعطيك ابنة أخرى .. أو على الأصح أريد أن أعطيك شيئاً لم تعطك  
إياه امرأة أخرى .. أن أجعل منك شيئاً لم تكنه وهو أن تكون أباً ..

وصرخ :  
- من قال لك أني أريد أن أكون أباً .. ستهين قوياً إلى طيب لإسقاطك .  
- لا يمكن ..  
- كيف .. ماذا تعنين ؟

- إلى الآن في الشهر السادس .. وطبعاً تساعدني على إخفاء حملي .  
ولا يمكن الآن إجراء أى عملية .. إلى متأخرة سألت الطبيب ..  
- ستة أشهر .. كاذبة .. لا يمكن أن تعيشي معنا ستة أشهر وأنت حامل  
وأنا لا أدري .. ثم دولت ؟

- إنك لا تدري ماذا كنت أفعل حتى أخفي كل شيء عن ماما دولت ..  
- وماذا تصورين أن يكون مصير هذا الطفل ؟  
- مصيره هو نفس المصير الذي عشته .. أنكره للملجأ .. ثم نذهب مع  
ماما دولت ونبتناه .

- كيف يكون ابني وأتركه للملجأ ..  
- كل من في الملاجئ لهم آباء .. وهم عالياً أغنياء .. لأن حياة  
الفقراء لا تسع لأولاد الحرام .. أمي لاشك كانت من عائلة كبيرة ولألا لما حشيت

الفضيحة وكذلك أمي .. لو كانا فقيرين لتزوجا حتى لو كان أمي متزوجاً  
عشر زوجات أو لقتلوني بدلاً من أن يضعوني في ملجأ ..  
وقال في سخط :

- إنك لا تسين أصلك ..  
- أصلي هو الذي أوصلني إلى أجمل وأحلى ما في الدنيا .. إليك .  
ونظر إليها كأنه يعتذر عن إسقاطه وقال :

- بوسي .. أرجوك .. دعينا تفكر في هدوء .. لنبدأ أولاً باستشارة طبيب  
أعرفه .  
- لا أمل ..  
- سأخذك وذهب إلى لندن وسأحاول إجراء العملية هناك ..  
= لا يمكن ..

- لماذا ؟  
- لأنني أريد .. أريد ابناً منك وأريدك أباً لابني .. أنمى أن تكون بتاً ..  
ماذا نسحب يا محمد ..

وصرخ بأعلى صوته :  
- لا تستهزئ بي إلى هذا الحد .. قدرتي أني لم أخرج من ملجأ ولا أريد  
لابني أن يخرج من ملجأ .. إلى متى وجدتك وأنا أعيش في فضيحة مستمرة  
لا أريد أن أجني على طفل لا ذنب له بفضيحة أكبر ..  
ونظرت إليه في هدوء وقالت :

- محمد .. هل تحبني .. قل لي بصراحة .. إذا لم تكن تحبني فسأخرج  
من هنا أنا وبطني ولن ترى أى مشكلة في حياتك ولن ترائي ..

ونظر إليها طويلاً ، ثم أسقط رأسه بين كفيه كأنه بهم باليكاء ، وهمس :  
 - أحبك .. لن تكون لك مشكلة وحلك أبداً .. فقط أتركيني أفكر ..  
 وتركته وعادت إلى البيت .. وحاول هو أن يجد حلاً .. ليس هناك حل إلا أن  
 يتزوجها . ولكنه لا يستطيع ليس من حقه .. إن عقد التني يجعل لها كل أوصاف  
 الالة ولا يستطيع قانوناً أن يتزوجها .. ياليته اكنى أن يكفلها كما عرضوا عليه  
 في الملجأ .. ولكن دولت أصرت على أن تتناها .. دولت .. كيف يتزوجها  
 والناس كلها تعلم أنها استه وابة دولت حتى لو أحاز القانون زواجهما . ومادا  
 يكون رأى دولت ؟ أن رأى دولت هو الأهم .. وقام في عصبية مجنونة وذهب إلى  
 البيت ودخل وهو يصرخ .. دولت .. دولت .. ودولت شرع إليه في هلع ..  
 يثبته تخرج إليه من غرفتها فيصرخ فيها :  
 - دعينا وحدنا ..

ويأخذ دولت إلى غرفتهما وينلق وراءهما الباب ويلقى نفسه على مقعد ويتكلم  
 بين أنفاسه المتهددة :

- سأرى لك كل شيء .. وأرحوك أن تحملي .. إني أحبك ولولا حبك  
 لما اضطرت أن أقول لك كل شيء .. ولا أستطيع أن أعيش بعيرك وإلا لما كانت  
 هناك مشكلة .. اسمعي ..

وابتسمت دولت في هدوء وحنان وقالت :

- انتظري ثانية واحدة .

ثم قامت في عجلة وخرجت من الغرفة وعادت بعد لحظة تحمل كوباً من  
 شراب البرتقال :

- لا تتكلم قبل أن تشرب هذا الكوب .. واجلس مستريحاً .. أروح

طهره على مسند المقعد ..

وشرب العصير وأراح ظهره وبدأ ضللاً . وبدأ يروي القصة كلها .. من  
 يوم أن تبنا نيتة إلى أن حملت منه .. وكانت دولت هادئة طول القصة لم  
 تتعل ولم تقاطعه . وكان هو الذي يقطع الكلام وينظر إليها في دهشة ويقول .  
 - هل كنت تتصورين أن يحدث هذا ؟ ..

وترد عليه بهدوء :

- أكمل الحكاية .. وبعدما ستعرف ما كنت أتصوره .

وأتم الحكاية .. وصل إلى أن اعترف لها بأن نيتة حامل منه . ويرغم ذلك  
 لم تنجأ ، ولم تصرخ ، ولم تثر .. ولكنها بدأت تتكلم في هدوء .

- إني أعرف كل شيء .. وقد كنت فرحة عندما بدأت بوسى تجذبك إلى  
 قضاء السهرة في البيت .. كنت أعرف أني أصبحت بالسنة لك مجرد إحساس  
 بالوفاء والعشرة والمشاركة في الناء ولاطمئنان ، وكل ذلك ليس فيه إغراء لرحل  
 في عز رجولته .. ولذلك فرحت بأن بوسى أصبحت هي الإغراء الذي يزيد  
 من ارتباطك بالنيتة ، وبني .. وكنت أحس بمدى المعاناة التي تبذلها حتى توقف  
 هذا الإغراء عند حد معين .. وبذلك لم تستطع أن تستمر في المقاومة التي نسب  
 لك هذه المعاناة .. وعاشرتها .. وأستطيع أن أحدد لك متى بدأت .. إنها  
 ليلة أن سمحت لها بالسفر معك إلى الإسكندرية . كنت أعلم أنك ستأدي  
 معها ولكي لم أكن أقدر أنك ستأدي إلى هذا الحد .. كنت أعتقد أنها ستبقى  
 عندها .. ولكني عرفت أنها لم تعد .. إن المسكينة تحاول دائماً أن تخفي عنى  
 ولكي لا تدرى أني صنعت كل قطعة منها بيدي حتى أصبح من السهل على  
 أن أكتشف كل ما يلزم بها .. وقد قاسيت أيامها .. إن ابنتي لم تعد عندها ،

وزوجى هو المشلول . ولكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل . إنها تحبك لو كنت قد قاومت حبها فربما أثرت فيها إحساسها بأنها متباعدة وليست ابنتى . . . وتصورت أنى اصطفها أو أغار منها قتهرب منى . . . وأنت أيضاً تحبها ولو أثرت مشادة معك وحاولت أن أحرمك منها ، فرمما زاد إحساسك بأنى لم أعد امرأة بالنسبة لك وإنى أحرمك من حقل فى متعة وجولتك فتور على وتهجرنى . . . كان كل ما يشغل بالى دائماً هو أن أحفظ بك وبها . . . وماذا يهم ، إلى أعلم أنك كنت تذهب إلى نساء أخريات قبل أن تذهب مع بوسى ، فما الفرق ؟ - بل إلى أحياناً كنت أتصورها كأنها زوجتك الثانية . . . إن حدى كان متزوجاً من أربع نساء يجمعهن الأربع فى بيت واحد . . . لأفترض أنى أعيش فى أيام حدى . . . ثم حصلت منك . . . إلى لم أكتشف فى الشهور الأولى . . . ولم تحاول طبعاً أن تستعين بى . . . وليس صحيحاً أنها احتفظت بالحمل متعمدة كما أخبرتكم . . . ولكنها اعتمدت على صديقاتها فى إسقاطه . . . ولم يكن لديها امرأة لتذهب إلى طبيب . . . وقد اكتشفت حالتها بعد مدة . . . وربما اضطرت أن تذهب إلى الطبيب بعد أن وصلت إلى حالة اليأس . . . إنها ساذجة فى هذه المواضيع النسائية ورغم ذكائها المعروف عنها .

وقاطعها وهو يستمع إليها فى دهشة :

- المهم . . . ما رأيك . . . ماذا تعمل ؟ .

وابتسمت كأنها وافقة بأنها أعدت كل شيء :

- أقول لك الحق . . . إنها ابنتى . . . رغم كل شيء إلى أحس بها ابنة لى . . .

ولا أريد لابنتى أن تسجب فى الحرام . . . ويجب أن تتزوجها . . . إنك لن تستطيع أن تتزوجها فى مصر لأن قانون التبنى يمنعك ولكك تستطيع أن تتزوجها بعيداً

عن مصر . . . نسافر نحن الثلاثة إلى باريس أولاً عاصمة أخرى وتزوجها هناك . . .

وقاطعها :

- هل ستزوجها أنا وأنت . . .

وقالت متسمة :

- آسفة أقصد طبعاً أن تتزوجها أنت وبقى الزواج سرّاً . . . ثم تصعب مولودها هناك . . . وبقى فى الخارج ستة شهور أو أكثر وتعود وأنا أحمل الطفل على أنى تبتنيه من أحد الملاحى هناك ، وكل الناس هنا يعلمون أنى أريد أن أنتنى طفلاً آخر بعد أن كبرت بوسى . . . ومد شهور وأنا أديع بين كل الأصدقاء أنى أريد أن أنتنى مولوداً حديداً بل إن تم عطيه الصالة عرضت على من أيام تبنى طفلة أنجبتها شقيقتهما . . . المهم سنعود وأنا أحمل طفلك على أنى تبتنيه ولن يغير ذلك شيئاً فى واقعته فأمة الحقيقة ستبقى معه وأبوه معه ويحمل اسمه .

أما بالنسبة لى فلا شيء تغير أيضاً ، فقد كنت أنتنى من الملاحى ، والآن يمكن أن أتصور أنه أصبح لى ملجأ خاص . . . وهو بوسى نفسها . . . بوسى أصبحت ملجأى الخاص . . . وحتى يكون أولاد هذا الملجأ أقرب إلى قلبى فأتصور أنى أنا التى كللتك بإيمانهم لى . . . إنها مجرد عملية تلقيع صناعى بشكل خاص . . . بما أن التلقيع لا يصلح لى فقد حريناه فى بوسى ونجح . . . ومن يدرى ربما بعد ستة أو سبتين نتفق على إجراء تلقيع آخر وأتلقى من ملجأى الخاص . . . من بطن بوسى . . . طفلاً آخر . . . اعمل حسابك . . . إلى أريده ولداً .

وكان يستمع إليها فى دهشة . . . دهشة لا يدرى كيف يفسرها . . . ولا كيف

بحكم عليها .. وكيف يحكم على دولت .. إنه لم يكن ينتظر منها كل هذا .  
وقال في وجوم :

- إنك نسيت أن تقدرى ألى أحبها .. أنت تحبها كاتبة ولكنى أحبها  
كامرأة .. إلى أحبها فعلاً ...

قالت من خلال ابتسامتها الهادئة :

- ما هو الحب .. إنه العطاء . وقد أعطتك مالا أستطيع أن أعطيه لك  
أعطتك متعة الجسد وقد انفصلت أنا عنك جسدياً منذ سنين .. وما هى تعطيك  
الحلف الذى عجزت أن أعطيه لك .. ولماذا لا أغار منها ، بل أحس كأنى  
تكمل ما ينقصنى .. لو كنت أعطيتك متعتك كرجل وأنحت لك لما دخلت  
بوسى ببقى ولا تركها تعطيك شيئاً ..

- إذا كان الحب عطاء .. فماذا أعطيا أنا .. ماذا أعطى بوسى ..

- تعطيا كل ما لا تستطيع أن تعطيه لى .. وأنت لا تستطيع أن تمارس  
الجنس معى ولا أن تنجب منى ..

- مستحيل .. هذا لا يمكن .. إن الحب ليس صفقة تجارية وليس مجرد  
عملية حسابية يقوم بها العقل وحده .. إن الحب عاطفة .. إحساس .. والعاطفة  
تعطى أكثر مما يعطى العقل ، أو أن العقل يصبح فى خدمة العاطفة ..

- إنك تنجنى أنا أيضاً يا محمد .. وهم يقولون أن ليس من حق الإنسان  
أن يحب الكثير ولكن هذا كلام فارغ .. فإن من حق الإنسان أن يستكمل  
ما يحتاج إليه طبيعته .. ويأخذ من كل واحدة ما ينقصه من الأخرى .. ويجب  
أن تعطيا ولكن ليس على حساب ما تعطيه لى ..

- إنك إنسانة مجردة من العاطفة .. ليس لك قلب ولكن لك عقلان ،

عقل فى رأسك وعقل فى صدرك .. وأستطيع أن أكتشف الآن أنك منذ اليوم  
الأول الذى التقينا فيه وأنت تأخذينى بعقلك .. أخذتني على أمل أن تحمل  
وتنجى لأني لم تنجى من زوجك الأول ولو كنت قد أنجحت منه لما التقينا أبدأ ..  
ثم بعد أن حربت معى ولم تنجى أيضاً بدأ عفتك الذى ينظم ويحدد احتياجاتك  
بقصك بأن تأخذينى كايين بالثنى .. إن عواطفك نحوى هى نفس عواطفك  
سحر بوسى عواطف الثنى التى تكنى بالإحساس بالملكىة .. لذلك لم تعار أبدأ  
على رغم أنك كنت تعلمين بكل ما يجرى فى حياتى الخاصة .. كأتى أم ،  
لا تعار على أنها من عشيقته ومغامراته لأنه سيقى دائماً أبها .. ولم تغار من بوسى  
وإلى الآن لا تعارين منها حتى بعد أن حملت منى ، كل ما يملك هو الحرص  
على ملكيتك لى ولما ..

وردت محتدة :

- إنك نظلمنى .. إلى أحبك إلى حد أنى أضحي بما يسعدنى لأحفظ لك

بما يسعدك .. ماذا كنت تريدنى أن أفعل وأنا أحس بعجزى ونقصى ..

- كنت أريد أن يكون حبك أقوى من عجزك .. ألا تقبلى أى وضع يمس  
حبك .. كنت أريدك أن تغارى دائماً وأن تتورى على .. أن تحفظى باحترام  
حبك كاملاً حتى لو ضحييت بى .. كنت تستطيعين أن تقبلى من حب بوسى ،  
وتنفذى بوسى من حبى لى منذ بدأت تلاحظين ضعف كل منا نحو الآخر ..  
ولكنك لم تحاولى .. لأنك ضامة لملكيتك لنا نحن الاثنين ..

- ماذا كنت تنتظر منى ؟

- لا أدرى .. إن كل ما يهمنى الآن هو مستقبل بوسى .. إن الحب عطاء

كما تقولين ، وللعطاء الذى تحتاج إيه بوسى الآن هو أن تواجى المجتمع بصراحة

وَأَنْ يَكُونَ مَوْلُودَهَا لَهَا وَتَسَاهَى بِهِ أَمَامَ النَّاسِ . . لَا أُرِيدُ أَنْ أَظْلِمَهَا وَأُظْلَمَ ابْنِي  
مَعَهَا . . كَيْفَ . . كَيْفَ . . لَا أَدْرِي .

وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَوَدَّتْ يَدَهَا تَرَبَّتْ عَلَى كَتِفِهِ وَتَمَسَّحَ بِأَصَابِعِهَا عَلَى شَعْرَةِ  
الْأَبْيَضِ . . وَقَالَتْ فِي حَنَانٍ :  
دَعْنِي أَفَكِّرَ لَكَ . . اظْمَتِينَ . . كُلُّ شَيْءٍ لَهُ حَلٌّ . .

❖ إِنَّهُ يَرَى بِأُذُنِهِ ❖

إن محمود شخصية معروفة مشهورة . . إنه مشهور شهرة التابعى بائع العول ،  
أو شهرة حامد محمود بائع الأحذية ، أو بنترمويل بائع قطع الأثاث ، أو فاعلة  
ناعمة الطعمية ، أو الشوربجي بائع الملابس الداخلية ، أو شهرة زكى السالك . .  
شهرة البائع المتخصص الفنان الذى يستطيع أن يخدم الربون حتى يكسه ويحفظ  
به ، ويستطيع أن يجعل من كل زبون طعماً يرميه فى السوق ليصطاد به عشرة  
زبائن آخرين . .

ومحمود متخصص فى بيع الكأس . .

إنه بارمان . . أو ساق ، بلعة قاموس مختار الصحاح . .

وهو لم يرث هذا التخصص عن أحد من عائلته ، ولم تدفعه إليه هوايته  
للكأس . فهو إلى الآن وبعد أن أصبح أشهر « بارمان » فى مصر ، لا يشرب  
الحمر إنما فقط يذوقها بطرف لسانه كلما أراد أن يتأكد من سلامة زجاجة مها ،  
أو كلما أرد أن يختبر تركيباً جديداً من تراكيب كؤوس الكوكبيل  
التي تضم خليطاً من أنواع الخمر . . ومنذ أن كان فى بلدته كفر نعيمه مركز  
طلحاً وهو يتخيل لمستقبله مختلف الصور . . يتخيل نفسه ضابط بوليس ،  
أو طبيباً ، أو مدرساً ، أو رعيماً سياسياً ، ولم يحظر على باله أبداً أن يتصور نفسه



ساقيا يقدم الخمر، ولم تكن كل دنيا حiale تنسج لمحد أن يرى نفسه فيها واقفاً في حانة  
وحصل على الشهادة الابتدائية ثم بدأ رحلة كل يوم إلى البندر ليصل  
إلى المدرسة الثانوية . . ولا تزال أحلامه تصور له مستقبله كما كان يراه منذ  
كان طفلاً . . ضابطاً . . طبيباً . . مدرساً . . زعيماً . . إلى أن وجد نفسه  
يعيش المشكلة العادية التي تمر ببلايين العائلات . مات الوالد ولم يترك شيئاً  
سوى أم وخمسة أخوة ومعاش قيمته خمسمائة وثمانون قرشاً في الشهر . تسلم  
منه العائلة خمسمائة قرش فقط والباقي يذهب إلى الدولة ممثلة في شخص الصراف .  
وأصبح مصطراً أن يعمل ويكسب ثمن وجوده بعرق جبينه ، وكان له قريب لأمه  
يعمل جرسونا في فندق كبير من فنادق القاهرة ، فذهب إليه لا ليعمل معه في نفس  
الفندق إنما ليجتهد له عن أي عمل في القاهرة التي كانت تمثل له ولكل أهل  
قريته غاية في اجتهاد يكفى أن تمد يدك لأى شجرة منها لتقطف ما تشاء . .  
وهو يريد أن يقطف عملاً يكفل له أن يستمر في الحياة إلى أن يصحح ضابطاً  
أو طبيباً أو مدرساً أو زعيماً . . وكل ما كان يتناهى في هذا العمل ألا يستغرق كل  
يومه حتى يترك له الفرصة ليستمر في دراسته الثانوية . .  
ولكن قريبه أخذه معه في نفس العمل . . ووجد نفسه سفيرجياً صغيراً .  
أو مساعد سفيرجى . . ووجد نفسه يدمج بسرعة في هذا العالم الجديد . . ولعله  
اكتشف نفسه أو اكتشف مواهبه . . وأخذ يفهم كل شيء بسرعة عجيبة ،  
ويحفظ أسماء المأكولات والأدوات بسرعة أكبر ، ثم بدأ يفهم الزبائن . .  
إن أهم شيء في المهنة هو أن تفهم الزبون ، فكل زبون له عقلية خاصة ومزاج  
خاص ونعم خاص من سمات الأوتار العصبية ، ولا يكفى أن تقدم للزبون ما يطلبه ،  
بل المهم هو الأسلوب الذي تقدم به . . هذا زبون تتطلب معاملته ابتساماً وكلمة

١١٠ . . . . . ترى له قصة حياتك وأنت تقدم له طعام العشاء . . وهذا زبون تتطلب  
١١٠ . . . . . من التعالى عليه بما يشبه الاحتقار لأنه تعود ألا يكون مهذباً إلا بالتعالى  
١١٠ . . . . . إذا دلت له أو ضعفت أمامه حاول أن يركبك وينهش لحملك . . . . .  
١١٠ . . . . . أن تفهم الزبون وعلى قدر فهمك تستطيع أن تكسب سمعة بين الزبائن  
١١٠ . . . . . صريح أيضاً أن تحصل على الحد الأقصى من البشيش . . فالبشيش لا يعطى  
١١٠ . . . . . لمحد مكافأة على عمل بل قد يعطى أيضاً كرشوة ، أو قد يعطى كنوع  
١١٠ . . . . . لشكر إذا كان الزبون في حالة يريد أن يعلن فيها أمام فتاة تصعبه أنه  
١١٠ . . . . . هارون الرشيد ، وأنفس وأحق أنواع البشيش هو الذى يدفعه الزبون  
مباراً وبحكم النص عليه في فاتورة الحساب . .

واستطاع محمود أن يكسب نجاحاً كمساعد سفيرجى أو كسفيرجى صغير . .  
١١٠ . . . . . بين رؤساء النجاح بين الزبائن . . ولكنه وجد نفسه مشدوداً دائماً إلى  
١١٠ . . . . . البار الذى يتولى زعامته الرئيس مهداوى محمدى . . الرجل التوى الذى  
١١٠ . . . . . عليه وهو يقود البار أكثر من ثلاثين سنة . . منذ أيام الإنجليز . . كان  
١١٠ . . . . . محمود ينظر إلى البار من بعيد كأنه ينظر إلى عالم خارج مصر . . كأنه بمجرد  
١١٠ . . . . . يحط داخل صالون البار قد عبر البحر المتوسط وأصبح في أوروبا . . لا لأن  
١١٠ . . . . . رائحة البار من الأجانب فهم نفس الزبائن في كل مكان من افندق ،  
١١٠ . . . . . لأن كل ما في البار ينقلك إلى عالم أجنبي . . الزجاجات الملونة . . الأسماء  
١١٠ . . . . . أسلوب الخدمة . . كل شيء ليس فيه شيء من مصر ولا من الشرق . .  
١١٠ . . . . . صورة كاملة من المجتمع الأوروبى . . حتى التمثال الفرعونى . الكبير الذى  
١١٠ . . . . . اسمه مهداوى في جانب من صالة البار ، واللوحات التى رسم عليها السخيل  
١١٠ . . . . . الحمال والصمراء المعلقة على الحائط ، كل ذلك ليس له أى أثر في نقل

حو البار إلى عالم الشرق ، إنها تبدو كتحف معلقة في بيت أجبي . .

ومحمود يريد أن ينتقل إلى أوروبا . . يريد أن يخطو فوق عتبة البار ليصل إلى هذا العالم الآخر . . واستطاع بذلك الرقيب الذي يخفيه وراء قناع من السذاجة البريئة ويقف في كل كأس من خمر الدم المهدبة . . استطاع أن يلفت نظر « المتر » مهدي وأن يثير اهتمامه فأحله معه مساعداً له في البار . لم يكن مساعداً إنما كان مجرد سفرحى يغسل الكؤوس وينقل الزجاجات ويطبخ الأوامر . . ولكنه كان دائماً يحصر كل اهتمامه في اكتشاف أسرار « المتر » مهدي . . اكتشاف سر المهنة . . وعرف أسرار الويسكي . . وأسرار الكونياك . . والشمبانيا . . والفودكا . . والجبن . . ثم اكتشف أسرار عجم الكوكيتل . . اكتشف سره بلودي ماري « أي ماري الدامية ، وهو كوكيتل مكون من الفودكا وعصير الطماطم والشطة والفلفل والليمون . . سر « الأمريكانو » وهو كوكيتل آخر يجمع بين عصير الكمبازي والمارتيني والصودا . . و . . و . . وعشرات من أنواع الكوكيتل . . إنه عجم كامل صدرت عنه عشرات من الكتب والفهارس ، والأبحاث . .

ومهدي يعتمد أكثر وأكثر على محمود ، ومحمود يكتشف أكثر وأكثر من أسرار البار ، إلى أن تعب مهدي وذهب إلى رحمة الله وتولى إلى العهد - أي محمود - مملكة البار في الفندق الكبير ، وكان قد عرف أن مهمة البارمان ليست مجرد أن يملأ الكأس ويقدمها ، ولكن يجب أن يكتشف الزبون قبل أن يملأ له الكأس . إن البارمان كسائق التاكسي الذي يركب معه كل ساعة ربون لا يعرفه ، وسائق التاكسي ينقل الربون من مكان إلى مكان ، أما البارمان فينقل الزبون من حالة إلى حالة ، فيجب أن يعرف الحالة التي هو فيها والحالة التي يريد أن ينقله إليها . .

وأكثر من ذلك . . لقد بدأ محمود مع الأيام يكتشف أن كل ما كان يحلم . . صوره ليحققه كمنتهى له أصبح يحققه وهو يعمل بارمانا . . كان يحلم . . يكون ضابطاً للبوليس ، أو طبيباً ، أو زعيماً وقد وجد أن كل ذلك يجب أن . . في شخصية البارمان وأن يمارس فعلاً اختصاصات الضابط والطبيب والزعيم ذاته . .

وهو يذكر هذا الرجل الأمريكي الذي جلس أمامه وبدأ يطلب ويشرب ، بدأ يعبى أعاني بذئته بصوت عال ، ثم قام ووقف أمام محمود وقال في تحد :  
لن أدفع . . إن خمرك كلها معشوشة . .

وكان من حق محمود أن يدعو هوراجال الأمم المتفرقين في الفندق ويقبض على الرجل ولكنه بذلك يسبق إلى نية الزبائن ويقصد جو البار ، والأفضل أن . . من نفسه ضابطاً للبوليس ويتصرف ، فأبغضهم استأمنته الجلادة التي تحق خبثه . . حال في مزح :

لا يهم . . حذ كأساً أخيرة على حسابي . . إنها ليست على حسابي ولكن ساعد في ثمنها أصحاب الفندق . . لا أنا ولا أنت ستدفع لهم شيئاً . .  
وضحك الرجل السكران ورفع كأسه صائحاً :  
- يسقط أصحاب الفندق . .

وقال له محمود والرجل يهم بالانصراف بعد أن شرب الكأس :  
هل معك سيارة . .

وقال الرجل ضاحكاً ضحكة مخمور :

نعم . . إنها قريبة . . تركتها في شارع برودواي . . ألسنا الآن في نيويورك . .  
وقال محمود :

- انتظر . . متخرج موبيا . . سأصحبك بسيارتي إلى نيويورك . . إنها قريبة من هنا .

وقال الرجل :

« هيا يا صديقي . . ولكن على شرط أن نمر على مدير الفندق لنصق حسابنا معه . . إلى أذرع باللحمات . .

وضحك محمود قائلاً :

- وأنا أذفع بالشاليت . .

ووضع محمود ذراعه في ذراع السكران وخرج به من الدار وظل يصاحبه حتى وصل به إلى قرب الباب الخارجي وأشار إلى اثنين من حرس الفندق فتقدموا وقبضا على الرجل قبل أن يقاوم ، وبقيا معه حتى أفاق ودفع الحساب واعتذر وهكذا كان محمود يمارس مهمة ضابط البوليس التي كان يحلم بها في صغره . .

ثم بدأ محمود يحس بنفسه كطبيب مسئول ، فهو يقتل الزبون بفعل الخمر من حالة إلى حالة . . سواء حالته الصحية أو حالته النفسية . . فيجب أن يتحمل مسئولية الطبيب سواء كان طبيب الأمراض الحسدية أو الطبيب النفسي . . وكان يعتمد في علاج مرضاه على نوع وكمية البكمون الذي يقدمه في الكأس . وهو لا يستطيع أن يرفض تقديم كأس يطلبها الزبون حتى لو وصل هذا الزبون إلى حالة أقرب إلى فقدان الوعي ، ومع ذلك يصر على طلب كأس أخرى . والمهم دائماً هو تحديد ما في الكأس من نسبة الكحول . . ومعظم الرائيين لا يستطيعون خصوصاً بعد الكأس الأولى تحديد نوع ما يشربونه ، إنما يصحح الأمر كله في يد محمود . . ولذلك فهو يعتمد دراسة نسبة قدرة الزبون على تحمل تأثير الكحول

• لا يتحمل أكثر من كأسين ، وزبون يستطيع أن يتلع عشر كؤوس . . وباء على هذه الدراسة قد تختلف الكأس الثالثة التي يقدمها محمود . . كأس الأولى . . قد تحمل الكأس الأولى قيراطين من الويسكي ولا تحمل كأساً ثالثة سوى قيراط واحد ، ويعطى هذا الفرق بكمية الثلج أو الصودا التي يمددها على الويسكي دون أن يشعر الزبون بأى شيء . . ولم يكن محمود يحس بذلك أنه غشاش أو أنه يسرق الويسكي من أفواه الزبائن ولكنه طبيب حريص على حالة مرضاه الصحية . . مرضى الخمر . . وكان يحس بقدرته على التحكم في حالة الزبائن عند تقديم كؤوس الكوكيتيل ، بل إنه أصبح يوزن إعداد الكوكيتيل . . إنه يحس بنفسه كأنه صيدلي يعد الدواء المركب لكل مريض . . كوكيتيل «جين فيس» أى «الابنة الصغيرة» المكون من خمسين ألفاً من الليمون والسكر والصودا . . والكوكيتيل الفرنسي المزيج العالي الذي لا يمدح إلا في المناسبات العزيرة . . كوكيتيل «رويان» الملبش «المكون من الكوبيك وعصير البرتقال وعصير المشمش ثم يخلط مع شبنانيا من النوع القوى المصالح ويرى الكأس من حوله يقطع من فاكهة الموسم . . . . . وصل محمود . . أن أصبح ميث الدار إلى أن أصبح يشكر أنواعاً جديدة من الكوكيتيل تنسب له . . حمد أن يطلق عليها أسماء مصرية وكان أولاً كوكيتيل نفرتيتي الذي يعتمد في . . على الجين والكواترو والكيمباري وعصير الأناناس ، وأصبح نفرتيتي . . وبأ عالمياً مسجلاً في كل بارات العالم ومسجلاً إلى اسم محمود . . وقد اصطر محمود أن يعتمد على نفرتيتي عندما وجد نفسه يوماً مضطراً لأن . . بين رائيين البار مسئولية القاضي أو الرعيم الذي يصدر أحكامه تحقيقاً لهما له

كان مصطفى عبد العزيز من بين زبائنه الدائمين ، وهو رجل في حوالي الأربعين من عمره يبدو وسيماً ولكنه يختبر نفسه أكثر وسامة من حقيقته ، ويهتم بشربه الرقيق الملتصق فوق شفثيه اهتمامه باختيار رباط عنقه وتلميع حدائه . . . وقد يكون ذكياً ولكنه أيضاً يعتبر نفسه أكثر ذكاءاً من حقيقته ، ويلقى كلماته التافهة كأن كل كلمة تعبر عن حكمة أو اكتشاف جديد . . . كان إنساناً مغروراً بنفسه وكان يستمد وقود غروره من اصطلياد عجائز السائحات . فهو دائماً في البار مع سائحة عجوز قد تسافر بعد بضعة أيام فيظهر مصطفى في اليوم التالي مع سائحة عجوز أخرى يكرر معها نفس التمثيلية . . .

ولم يكن محمود يستريح له أو يستخف دمه وكان يعامله كزبون من الدرجة الثانية ، وقد عرف عنه الكثير . . . عرف أنه متزوج ويسكن في حي شبرا ، وأنه تنقل كموظف بين مجموعة من الشركات ، وأحياناً يعمل كمسافر أو كوسيط في عمليات تجارية تافهة ، وأنه يعتمد اعتماداً كاملاً في اكتساب دخله على اصطلياد السائحات العجائز واستنزافهن . . . إنه محترف بيع المتعة للعجائز . . .

ولم يكن مصطفى عبد العزيز من مدمني الخمر . ربما اختار البار كمجال للعمل ، يسبل عليه فيه التأثير على صيده . . . وكان لا يطلب لنفسه عادة سوى كأس واحدة يتناولها في مدة طويلة وبأسلوب معين يتبع له أن يترك المرأة التي معه تشرب في نفس المدة عدة كؤوس حتى تسكر ويسبل عليه استنزافها .

ورغم ذلك فإن محمود كعادته مع كل الزبائن تعتمد أن يختبر قوة مصطفى عبد العزيز على تحمل الخمر ، فقدم له ذات مرة ما يوازي كمية ثلاث كؤوس داخل الكأس الواحدة التي تعود عليها ، فلاحظ أنه بدأ يهتز وقدر بذلك مدى قوة تحمله .

وفي ليلة دخلت البار فتاة قد لا تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها . . . جمالها

هادئ . . . شعرها ينساب برقق حول وجهها كأنه وجد هكذا دون حاجة إلى من يصففه ، والألوان برقق وجهها كلها ألوان نائمة في حلم سعيد لا يوقظها منه . . . دحبل كأنه وجه مفسول من كل الألوان المزيفة . . . وقد خطت إلى داخل البار بعد تردد طويل وأخذت تتلفت حولها في حيرة وإرباك ، ومحمود يتطلع إليها طمعه إلى أي زبون جديد ، إلى أن اقتربت منه وقالت في صوت خجول يتكسر بين شعبيها :

- من فضلك . . . هل تعرف مصطفى بيه عبد العزيز . . .

ونظر إليها محمود في دهشة . . . إنها ليست من النوع الذي يمكن أن يسأل هو مصطفى عبد العزيز . . . كان يمكن أن تسأل عن أي زبون إلا هذا الزبون . وأحسب وهو يقفيسها بين عينيه ليكتشف من تكون لمصطفى عبد العزيز . . . ربما كانت أخته . . . لا يمكن أن تكون على علاقة عاطفية معه فهي تبدو أنظف من أن تكون على علاقة مع مثله . . . أجاب :

- نعم . . . أعرفه . . .

فالت وهي أكثر تردداً وحياء :

- هل يأتي هنا . . .

ولم يكن من طبيعة محمود أن يقل الإجابة على أي سؤال خاص بأحد من زبائنه . إنه يحترم دائماً أمر المهنة . ولكنه أحاسها كأنه يضع يده في خدمتها . - إنه دائماً هنا . . .

وعادت الفتاة تتلفت حولها في حيرة . . . وفي هذه اللحظة دحبل مصطفى سيد العزيز ونظمه محمود من بعيد وهو يبدو مرتبكاً عندما وجد الفتاة في البار . . . يستدار كأنه يحاول الهرب ، فأشار محمود إلى الفتاة بسرعة فلمحت رجلها

المحارب وجرت إليه . .

وعاد مصطفى عبد العزيز مع الفتاة إلى البار وجمعه محمود وهو يقول لها :

- لا شك أنك جنت . منذ متى تعودت دخول البارات . .

وقالت الفتاة بصوتها كأنه نأب للبكاء :

- جئت أبحت عنك . . يجب أن تنتهي إلى حل . .

وقال لها :

- لا يمكن أن نجد الحل هنا في البار . . إني في انتظار بعض الأصدقاء

الآن لتحدث في عمل . . اذهبي الآن . . وولتي غدا . .

ومحمود يستمع له وهو بعيد عينا . . لقد عود أذنيه على الاستماع من بعيد

ويستطيع أن يوجهها في أي اتجاه لسمع ما يريد . . كأنهما عينا . . إنه يرى

بأذنيه . . ومنذ تفرغ للبار انقطع عن دراسته الثانوية وأخذ يتردد على المعاهد الخاصة

ليدرس الإنجليزية والفرنسية والألمانية أيضاً حتى يفهم كل ما يدور حوله من أحداث

الزبائن . . ومن خلال أذنيه رأى الكثير . . رأى صفقات تعقد . . ورأى حوادث

حب . . ورأى سرقات . . ورأى . . ورأى . . وهو يرى الآن بأذنيه هذا الرجل وهذه

الفتاة . . والرجل يكذب عليها . . إنه ليس هنا للقاء أصدقائه . . إنه هنا

ليزاول مهنة بيع المتعة لعجائز النساء . . وهو يستطيع أن يقدم لهذا الزبون الكاذب

كأساً تدفعه إلى الصدق . . لا تكذب على هذه الفتاة المسكينة . . لا تكذب . .

ورفع من كمية الويسكي التي تعود أن يقدمها لمصطفى ثم أضاف إليها قطعتين

من مشروب الحين وقدم الكأس والفتاة تقول :

- لم أعد أحتمل العذ . . لقد أعددت كل شيء . .

وشرب مصطفى الكأس وقال ساخراً :

ماذا أعددت . . أعددت فضيحة أم جريمة . .

وبكت وتساقط دموع صامتة على وحتى الفتاة وقالت :

ارحمي يا مصطفى واسمعي لي .

وعدم محمود بسرعة بعد أن رأى دموع الفتاة قائلاً .

أستاذ مصطفى . . اسمع لي أن أقدم لك نفرتي . . إني أحفظ اليوم

بيلادها . . في مثل هذا اليوم ولدتها وجعلت منها أجمل كوكيل في العالم .

للزبائن يجب أن يحتفلوا بنفرتي . .

وقال مصطفى وقد بدأت كأس الويسكي تهز لسانه :

عجيب . . لم أرك أبداً كريماً إلى هذا الحد . .

وعنده محمود والنفت إلى الفتاة قائلاً :

والآنسة أيضاً . . يجب أن تحيي معنا نفرتي

وطرت إليه الفتاة في ارتباك كأنها لا تفهم ماذا يقول وأطلق مصطفى ضحكة

صاحبة قائلاً :

اشرفي . . لقد أصبحت أنت أيضاً من زبائن البار . .

وعاب محمود لحظات وأعد الكؤوس كما أرادها . . الصبيل الذي قرر

أن يكتشف دواء للكذب . .

وشرب مصطفى . .

ثم مد يده وغضب الفتاة على أن تشرب . . لم تكن هذه هي عادة مصطفى

ولا كانت من عاداته أن يتصرف تصرفاً مقصوحاً . . ولكنه تأثير نفرتي . . وقالت

الفتاة وهي تبيع الكأس :

إسمعي . . لقد كنت تقول إنك تنتظر حتى يجمع من المال ما يكفيها .

لقد جمعتنا أنا . . أخذته من البيت وحثت به إليك . .

وقال مصطفى وقد التوى لسانه :

- إن كل ما في بيتكم لا يكفى خطوة واحدة نحو المأذون . . ولو كان مأذون كلاب . .

ثم شد حقيبتها وفتحها والنقط ما فيها ثم صرخ ضاحكاً ضحكة سكرى قائلا :

- خمسون جنيا . . ها . . ها . . ها . . هل تعرفين كم أخرج في الليلة الواحدة من أى سائحة . . مائة . . مائتين . . أكثر . .

وقامت الفتاة وقد بدأ لسانها هى الأخرى يرتج :

- لا أعلم يا مصطفى . . ماذا تقصد . . هذا كل ما وحدته في البيت . .  
وقال السكران :

- البيت الذى ليس فيه إلا خمسون جنيا . . غرابة . . وأما لن أتزوج ولو كان في بيتك ألف . . كعائ زواج . . الولية في بيت شبرا مطلمة ديبى . .

وصرخت الفتاة :

- هل أنت متزوج . . متزوج يا مصطفى . . جدهتى . . ماذا أفعل الآن . .  
وقام مصطفى مترنحا من فوق مقعد البار ، ووضع الخمسين جنيا في جيبه

وقال مترنحا :

- عودي إلى بيتك إلى أن تجدى شيئا آخر ثم تعود وتفكر . .  
وانطلقت الفتاة وهى تصرخ :

- جدهتى . . يا مجرم . . يا لص . .  
ثم رفعت كعها وصفعته بكل قواها . .

واسم محمود وهو خلف البار لهذه الصفعة ، ثم قرر نحو الفتاة والرجل وأمسك بهما في رفق وقادهما إلى خارج البار ، وقال هامسا لمصطفى :

كن هادئا . . رجال الأمن وراءنا . .

واحتقن وجه مصطفى بالذعر وانقاد إلى محمود ومعه الفتاة ، وفى زاوية بعيدة حارح البار استطاع أن يحقق العدالة . . وكانت العدالة التى أرادها عن طريق نفرتيقي هى أن تكشف الفتاة حقيقة مصطفى . . وقد اكتشفتها . .

هكذا كان محمود . البارمان المشهور . . ساقى الخمر . . عيناه في أذنيه .  
إلى أن بدأت أذنا محمود تتجهان إلى زبونه رفعت عبد اللطيف . . المقدم رفعت عبد اللطيف . . وهو زبون قديم وإن كان يعتبر من زبائن الثورة ، أى الزبائن الذين لم يطهروا إلا بعد الثورة وتقاس قيمة كل منهم بقيمة مركزه بالنسبة لثورة . . وهو زبون البار طالما ظل محتفظا بمنصبه ، فإذا ترك المنصب ترك البار . .

وقد لاحظ محمود أن المقدم رفعت أصبح يلتقى كل ليلة داخل البار مع صديق لم يكن أبدا من زبائن البار . . وعرف أن هذا الصديق هو أيضا ضابط . . ومع الوقت سمع اسمه . . سعيد المر . . وكانا يجتمعان مستندين على حافة البار ناحية الركن العبد . . وكان حديثهما غالبا أقرب إلى الجنس حتى كان محمود عسفر أن يبذل مجهودا كبيرا ليلتقطه بأذنيه ، وبدأ يعتمد أن يرفع من سسة كحول أو يضيف إليه عناصر أخرى حتى يرفعها صوتيهما فيسهل سماعهما .  
ولم يبدأ اهتمامه بتوجيه أذنيه إليهما لمجرد أهمهما من رجال الجيش ، ولكن لأنه سمع منهما بالصدقة كلمتين أثارتا حيرته وأثارتا مع الحيرة شهوة الاستماع واكتشاف الأسرار .  
كان المقدم رفعت يقول :

- لازم نخلص .. ونخلص بسرعة ..

وأجاب الرائد سعيد المر :

- السرعة ليست في صالحنا .. كل الدواهي سببها التصراع ..

وقى لثمة أخرى قال المقدم رفعت :

- الراجل بتاعنا افتتح .. لم يبق إلا تحديد الموعد ..

وسمع الرائد سعيد يقول :

- الجماعة بتوع سوريا مستعدين .. كنت معهم منذ ساعات ..

وبدا محمود يقتنع بأن هناك مؤامرة تدبر .. وربما انقلاب ... وبما عملية

اغتيال .. وليس غريباً أن تم لقاءات المتآمرين في بار .. بالعكس .. إن حوادث

خطيرة وهامة ترسم داخل البارات .. فهنا - في البار - يأمن المتآمرون من عدم

إثارة الشبهة .. لا أحد يمكن أن يتصور أن اجتماعاً خطيراً يمكن أن يعقد في بار ،

ولا حتى رجال البوليس .. فقط رجال المخابرات الذين يمكن أن يكتشفوا

أسرار البارات .. ومحمود ليس من رجال المخابرات .. ولا يدري إذا كان

بين زبائنه مخابرات ، أم لا .. وإذا كان هناك رجال مخابرات فهل تهبوا

إلى هذه المؤامرة أم لا .. وأذناه لا تكتمان عن تنح المقدم رفعت عبدالمطيף والرائد

سعيد المر ولتلقطان تفاصيل كثيرة خطيرة لا يدري كيف يتصرف فيها .. إلى أن

سمع الرائد سعيد المر يقول ذات ليلة للمقدم رفعت عبد اللطيف :

- غدا سننشر في الصحف حكاية الجاسوس الإسرائيلي الذي اكتشفناه ..

من باب التغطية .. وسيستمر النشر .. وقد تم العملية يوم الرابع أو الخامس

من الشهر القادم ..

وأجاب المقدم رفعت :

التحركات كلها حددت .. وعلى بركة الله ..

والدعاء تعلّى في عروق محمود .. إنه لا يدري ماذا يفعل بكل هذا الذي

يسمعه .. بل إنه يراه .. إنه يرى ما يسمعه .. يرى بأذنيه .. يرى مصر تنقلب

أمام عيبيه .. ربما كان من الخير له أن يتجاهل كل هذا الذي يسمعه .. ماله

وهنا البلاوى .. وأعد لنفسه كاساً من عصير التنازع المركز حتى يهدئ أعصابه

بحب أن يقنع نفسه بأن كل هذا لا يهمه .. وليس من اختصاصه أن يهمه

إيه ليس مخابرات .. وهو يسمع أن البلد كلها غارقة في بحر من المخابرات ..

ويكنى الانكسار على المخابرات ..

ولكنه في صباح اليوم التالي فتح الصحف إنها كلها تنشر حكاية الجاسوس

الإسرائيلي .. إن الخطة تأكدت .. كل ما سمعه يحدث .. لم يبق إلا أيام

وتتم العملية .. كيف يتصرف .. إنه لا يريد أن يقوم انقلاب

في مصر .. إن مصيبة جديدة لن تحمل المصيبة القائمة .. والبلاوى لا تحلها

البلاوى .. وفرعة العلاج الشهم تملأ كل إحساسه وتقرص كل أعصابه ..

وزعم ذلك كله لا يدري ماذا يفعل ..

إلى أن دخل إلى صالة البار بهجت شكرى .. إنه ليس من زبائن البار ولكنه

يتردد عليه في فترات متباعدة كلما جاء إلى الفندق في إحدى المناسبات ..

وهو يعلم أنه يحتل مركزاً هاماً في مكتب الرئاسة .. ربما كان مدير مكتب ..

أو سكرتيراً خاصاً .. أو مستشاراً .. المهم أنه في أحد أركان الرئاسة العليا ..

وهمس محمود في أذنه وهو يقدم له الكأس :

- أرحو أن تسمح لي بلقاء .. إنه موضوع هام

ورد بهجت ضاحكاً -

- إنك هكذا ملك الدنيا يا محمود .. فماذا تريد أكثر ..

وقال محمود وهو يتطلع حوله حتى يتأكد أن المقدم رفعت لم يصل بعد :

- إنه موضوع لا يتعلق بى .. يتعلق بالبلد .. بالمصير .. وأفضل أن أراك

في مكتبك ..

ونظر إليه بهجت شكرى نظرة جادة كأنه قدر أن يكون الأمر خطيراً فعلا .

ثم قال وهو يحفظ ابتسامته :

- هل يهون عليك البار تتركه بعد نصف ساعة ..

وقال محمود كأنه فوجئ بسرعة تلبية طله :

- ألا يمكن أن أتركه غداً صباحاً ..

وقال بهجت وقد اتسعت ابتسامته أكثر :

- إذا كان الموضوع متعلقاً بالمصير فلا يحتمل التأجيل إلى الغد .. سأكون

في انتظارك في مكنتى بعد نصف ساعة وسأترك تعليقات بإدخالك فوراً ..

أمثالك يا محمود لا يؤجل لهم طلب ..

ثم قام بهجت شكرى وانصرف بسرعة خارجاً من البار ..

ووقف محمود متجهداً كأنه أصيب بالشلل .. ويقول لنفسه إنه مجنون ..

ألقى نفسه في مصبه .. حاله ومال المصائب .. إنه ليس مسئولاً عن إنقاذ البلد

من المصائب .. إنه لن يذهب إلى بهجت شكرى .. ولكنه لا يستطيع .. قد يرسل

وراءه البوليس للقبض عليه .. سيذهب ولكنه لن يقول شيئاً .. سيدعى أنه

كان يريد له في شراء سيارة نصر ، أو استشار شقة .. ولكنه قد

يكشف كذبه .. واستسلم محمود .. استسلم لقدره .. وذهب إلى مكتب

بهجت شكرى الذى يقع بين مكاتب الرئاسات ..

واستقبله حارس من جنود الجيش .. صحبه إلى مكتب ضابط من ضباط

حرس .. وصحبه الضابط إلى غرفة صغيرة ليس فيها أحد وليس فيها مكتب .

لعلها غرفة انتظار .. وتركه الضابط وحيداً وخرج وأغلق الباب وراءه .

ومست أكثر من نصف ساعة ومحمود لا يزال وحيداً ، وأعصابه تنمزق ، وأفاده

صديق وأوهام كثيرة تملأ رأسه .. وبعجاً فتح الباب ودخل بهجت شكرى .

دخل مرحباً مبتسماً وهلل في مرح :

- آسف .. تأخرت عليك .. ألم يقدموا لك شيئاً .. هل تريد كأساً من

لويسكى .. إنك الآن الزبون وأنا البارمان ، اطلب ما شئت .. وإن كنت

لن أستطيع أن أخدمك قدر خدماتك لى .

وقال محمود وهو يتطلع توتر أعصابه ويحاول أن يتجاوب مع ابتسامته بهجت :

ألف شكرى .. أريد أن أقول ما عدى وأعود إلى البار .. تأخرت كثيراً .

وقال بهجت في تواضع :

- آسف يا متر محمود لأنى أخرت عودتك .. احك لى .

وبدأ محمود يحكى ، وربما كان قد قرر أن يكون حربصاً في كل كلمة

يقولها .. ألا يقول كل شيء .. وألا يتهم أحداً .. ولكنه ما كاد ينطق حتى

عله حماسه ، وسيطرت عليه فكرة محاولة إيقاظ مصر من انقلاب آخر ، وانطلق

بروى كل شيء .. يصف كل ما رآه بأذنيه .

ونظر شكرى يستمع إليه صامتاً دون أن يرفع إليه عييه .. ثم بدأ يسأله أسئلة

كثيرة قصيرة .

- منذ متى بدأت تسمع هذا الكلام ،

ويجب محمود في حماس :



- منذ أكثر من شهرين

ويسأل بهجت

- ألم تر أحداً ينضم إليهما في هذه الأحاديث ؟

هيرد محمود :

- لا . . ولكن الرائد سعيد المر كان دائماً يبق قليلاً ثم ينصرف في خطوات

سريعة كأنه على موعد آخر . وتتوالى أسئلة بهجت شكرى وترتفع درجة حماس

محمود في إجاباته . . إلى أن استأذن بهجت :

- عن إذئك يا محمود . . سأعود إليك ..

وتركه وحيداً والباب مغلق عليه .

ومضت نصف ساعة . . وبدأ محمود يتململ . . ونصف ساعة أخرى وبدأ

ينهار . . لعلهم سيتركونه هنا إلى الأبد . لعلهم مسجون . لعلهم نسوه . وحاول أن

يفتح الباب فاكشف أنه مغلق بمفتاح أو ترأس . . ودق يده على الباب . . وفتح

ضابط من ضباط الجيش . . لقد وضعوا عليه حارساً . . وقال الضابط في رفق :

- هل تريد شيئاً .

وقال محمود في رعدة .

- أريد أن أخرج من هنا . .

وقال الضابط في رفق :

- بعد قليل يذن الله . . السيد بهجت مشغول قليلاً . .

ثم عاد وأغلق عليه الباب .

والساعة قد وصلت إلى الثالثة صباحاً . . ووصل محمود إلى حد الانهيار .

إنه جالس على المقعد ورأسه بين يديه كأنه يودعها قبل أن تقطع . . إنه يعلم

طريقه هؤلاء الناس . . إنهم يدسون كل من يعلم شيئاً عن دنياهم حتى لو كان

يحاول انقاذ هذه الدنيا . . آخر حلقة العز علفة . . وهو الآن في انتظار العفة

صاح انتهى .

ومضاه فتح الباب . .

ودخل بهجت شكرى . . وفقر محمود كأنما لسعته النار عندما رأى اثني

بدهلان معه . . المقدم رفعت عبد النظيف والرائد سعيد المر . . وارتعش . . لم يعد

يستطيع الوقوف على قدميه فسقط على مقعدة كأنه انتهى

وقال بهجت شكرى في هدوء

أحرك يا محمود أن تعبد ما سمعته منك . . لا تخف . . إنه فقط أسلوب

المواجهة في التحقيق

وقال محمود ولسانه يتلطمع مع تمرق أنفاسه :

أألم أنهم أحدا . . إني فقط قلت كلاماً سمعته . . لم أقصد شيئاً . .

لم أقصد شيئاً .

وبعد بهجت يكرر أمامه بعض ما قاله . . وهو يبر رأسه أحياناً . . وأحياناً

معد ويقسم أنه لا يتهم أحداً . . وعيناه زائعتان . تنقلان في هزج بين المقدم

بهجت والرائد سعيد .

ثم بدأ الرائد سعيد المر يتكلم ويسأل محمود :

ألا تذكر الرجل الأمريكي الذي كان يدخل البار كل مساء .

وقال محمود وهو يطوى نفسه في مقعده :

- أي أمريكي . . إنهم كثيرون

وقال سعيد المر . .

- اسمه بيتر برسون .. لاشك أنك تعرف اسمه .

وقال محمود .

- نعم أعرفه .

وعنه سعيد المر يقول :

متى سافر بيتر هذا؟

وقال محمود :

- أول أمس على ما أعتقد ..

وقال سعيد المر :

- ألم تلتق معه في حديقة الفندق مساء الثلاثاء الماضي .

وقال محمود :

- إنه زبون صديق كتيبة الزبائن .

والتفت سعيد المر إلى بهجت قائلاً :

- كما قلت لك .. إنه مخطط أمريكي .. والهدف واضح .. إثارة

الانقسام في الجيش ..

وهز بهجت رأسه موافقاً ، ثم خرج الثلاثة من العرفة

وفي الصباح وجد محمود نفسه في السجن الحرى .

...

ومضت أربع سنوات ومحمود مختلف عن البار ، وكل الرهائن يعتقدون

أنه سافر للعمل في الخارج .. وتعدد القصص والحكايات .. إنه في باريس .

إنه في أسبانيا .. إنه في أستراليا .. لقد تزوج من أمريكية .. لقد أصبح مليونيراً

وافتح باراً في هونولولو .. ولم يحظر على بال أحد من الرهائن أنه ملق في السجن

الحرى .. هكذا محاكمة ، ولا حتى مجرد تحقيق داخل السجن . كلهم

... هناك

ومحاة ظهر محمود داخل البار ..

أعد عاد ..

وهو يقف على الرجالات والكؤوس في خفة كأنه هناك يعود إلى فرشته وأبوابه

بعد عسة طويلة .

وسقته الرهائن بالتهليل ، ولكنه يتلقى تهليلهم بانسامة ماردة كأنه لا يسمعهم

به لا يسمع فعلاً

إنه يصع في كل أذن من أذنيه قطعة ثقيلة من القطن فوق قطعة من الصمغ كأنه

كان يضع فوق عينيه غمامة سوداء ..

لم يعد يرى بأذنيه .

وبدا يعود ربائته على أن يقدموا طلباتهم بالإشارة أو يفهم ما يطلبونه من حركات

الشفاه .

وحاء بهجت شكرى ذات ليلة إلى البار وأخذ يحلق في محمود طويلاً ثم

شار إليه ليتقدم نحوه وبدأ يتكلم .. قال له :

أعترف أننا ظلمناك يا محمود .. ولكن الرصاصات أحياناً تضطر إلى

لظلم .. وقد كانت المعلومات التي قدمتها لنا صحيحة .. وكان يجب أن تكفك

عن شامتك ووظيفتك ، ولكن الحطة لى وصعدا كانت تفرص أن ظلمت وأن

تقذف بك في عملية انتحارية كأبطال الحروب .. فلو أننا تحركنا للقضاء

على المتآمرين فربما وقعت مصيبة في الجيش لأهم كلهم من الشخصيات الهامة

لتي كانت مسيطرة . وفي الوقت نفسه كنا نريد أن نتركهم يعلمون أننا اكتشفنا

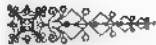
مؤامرتهم لأننا لا نصدق ما اكتشفناه . لذلك تركناهم يواجهونك ثم قصصا  
عليك حتى نؤكد أننا لا نصدقك . وقد نجحت الخطة . فإنهم اضطروا أن  
يؤجلوا المؤامرة وأن يبدأوا في وضع تخطيط جديد وهذا ترك لنا الوقت الكافي حتى  
نصق المؤامرين واحداً بعد الآخر في هدوء دون أن نعرض للجيش لأى ضجة  
أو انقسام . . أتدري أين الرائد سعيد المر والمقدم عبد الطيف . . إنهما حيث  
كنت . . فى السجن الحرق . .

وانتظر بهجت شكرى أن يتكلم محمود . .

ولكنه لم يتكلم . .

لم يلاحظ بهجت شكرى أن محمود يسد أذنيه . . لم يعد يسمع شيئاً . .  
لم يعد يرى بأذنيه . . لقد اكتشف طريق السلامه . . ألا يسمع حتى لا يرى . .

## ❦ الصيد فى بحر الأسرار ❦



عزيزى الأستاذ . .

أنا أحد أعضاء السلك الدبلوماسى . . وفى صيغة أكثر تواضعاً ، أنا موظف فى إحدى السفارات العربية . . ولا يهم أن أحدد لك الدولة التى تنتمى إليها هذه السفارة ، ولا فى أى عاصمة من عواصم العالم تقع ، فأنا لا أكتب لك لأدعيت إلى إثارة قضية عامة أو قضية سياسية ، كما أنى لا أكتب لأشهر سدى أو لأحد من الناس . . إنما أكتب لأنى تعودت أن أقرأ لك منذ كنت طالباً عندكم فى مصر ، وكنت أقدر أنك فيما تكتب تعرض الواقع كما هو دون أن تفرق بين ما يمكن أن يقال مهماً وفى داخل المجتمعات المخلقة وما يمكن أن يقال علناً وبشر على الناس . . وربما كنت تقصد ذلك أو لا تقصده . . أى ربما كنت حريصاً وربما كنت ساذجاً . . المهم ، أنى أكتب لك لأعرض عليك صورة من صور الواقع أعتقد أنها لم تطرأ على بالك ولا مرت بحالك لا لأستعين بك على موقف معين ولا حتى لأستعين برأيك . . إنما أكتب لمجرد الكتابة . . أريد أن أسمى بعضى فى أوقات الفراغ ، أو على الأصح - أريد أن أحقق عن بعضى بعض ما أحمله من هذا الواقع ، أو لعلى أكتب لأجرب نفسى ككاتب قصة . .

اسمعى يا سيدى .

إن منصبى الرسمى فى السلك الدبلوماسى هو منصب وزير مفوض . .

في خلال عامين اثنين ارتقيت من سكرتير ثان إلى وزير مفوض . . ويمكن أن  
تقدر ذلك على أنه اعتراف بتفاني وكفاءتي ، فإنني غير واحد من قسم الطبقة  
المثقفة لضيق التي يضمها مجتمع بلدي . كما أني لا شك أمتار بمستوى عال  
من الكفاءة ، وأنا لست واحداً من أفراد الطبقة الحاكمة . وهي طبقة أتراك  
لك الخيال في أن تتصورها في شكل عائلة حاكمة ، أو في شكل مجلس قيادة  
ثورة . ورغم أن أبي مجرد تاجر عادي يعيش حياته في دكان صغير داخل السوق ،  
لا أني منذ صباي استطعت أن ألت وحوذي بين أبناء الطبقة التي تحكم ،  
ثم استطعت أن أستمع في تعليم نفسي حتى تخرجت في كلية الآداب ، قسم  
الفلسفة ، جامعة القاهرة . فأنا أعتبر نفسي الفيلسوف الوحيد في بلدي . . ورغم  
ذلك وحتى أكون واقعياً فإنني لا أعتبر أن تفاني أو كفاءتي كانت السبب الرئيسي  
في هذه القفزات السريعة التي قفزتها فوق مناصب السلوك الدبلوماسي  
السب في تقديري هو الخدمات التي أؤديها . وحتى أكون أكثر صراحة معك  
فيمكنك أن تسميها خدمات شخصية

إن مهنتي الرئيسية داخل السفارة بجانب المهام الرسمية الأخرى هي ما يسمى  
« العلاقات العامة » ولكني تخصصت في جانب خاص من هذه العلاقات ،  
وهي العلاقات النسائية . . علاقات مع نوع معين من النساء

هل فوجئت ؟

هل دهشت ؟

يا صديقي إن العلاقات النسائية تمثل حاساً هاماً رئيسياً من نشاط أي سفارة  
من سفارات العالم ، وهي - ولا شك أنك تعلم - علاقات تستغل إما لتجديد  
بعض النساء لتحسن لحساب الدولة ، وإما لتوفير المتعة لبعض الشخصيات

الكبيرة من أهل البلد الذي يزور السفارة أثناء أداء مهامهم الرسمية في الخارج .  
صط من باب إكرام الصيف . ومهمة العلاقات النسائية إما أن تتولاها مكاتب  
محادثات الملحق بالسفارة ، وإما أن تتولاها السفارة نفسها عندما لا يكون لها  
مكتب محادثات ، كسفارتنا .

هل تذكر الضحة التي قامت في القاهرة عندما أعجب المرحوم الرئيس  
سوكارنو بإحدى فتيات فندق هيتون ، وطلب أن تلحق به بعد سفره ، ورفضت  
لحكومة المصرية السماح لها بالسفر . هذه القصة مد يداتها كانت لا يمكن  
أن تتم إلا تحت إشراف اجهار لدبلوماسي الذي يشق الرئيس سوكارنو ، ولحفظ  
لدى وقع فيه هذا الجهر هو أنه ترك القصة تعرف بين الناس ، وهو نفس السبب  
الذي جعل الحكومة المصرية ترفض السماح للفتاة بالسفر ، ومداواة وتعطية  
للفضيحة حتى لا تصبح قصة دولية ، وإلا فلا اعتقد أن أي دبلوماسية كانت تضحى  
صدقة زعيم عالمي كالمرحوم سوكارنو من أجل فتاة عاملة في فندق . وأن  
سوكارنو كان مشهوراً عالمياً بأنه زير سوء . . وأكثر من ذلك ألا تذكر  
انفصص الكثيرة التي عرفت وشرت عديم عن النساء اللاتي كل يقدم إلى  
بعض الشخصيات العربية الزائرة ، وقيل إنه كان من بين بعض الفساتين المشهورات  
وكانت تعد لها آلات تصوير سرية تلتقط موقف خاصة حارة لهذه الشخصيات  
وهم في حالات شادة مع هاتيك النساء . إن ما أعرفه أن هذه العمليات لم تكن  
مقصورة على الشخصيات العربية فحسب ، هناك شخصيات غير عربية  
أيضاً . . شخصيات عالمية تضم الغرب والشرق . . المهم . . إن ما يشغل فكري  
كلما تذكرت هذه القصص هو أن أسأل أين ذهبت الصور الفوتوغرافية  
التي التقطت . . بصورة واحدة منها يمكن أن تكون أداة التنازع للملايين من

العملات الصعبة . . ولكنى أقدر أن هذه الصور إن لم تكن قد أدمت فإنه يحتفظ بها في أعماق نثر الأسرار حرصاً على العلاقات الدبلوماسية . . المهم أن كل هذا كان يحدث نتيجة عجز السفارة التي تتبعها الشخصية العربية أو غير العربية ، فإن أى شخصية لها قيمتها عندما تسافر إلى الخارج تصبح في حماية السفارة . . ليست الحماية السياسية فحسب بل أيضاً الحماية الاجتماعية والحماية من الترواح الخاصة ، أى أن من حق السفارة أن تتدخل في اختيار الزائر لمجال ممارسة حياته الخاصة ، فإن الحياة الخاصة هي الباب السهل الذي تتدخل منه أجهزة التجسس والمخابرات الأجنبية . .

أريد أن أقول لك إن محصى في العلاقات العامة الخاصة بالتعامل مع النساء ، ليس عملاً مشيناً ولا ينطبق عليه اللقب الذي تسعملونه في مصر وهو لقب « قواد » . . لا . . ابصقها من فمك . فإنه يخص نقرضه المصلحة الوطنية التي تتطلب حماية الشخصيات الهامة في بلدك رغم أن دواعي تصرفات هذه الشخصيات التي تتطلب الحماية كلها دواعي شخصية رخيصة لا علاقة لها بالوطن ولا بالوطنية . .

وصدقني عندما أقول لك إنى لم أبدأ باختيار هذا التخصص ولا كان يحظر بيالى ولكنى وجدت نفسى فيه . . وعندما عينت في السفارة كسكرتير ثالث كنت أصغر أعضاء السفارة سناً ، ولا أبالغ إذا قلت إنى كنت الصورة الأكثر وسامة وإطلاقاً بينهم ، فإن حياتى الطويلة في مصر ورحلاتى إلى الخارج حملت منى شاباً يتميز بقبول اجتماعى أكثر من أى شاب في بلدى . . أنا لست مغروراً ، وأنت لا تعرفينى ولم أقصص لك عن اسمى أو شخصيتى حتى أتناهى أمانك بالغرور . ولكن هذا هو الواقع . وقد فوجئت منذ وصلت إلى العاصمة التى تصم السفارة

بالحياة الجنسية المفضوحة التى تعيشها هذه العاصمة . . وهى حياة محصنة لمعيب السباح والأحباب . . إن أحد العناصر الرئيسية في عملية التنشيط والدعاية بساحة التى تتبعها كل بلاد العالم لسياحية هو عصر الحس . . ولذلك فإنى أصبح وزارة السياحة في مصر أن تقوم الدعوة التى سمع عنها والتي تدعو إلى إعلاى ملاهى شارع الهرم . كما أصبح بوليس الآداب المصرى ألا يفرض تغذيه في هذا المجال وأن يتبع للوائح الخاصة بسودى القمار فالقمار في مصر وفي كثير من الدول السياحية لا يسمح بممارسته إلا للأجانب ، أى للسياح ، فلماذا لا يطبق على ممارسة الحس ما يطبق على ممارسة القمار ، وكلاهما حرام ، وكلاهما رجس من عمل الشيطان . أعرف أنك تتولى شغيتك امتعاضاً وأنت نمرٌ هذا للكلام ، ولكنى أعترك كاتباً وواقعياً وأحاول أن أشدك إلى مزيد من الواقعية إلى منتهى الواقعية على كل حال فقد فوجئت بهذه الصراحة التى يعرضون بها الجس في هذا البلد . في الحانة رأيت عشرات السات يقعن عاريات فوق البار الذى يجلس حوله الزبائن ويرقصن رقصات أشبه بالدعوات السدية . وعندما دخلت نادياً ليلاً أى « كياريه » وجدتهم يضعون النساء خلف نافذة زحاجة كأنها « قترية » وكان لبيع الأحذية تقع في جانب وراء صالة العرض وكل زبون يدخل ويتنقى الحذاء الذى يعجبه أقصد المرأة التى تعجبه ليأخذها ويجلس معه على مائدته ، وفي الحمامات الساحنة المخصصة لتندليك نفس الشئ . . نساء حلف قترية زحاجة تنقى من يمين من تريد أن تدلك عضلاتك محلات تجارية تعرض بضاعتها في قترينات زحاجة كما تعرض الأحذية واللحوم في دكاكين بلادنا . . وعلى قدر ما فوجئت إلا أنى اكتشفت فيها بعد أن هذه الوسيلة من وسائل العرض تتكرر في أكثر من بلد سياحى ، بل إنى رأيت الوسيلة نفسها تتكرر في ميناء هامبورج بألمانيا

الغريبة . . . وصدقني أنها وسيلة قزرتي . ولم أترك نفسي أبداً تنحذب إليها كنت أحس أني لو أخذت واحدة من هاتيك النساء فكأنني وقفت معها أمام الناس داخل القنينة . ولكني كما قلت لك درست الفلسفة وهوايتي اكتشاف أعماق الشخصية الإنسانية وهو ما دفعني إلى التعرف إلى كثيرات من هذا الصنف من النساء ، وهذا الصنف قادني إلى صنف أرقى لا يعرض في القنريات . وكنت قادراً على أن أجمع بيني وبين كل واحدة منهن بنوع من الصداقة أرقى من الجنس ، بل إلى أعطيت نفسي حق الظهور معهن بعيداً عن مجال عملهن في دعوة إلى الغذاء أو في رحلة خارج العاصمة .  
المهم . . .

لم يكن قد انقضى أكثر من ثلاثة أو أربعة شهور على وصولي إلى السفارة . . . لم أكن قد عرفت بعد كل ما يعيشه المجتمع الدبلوماسي . وكان قد زارتنا شخصية رئيسية من الطبقة الحاكمة ، وكان السفير يقيم حفل عشاء خاصاً هذه الشخصية في داره . . . وكنت أنا وحدي في العارة عندما وصلت رقية هامة يجب أن أحملها فوراً إلى السفير في بيته . . . وذهبت إلى البيت ، وعندما وصلت إلى الباب وصلت معي سيارة السفارة ونزلت منها واحدة من النساء اللاتي عرفتني يرقصن عاريات في أحد البارات . . . وكانت تعرفني . . . وطلت أني أحد المدعوين إلى بيت السفير . . . وحاولت أن تهمل لرؤيتي وتفصح معرفتي بها . ولكنني صددتها لبقاء رحي مبالغ فيه وأسكتها وكتمت تهليلها . ثم تركتها تدخل إلى البيت ووقفت أنا على الباب إلى أن استدعاني السفير واستقبلني في غرفة مكتبه بعيداً عن مجال الحفل حيث سلمته الرقية . . .  
وكان هذا الحادث هو أول ما فتح ذهني إلى مجال تخصصي . . .

وبعدها بأيام استدعاني السفير وقال لي ضاحكاً :  
- يبدو أن البلد أعجبتك جداً . . .

قلت :  
- جداً يا سيادة السفير ، ولكني مازلت في مرحلة الاستكشاف . . .  
وقال وضحكته تملو :

- إنك على الأقل اكتشفت حتى الآن أجمل نساها ، لقد رأوك أمس مع فتاة قالوا إنها رائعة . . . حوية . . . تمنن .  
قلت وأنا أزد على ضحكته بانتسامة :  
عرفتها مصادقة و . . .

وقاطعتي قائلاً :  
- واجد الصدق تشملنا . . . ادعها الليلة . . . ونسهر معاً . . .

فها ببساطة كأنه بنى على أمر إدارياً . . . وقد دعوت الفتاة بالفعل وخرج معي لملقائهم السفير وحده بعد أن كانت الشخصية الكبيرة لثروة قد سافرت . . . عرفت خلال هذه الليلة أن كل ما هنالك أن السفير يريد أن يرفع الكفة بيني وبينه ، وأنه يريد أن يشركني في هذا الحجاب من أعمال السفارة الذي كان هو نفسه يعاني منه من طول ما تحمل من مسؤولياته ولعجز باقي موظفي السفارة عن مزاولة العلاقات الساتية بمستوى راق . . . كان السفير يريد أن يمنحني فرصة التجربة ليختبرني . . . وهي ليست فرصة صعبة ، إنما فرصة تعطيك الحق في أن تتبين وتحتفظ بكثير من الأسرار الشخصية الجارحة التي تشمل أكبر شخصيات الطبقة الحاكمة في بلدك .

ونجحت في التجربة . .

واكتسبت ثقة السفير واعتماده علىّ ، بل إن السفير أصبح في يدي لأنه هو الآخر له أسرار شخصية حارحة حصلت عليها من خلال العمليات التي كنت أقدمها له واحتفظت لها في بئر الأسرار ، والذي يملك بئر الأسرار يملك كل من له سر . .

وكانت الشخصيات الرائدة التي تقدم من بلدي تنقسم إلى أنواع :

نوع سهل بسيط يعتبر دخيلاً أو مبتدئاً في حياة الليل ، ولا يزال جائعاً إلى كل امرأة دون أن يقدر قيمة الوصول إليها ، وهو نوع كنت أكنى بأن أصبحه إلى الحانات والكباريات والحمامات فيهر ويسيل لعابه بالأجساد العارية ويلقى نفسه فوقها بشراقة دون أن يطلب أي إعداد خاص . كالحرص على التستر ، أو إحاطته بجو ومزاج معين . . وهو نوع يشمل صغار وكبار الموظفين ، ويشمل هؤلاء الذين وجدوا أنفسهم كباراً فجأة . ولم أكن أنذل اهتماماً كبيراً بهذا النوع من الزوار ، بل في الغالب كنت أترك الإهتمام به إلى سكرتيري الخاص . . وسكرتيري الخاص ليس من بلدي ولكنه من بند عربي آخر ، وقد اخترته غريباً حتى لا أترك لأحد من موظفي الوزارة فرصة التلمذ على يدي في علم العلاقات العامة ثم ينتهز الفرصة ليقضى علىّ ويحل محلّي كما يحدث غالباً . .

أما النوع الثاني من الشخصيات فهو النوع الأكثر تجربة والذي شغ من حياة الليل السهلة ، ولم تعد تغريه الحانات ولا الحمامات ، وهو ما يجعل الإهتمام به يتطلب إعداد جلسات خاصة في بيوت خاصة ، وهو ما يكلف ميزانية العلاقات العامة أكثر ، لأن هذه البيوت ، أو على الأصح البيوت التي كنت أختارها

لهذه الشخصيات الهامة ليست بيوتاً مفتوحة لأي زائر . . إنها أقرب إلى بيوت الجيشا في اليابان ، عندما كان للجيشا تقاليد واحترام وقيل أن تنقلب إلى مجرد بيوت ساحية أقرب إلى دكاكين خان الحبليل عندكم . . وفي مثل هذا البيت تعد سهرة كاملة للزائر . . موسيقى ، رقص ، غناء ، عشاء . . وهو وحده أو بصحبة صديق من أصدقائه ، ويستطيع أن يطلب أي شيء وكأنه صاحب البيت . . يملكه ويملك من فيه . . ولذلك قلت إن الرائز من هذا النوع يكلف ميزانية العلاقات العامة كثيراً . .

والنوع الثالث هو النوع الأخطر والأهم النوع الذي يشمل الشخصيات الرئيسية في بلدنا . وهو نوع يمتاز بأنه لا يسمح لنفسه أن يطلب ليلة من هذه الليالي . لا يكلف السفارة بأن تحقق له متعة خاصة ، احتراماً لمركزه وحرصاً على مطاهرة تقاليد الحكم . . كما أن أحداً لا يمكن أن يعرض عليه حتى على سبيل ولكنه أن يوفر له هذه المتعة . . ليس من حتى كمثول عن العلاقات العامة أن أعري شخصية من هذه الشخصيات بقضاء ليلة خاصة حتى لو كنت أعلم أنه يتبنى مثل هذه الليلة الخاصة ، بل حتى لو تأكدت أنه لم يأت إليها زائراً إلا بعد أن سمع من أحد أصدقائه عن الخدمات للمتعة التي أقدمها . وعلم العلاقات العامة يصحك في مثل هذه الحالة أن لا تعرض شيئاً ولكنك فقط تعجبت هذه لشخصية بالجو والمجال الاجتماعي الذي يتيح له فرصة الاختيار اختيار ما إذا كان يريد أو لا يريد وتحقيق هذا البند من علم العلاقات العامة يعتمد على قدرتك في اكتساب صداقة نوع معين من العائلات . إنه نوع من العائلات المحترمة قد يمثلها رجال لهم مراكز لها قيمتها ، أو مراكز ليست رسمية ، ولكنها عائلات تعيش حياة التساهل الاجتماعي ، ونسأوها على استعداد للاشتراك



في كثير من العمليات التي تعود على العائلة بنوع كبير . كتحقيق عملية تجارية يقوم بها الزوج مثلاً ، أو المساهمة بالوساطة في صفقة ضخمة . وتدعى مثل هذه العائلة إلى حفل عائلي يقيم فيه الجميع تكريماً للضيف الكبير . حفل خاص لا يدعى إليه أحد بصفته الرسمية ولكن المدعوين كلهم أصدقاء خصوصيون . وتنتهي سيدات العائلة إحاطة الضيف بالحو الإحتياجي المرح المتفوح الذي يشجعه على أن يطلب . أن يطلب هذه السيدة أو الأخرى إذا أراد أن يظنها . وغالباً ما ينتهي الحفل الخاص بتحديد موعد بين الضيف والسيدة المحترمة وهو معتقد أنه وصل إليها بسحره ووسامته ودكانه وأنه فتاك ساء ، وإن كان يضطر بعد ذلك إلى أن يستدعيني في لقاء خاص ويهمس في أذني بما وصل إليه وكأنه يطعنني على سر خطير لا علم لي به ، حتى أعد له المكان الخاص الذي سيلتقي فيه مع هذه السيدة . .

ومثل هذه العمليات التي تتم عن طريق صدقة العائلات تخفية لا تتحمل ميزانية العلاقات العامة تكاليفها . ولكن قد يتم مقابلها تحقيق صفقة تجارية أو عملية سيرة يقوم بها رجل العائلة ، وفي الغالب تنتهي العملية بهدية ثمينة تساوي آلاف الدولارات يقدمها الضيف إلى السيدة المحترمة

هذه هي الأنواع الثلاثة من الشخصيات التي كنت صبوراً عليها .

وقد حققت لحسابي أرباحاً كثيرة عن طريق هذه الشخصيات بعد أن أسقطتها في شر الأسرار وأصبحت أقض نكل سر على غنى واحد منهم مما يضطره إلى أن يكسبني ويتقني . . ولم يكن كل ما حققته هو هذه القفورات السريعة فوق السلك الدبلوماسي والتي وصلت بي في خلال عامين إلى رتبة الورير المقوض ، ولكنني استغدت كثيراً من الوساطة في تحقيق صفقات متعددة . . وأستطيع أن

فمن لأن في وصلت إلى مستوى الطبقة الحاكمة حتى ولو كنت لا أعتبر سياسياً من بينها . .

وفي داخل السفارة كانت هناك شخصية مضت فترة طويلة وأنا حائر فيها . . وهي شخصية زوجة السفير . . إنها تعرف كل شيء . . وفي بيتها وفي حضورها كانت تتم كل هذه العمليات التي حدثت عها . . وكانت تستقبل أنواعاً من النساء تعلم أنهن من المحترفات بل كان من يبين أدنى أنواع المحترفات من فتيات الحانات والحمامات إلى أن تحملت أنا المسئولية ومنعت دعوة هذا النوع من المحترفات إلى داخل السفارة سواء في الحفلات العامة أو الخاصة والاقتصر على المحترفات الرافيات . . وقد قدرت أولاً أن الروجة التي تقبل كل ذلك في بيتها لابد أنها روضة سهلة ، بل في قدرت أنها لا شك أن لديها الاستعداد لتزول نفس ما تسمح به . . إن زوجها السفير له هذا النوع من حياة الليل فلماذا لا يكون من حقها هي الأخرى نفس الحياة . . وحاولت كثيراً أن أكشف عن حياة خاصة تعيشها . . أن ألقى بها في بئر الأسرار مع باقي الرجال والنساء

ولكنني لم أكشف ولم أعرفها سراً . . وأكثر من ذلك ، حاولت أنا معنى أن أصل إليها إلى كما قلت لك أمتنع بمخاضية الوجود مجرد وجودي يشهد أي امرأة . . ومع هذه الجاذبية استعملت كل مواهي حتى أشد إلى السيدة زوجة السفير ، ولكنني فشلت . . وقد كانت متنبهة إلى محاولاتي وكانت تقابلها باتسامة هادئة صامدة تثير الاحترام لا التشجيع . وأخيراً خرجت من حيرتي إلى الاقتناع بأنها سيدة محترمة . . سيدة كاملة . . وأن سكوتها على ما يجري في بيتها هو استسلام لحكم الوظيفة كزوجة سفير ، كما وأن سكوتها على تصرفات زوجها هو استسلام لعقد الزواج الذي ارتبط به أهلها . . وقد استطاعت هبوطها واستسلامها

للسواق أن تكتسب صداقة كل هؤلاء النساء المحترفات ونصف المحترفات والمهواة .  
صداقة قائمة على مجرد الاحترام . . وكانت عندما يقام حفل في السفارة تتعمد تجاهل نشاطات وتحركات هؤلاء النساء ، ثم عندما تقدر أن الحفل وصل إلى مرحلة يتغلب فيها تأثير الخمر تنسحب إلى الداخل في هدوء ، وتصحو في اليوم التالي دون أن تسأل أحداً أو تحاسب أحداً عما تم . وأصبحت هي الشخصية الوحيدة التي أحترمها فعلا داخل السفارة بل ربما في البلد كله الذي أقيم فيه .  
أصبحت صديقتي الطيفة . . أختي . . وكانت هي وحدها التي تعلم علاقتي مع بهاناي . .

وصدقتني عندما أقول لك أنه رغم كل هذا الذي يحيط بي وأعيشه لم تكن لي أي علاقة خاصة مع أي امرأة ، حتى ولا علاقة ليلة واحدة . . ربما لأني أغار على حسدي وأجعل به تكملة لعروزي بنعمي وكأن هذا الحسد شيء غالي لا يتسلل . . إلى أن قابلت بهاناي . . إنها امرأة من تايلاند . . فيها الجمال الأسمر البودى الذي تشتهر به بنات جنوب شرق آسيا . . الشعر الأسود الناعم الذي يسبب في عذارة كشلال الليل . . والقوام المشوق الصغير كأنه تحفة صاغها فنان ليعلقها على صدره . . والأنسان البيضاء الناصعة التي تشرق مع ابتسامها كأها تضيئ لك الطريق إليها . . وبهاناي من عائلة كبيرة معروفة في تايلاند ، وأماها تتمتع أكبر محل أزياء هناك ، وأبوها يملك مصانع للحرير ، وقد سافرت بهاناي إلى أمريكا لتتعلم إدارة الأعمال في جامعة بوسطن ، ولكنها كانت تقاوم منذ صغرها إلحاح الفن عليها . إنها هاتفة . تنمي وتعزف على البيانو . . وهي تقوم هذا الفن حتى تستمر في الطريق الذي ينجح فيه أبوها وأماها . طريق إدارة المصانع وبيوت الأزياء . . ووصل من مقاومتها لفنها أنها وهي في الجامعة ، في أمريكا ، تزوجت

وملا لها من نفس بلدها وأنجبت منه ولدتين ، حتى تجذبها المسئوليات العائلية بعيداً من موب وتربطها أكثر بواقعها . . ولكنها عجزت عن الاستمرار . . وقبل أن تحصل على الشهادة الجامعية في إدارة الأعمال قررت فجأة التوقف عن هذه الدراسة وبدأت في دراسة الموسيقى . . فنها . . ثم قررت أن تحترف الغناء والموسيقى ، ورعص زوجها فتركه . إنه لا يساوي شيئاً بجانب إحسانها بنفسها . وولدها تركهم في بيت العائلة . وهي تجوب عواصم جنوب شرق آسيا وتعي ، وقد قابلتها وهي تنمي في صالة صغيرة في أحد الفنادق الكبرى وشدنتي إليها . . شعرها . . . إسمائها التي تشرق في لونها الأسمر . . ورغم ذلك فعلمها بدأت أتحدث إليها كنت لا تزال تعبى مسئوليتي عن العلاقات العامة في السفارة فدعوتها إلى حفل خاص كنت قد قررت إقامته لضييف كبير ممتاز :

وقلت لبهاناي من خلال ابتسامتها !

- هل يفهم الضيف هذا النوع من الغناء الذي أغنيه ؟

ونعجت لسؤال وقت في وقفة :

- لا أعتقد . . ولكن لا يهم الغناء . . يكفيك أنك جميلة ومن هذا النوع

من النساء ! ! .

وقالت بهاناي ضاحكة :

- إذن تستطيع أن تدعو صديقتي دانييل فهي تصلح أكثر لهذه

لدعوات . . إلى حتى لو اعترتني جميلة فأن محبة عندما أكون مع من لا يفهمي .

والشيء الجديد الذي طرأ على أني لم أحاول استمعا مراهبي لإقناعها بقول

لدعوة واكتفيت بأن دعوت صديقتي فعلا ، وبدأت من يومها أتزود كل ليلة

على الصلاة التي تغني فيها وأحاول أن أفهمها . وفهمتها وفهمتي . . وارتبطنا بعلاقة

لا أريد أن أقول إنها علاقة حب . . ولكنها علاقة راحة . . كل منا يرتاح إلى الآخر ويتمتع بصحته ، بكل ما تطلبه المتعة . . وأكثر ما يريح هو الفهم المتبادل . ولم تكن بهماى امرأة شريفة بالمعنى الموهوم للشرف فى بلادنا . إن الجنس فى جنوب شرق آسيا ليس موضوعاً يستحق كل هذا الاهتمام ، وليس علاقة تفرق بين الشريف وغير الشريف ، وقد تكون بهماى تعطى نفسها لرجال آخرين مع ارتباطها بى . . هذا لا يهم . ولكن المهم أنها امرأة غالية . ليست محتاجة . . إنها قد يعمرها بالعطاء الشمس الكبير جداً ، أو الصدقة التى لا تستطيع أن تقاوها . . وقد عرف أعضاء السفارة ، علاقتى بهماى ولكنى لم أكن أسمع لأحد بأن يحدثنى عنها إلا لعصديقتى زوجة السفير ، وكانت هى التى تخبرنى بالهدايا التى أهداها لبهاى . .

وقال لى السفير يوماً :

- ألن تدعو المرأة التي تعرفها في إحدى جلساتنا . .

وقلت في برود :

- إنها عملة لا تصلح لأي جلسة .

قال وهو يطر إلى في غبط :

— لعنك تعار عليا

قلت ضاحكاً :

- العيرة غير معروفة في هذه البلاد ، المرأة هنا لا تستحق العيرة .

وأنسى السكير الموضوع ربما لأنه رأى ألا يدخل في نقاش قد يفسد علاقته خصوصاً بعد أن أصبحت أ. الأفوى ، وكنى بأن ذهب معي مرة ليستمع إلى غناء سهاى ، ولم يعنى شئ . ثم بدأ إعجاباً حتى يجملها وطعاً لم يتأثر شئ . من عنايتها . إلى أن حدث وجاءنا ضيف كبير مهم .

وتعبت في وضع كل مواهي في خدمته . . قدمت له نساء أكثر من عائلة  
الخدمة في أكثر من حفل خاص لا شيء وتغربت ودعوته إلى البيوت الخاصة ،  
وقبل الدعوة . ولكن لا شيء وتخل إلى أنه قد يكون لا يزال محتفظاً برعونة  
الشباب مدعوته إلى حمامات لتدليك ، وقل الدعوة أيضاً وأبدى دهشة واندهاشه  
كما يراه . . ولكن لا شيء . . وانتهت إلى الاعتقاد بأنه لا يريد أكثر من هذه  
الحفلات والمشاهدات البرقة فاسترح من محاولة إرضائه وتكريمه . .

وكان الصبي المهم يقم في نفس الفندق الكبير الذي تعني فيه بهائى ،  
والليلة الأخيرة قبل سفره كان الصبي ومعه تسعة عاتدين إلى الفندق وأما معهما  
واقترح عليه السفر أن يدخل به إلى الصلاة الصغيرة التي تعني فيها بهائى ،  
وعن الصبي المهم ، وما كادت عيانه تقعدان على بهائى وهي تعني حتى استقرتا  
عليها . لا يجرهما عما . لا يريد أن يظفر إلى أى شيء آخر من حوله . وإذا  
حدث إليه لسفير استمع إليه دون أن يحاول نظره عن بهائى وحاولت أن  
أبدأ أسرد عليه مجموعة من النكات لعل الضحك يشده بعيداً عن بهائى ،  
هكذا لا يضحك ، وإذا ضحك لا يحول عينيه . ثم قال وهو يحفف لعابه  
بوق شفتيه بلسانه كأنه انقلب إلى وحش جائع :

- هذه امرأة حلوة .

وقال المسفير فصاحكاً

— اتفضل سيادتك . . . رغبنا والشما .

وقال الضيف من فوق لسانه المدلى :

- ہمارے عین -

وقال السفير :

- طمأً يمكن . .

ثم نظر إلى وقال كأنه يصدر أمراً سلطانياً :

- أدها إلى المائدة . .

قلت كأنى أتوسل إليه :

- إنها عملة . . وسيعرف منها سيادته .

وقال السفير كأنه يصرخ :

- إدعها . . لا تكن مجنوناً . .

وقلت فى استسلام :

- حاضر . بعد أن تنتهى من الغداء . .

وناديت المشرف على الصالة وهمست فى أذنه . أن يذهب إلى بهاناي ويطلب منها ألا تكلف عن الغداء ، ولم تكلف فعلاً عن الغداء ، ولكن السفير بدأ يتصرف بالطريقة الساذجة المعروفة التى يتبعها أثرياء العرب فى الكباريات فأمر بإرسال صندوق من زجاجات الشمبانيا إلى أعضاء الفرقة الموسيقية . ثم قام وأخرج من جيبه ورقة نقدية تساوى ما قيمته مائة جنيه وحاول أن يلمسها على صدر بهاناي وعندما تراجعت عنه وهى تصيحك أخرج ولاعته وأحرق الورقة النقدية تحية لها ثم أمر بإرسال أقفاص الورد لتوضع حولها ، وكل من فى الصالة أصبح يتفرج عليها لا على بهاناي ، وانطلق حولنا كثير من الضحك والتصفيق لحركات السمر ، فأمر بدعوة كل من فى الصالة على حسابه . كل ذلك وأنا حائر ماذا أفعل ، ثم قمت بسرعة وطلبت من الحرس أن يدعوا دانييل صديقة بهاناي إلى المائدة لعلها تستطيع أن تجذب اهتمام الضيف الكبير وتتخذ بهاناي من هذا الاهتمام . ولكن دانيول لم تكن فى الصالة واستطاع الحرس أن يجدها فى مكان آخر وجاءت

إليها بيها بهاناي لا تزال تضحى وقد بدا عليها التعب من طول الم تعى . وقلت

للضيف الكبير وأنا أقدم له دانيول :

هذه ملكة جمال الدولة وقد جاءت خصيصاً عندما علمت أن سيادتكم هنا . .

ولم يحول الضيف عينيه عن بهاناي وقال السفير ساخطاً :

- إننا لا نريد هذه . .

قلت فى يأس :

- إنها فقط تؤنسنا إلى أن تنتهى بهاناي من الغداء .

واضطرت بهاناي أن تنسى ، على الأقل لتستريح ، واضطرت إلى أن تنجس إلى

مائدتها بعد كل هذا السخاء المجنون الذى أحاطها به السمر ، ونظرت إلى

كأنها تسألنى ماذا تفعل ، وأدبرت عنها باظري بسرعة حتى لا يتهمنى السفير بشئ .

أو يلحظ الضيف الكبير شيئاً . . ولم يكن هناك حديث يمكن أن يتم بين بهاناي

والضيف الكبير فهو لا يعرف أى لغة يمكن أن يتحدث بها إليها ، وتولى الحديث

كله السفير ، وقال لها إن الضيف الكبير يهيم أن يخفى بها لأمر هام . . وضحك

وقالت بهاناي وهى تبتمس :

- هذا يشرقى . . ولكن الساعة الآن الثالثة صباحاً . . ويجب أن أحتمع

مع أفراد الأوركسترا لمراجعة الأغاني الجديدة . . لنجعل لقاءاً غداً

وقال السفير وهو يبدو كعماعوض مبتدئ :

- إنه يسافر غداً . . تعالى . . وأفراد الفرقة يمكن أن ينتظروك . . وستعوضك

ونعوضهم بما تريدن . .

ثم قام واقفاً وشد بهاناي من يدها ، واستسلمت له كمادة أفراد هذا الشعب ،

وحتى لا تثير أى مشكلة مع ضيف كبير من مراء الفندق . وقال السمر للضيف الكبير .

— انفضل میادتک .

ثم صحبها والصيف يجانباها وأنا أتبعهم سائرا حلهم في صمت صعيـ  
ف كأتى قد انهرت وتيسيت إلى أن وصلنا إلى المصعد ودخلت الصيف ، ودعـ  
مها ناي إلى جانبـ . وقال ضاحكا :

- البور التاسع .. لاتنس سيادتك .. غفرتك في البور التاسع ..  
 ووقفت أنا والسفير وبهاى يتشمى من بعيد استامه ضعيقة كأنها تشفق  
 بها على ، وباب المصعد يعلق في وجهنا - أنا والسفير - ويرتفع بالضيف معه  
 بهاى

ونظر إلى الصغير في شماته كأنه انتصر على . . . وسار خارجاً من الفندق وركب سيارته دون أن يدعوني كعادته للركوب معه . . .

ولم أَسْمَ ليلتها ، لا لأني كنت أعاني أمراً عاطفياً من أجل بهاي . . قلت  
لأنه أنه لم يكن ما بيني وبينها حب . . ولكنني كنت أعاني الإحساس بأنني فقدت  
مركزتي . فقدت سيطرتي على مثل هذه المواقف التي تدخل في صميم اختصاصي  
لست أنا الذي أحقق رغبات الضيف الكبير . لست أنا الذي حمل بهاي إليه . .  
إنه السفير . كأن السفير طردني من وظيفتي واستول على اختصاصي لنفسه .

معنى هذا أن حبة . . أتى فاشل لا يستطيع أن أقدر وأنصرف وفقاً لتقدير صحيح .  
والواقع أن أخطأت في تقدير موقف بهاي ، فقد كنت أعتقد أنها سترفض دعوة  
الضيف الكبير فقد سبق أن رفضت كل الدعوات التي وجهتها إليها لحضور حفلات  
السفارة ، أو لحضور الجلسات الخاصة ، بل ورفضت حتى زيارة زوجة السفير .

ومصحح أرى كنت أتمسك ببساطة لهذا الرقص مفصلاً أن احتفظ بها لاستعمال  
الخاص ، ولكنني لم أكن أعقد أنها يمكن أن تستجيب للإبحاح أو محاولة أحد

وقد استجابت للإحاح السفير  
أخي الضيف من بهاناي ولكنني كنت أحوال أن أحميه من مصيها . ولكن .  
ولأني غي أنصت لتقدير السفير للموقف على تقديري .  
بل أن كان الصباح .

وعندما وصلت إلى السفارة أحسست بحو غريب من التوتر ، وعرفت أن  
السير وزع سحطه ولعائنه على كل المواطنين منذ وصل ، وعندما دخلت إليه  
في مكتبه وجدته واقفا يستعد للخروج ، ولم يجد يده لمصافحتي ، بل لم يرد على  
حيتي ، وانجه مباشرة إلى الباب ، وكنت أعلم أنه في طريقه إلى الفندق الذي  
يقيم فيه الضيف الكبير ، فقلت له :

## هل الحق بك ؟

وقال كانه يصرخ في وجهي :

- لا . استظر هنا إلى أن أدعوك إلى هناك .

وأُسرع خارجاً كأنه يرفض أن يناقشني ، وانظرت طويلاً وأنا حائر فيما يمكن أن يكون قد حدث ، ثم لم أَعُدْ أحتَمِلُ الانتظار وذهت لأتقيّ الصيف الكبير . . .  
وكان في الحناخ المخصص له مجتمعا مع السفير ، ودخلت إليهما بلا استئذان  
وبن مركزي بعضي من الاستئذان ، وعمرد أن دخلت رفع إلى الضيف عينيّه  
كأنه دهش لوقايتي ، وقال بسرعة :

- من فضلك ، انتظرنا في الخارج .

وانتظرت ولم يدعى أحد للدخول إلى أن حرج الصيف وبعه السمر في طريقهما إلى المطار دون أن ينفتح أحد منهما إلى ركبت سيارتي وليس معي إلا سكرتيري الخاص جالساً بجانب السائق وذهبت إلى المطار . . وعندما اصطفتنا بجانب

الطائرة مع المدعين الرسميين ومع بقية أعضاء السفارة ليمر بنا الضيف ويصافحنا قبل ركوبه ، لمس يدي المددودة لسة سريعة دون أن ينظر في وجهي .

وسافر الضيف الكبير عائداً إلى بلدنا .

يعرفت بعدها كل شيء .

لقد هربت بهاناي من الضيف قبل أن يدخل بها إلى جناحه الخاص .

وقد استقبلت الخبر بفرحة . فرحة استعادت ثقتي بنفسى ، وثقتى فى بهاناي .

إن تقديري لم يكن خاطئاً ، وبهاناي لم تتخل عني . ولكن هذه القرعة طارت

بسرعة وحل محلها الخوف . الخوف على مستقبل كله . ترى ماذا قال السفير

للضيف الكبير حتى يبرر له ما حدث . . وقد أصرعت أولاً إلى بهاناي أسأفا ،

فضحككت ضحكة كبيرة وقالت كأنها تروى نكتة :

— لقد تركته بضغط على مفتاح الدور التاسع من مقاتيح المصعد ثم عاينته

فى نفس اللحظة وضغط على مفتاح الدور الخامس . وعندما وقف المصعد

حادثته باللفة التابلايدية وأنا أخرج وبقيت أحادثه وأنا واقفة أمامه خارج المصعد وأنا

واثقة أنه لا يفهم كلمة واحدة مما أقول إلى أن انعلق باب المصعد وصعد به وحده

إلى جناحه فى الدور التاسع . . ولم أنزل أنا فى المصعد الآخر ولا على السلم العمومى

خوفاً من أفتنى بك أو بالسفير فى بهو المصدق ولكنى نزلت من سلم الحريق .

قلت :

— أنت مجبونة . .

قالت :

إنى لم أوافق أصلاً على الذهاب معه ولكن سفيركم هو الذى دفعنى دفعا

إلى المصعد . ثم ماذا بهم . . إن ما يريد منى يستطيع أن يناله من أى امرأة .

لم أشعر أى حرمة من شئ مهم . . هل تعرف ماذا كنت أقول له باللفة التى لا

يفهمها . . لم أكن أسبه أو أهينه أو أجرحه . . كنت أقول له إنى آسفه لآلى

متعبة وأنا نستطيع أن نلتقى فى موعد آخر وأنى أعتز بإعجابي بى . . كنت أقول له

مثل هذه الكلام . . و . .

وقاطعتها :

— الكلام الذى لا يفهمه . . إنك لا تقدرين ماذا يمكن أن يحدث لى لو

أطلق مثل هذا الرجل غضبه على . .

وقامت وجلست فوق ساقى وأسقطت صدرها على صدرى وقالت وشفتها

تقتربان من شفتى :

— لا تنهم . . أنا المسئولة عن كل ما يحدث .

وقد اجترت فعلاً كيف أتصرف ، فقد عرفت أن السفير أبلغ الضيف الكبير

أنى أعتز هذه المرأة — بهاناي — ملكاً خاصاً لى ، وأنى أرفض حتى دعوتها لإحياء

الحفلات الرسمية فى السفارة لمجرد إلقاء أغانيها ، وأنه — أى السفير — واثق أنى أنا

الذى حرصتها على أن تهرب منه . .

وكان معنى هذا أن أنتظر طردى من السلك الدبلوماسى أو على الأقل نقل

إلى بلد مقطوع المصلات من بلدان أفريقيا مثلاً ، وقد تصبب على لعة أكبر من ذلك .

وفكرت أن أكسب تقريراً خاصاً أرسله إلى الشخصية هامة التى عجزت عن

أوفيا حقها من تقاليد السلك الدبلوماسى .

وفكرت أن أعود بعضى إلى بلدى وأحاول أن ألتقى به وأشرح له كل الظروف

التي أحاطت بالموقف وأثبت عدم تقصيرى فى ممارسة العلاقات العامة أو تدخلها

أى تدخل مضاد . .

إلى أن استشرت صديقتي روعة السعير التي أحترمها وأعتر برصتها عني .  
فقلت لي في بساطة :

- أرسلها إليه .

قلت :

- كيف ؟

قالت وهي تنظر إلى كائي طفل صغير لم يتعلم بعد :

- لا أدري كيف . ولكن اقنعها بأن نذهب إلى بلدنا وحاول أن نجد  
وسيلة تقنع بها صاحبتنا بأنها جاءت حصيصاً لبقائه بعد أن وقعت في غرامه .

وهزت بالفكرة ، وقلت يد السيدة المحترمة شكراً وامتناناً ، وأسرت أجزى  
إلى بهائى ، وقلت لها وكأني ألت من ضغط حيرتي وخوفي :

- لقد قلت لي أنك المسئولة . وإني مهتد بالطرد من وظيفتي بسببك .

قالت من خلال ابتسامتها :

- عاذا بهم . إن وظيفتك تحبطك بقيود ثقيلة الدم . إبحث عن عمل

آخر .

إنها لا تعلم أن وظيفتي ليست مجرد منصب في السلك الدبلوماسي ، إن هذه  
الوظيفة هي التي أحقق عن طريقها كل الصفقات الأخرى التي أصبحت بها واحداً  
من كبار الأثرياء . وهي لا تعلم أن طردى معناه أني أصبحت مبعداً عن أصحاب  
الحكم والمباعدون في بلادنا لا يستطيعون الحياة إلا اعتماداً على أموالهم المهربة ،  
فإذا لم تكن لهم أموال مهربة عاشوا على الاستجداء . إن المبعد في بلادنا معناه  
أنه وصل إلى قيمة الصفر ، حتى أني أحياناً تملحن هويتي للفلسفة الاجتماعية وأفكر  
في أن أطالب الدولة بافتتاح ملجأ للمباعدين كملاجئ الأيتام .

وقد قلت كل ذلك لبهائى حتى أقنعته بأن كل حياتي أصبحت في خطر  
إلى أن اقنعت قائلة :

ماذا تريدني أن أفعل . .

قلت في حماس :

- تسافرين إلى بلدي وتلتصقن به هناك . .

قالت في تردد :

- ولكن إن . .

واقطعنا :

- سندفع لك ضعف قيمة دخلك الذي تحصلين عليه من هنا . . ليس  
فقط قيمة مرتبك من إدارة الفندق ولكن قيمة دخلك من المعجين . . وهناك

في بلادنا إذا أصبحت في الوصول إلى صاحبنا ففي أمك ستعودين مليونيرة

ووافقت بهائى ، واقنعت نفسي أنها وافقت لا طمعاً فيها وعدتها به ولكن حباً

في شخصي الضعيف . وبدأت أضع معها تفاصيل الخطة . إنها سترسل خطاباً

إلى الشخصية الهامة الكبيرة - ولاحظ أني أتعلم عدم ذكر لقبها حتى لا أفصح

نفسى - تعذر له فيه عما حدث ، ونقضته كلمات الإعجاب والتأثر بشخصه ،

وتقول إنها حتى تؤكد اعتبارها فقد قررت أن تزوره في بلده . ولا يهم بعد ذلك

أن تنظر رداً . يكفي أن تنتظر مدة كافية حتى تطمش إلى وصول الخطاب وبعددها

تسهر ، ويكون سكرتيري الخاص قد سافر قلبها ليهد بوصولها ويدرس الموقف

ويتصل بي لتحدد هل تسافر بهائى وتقدم نفسها كفتاة آسية وتعق

على إحياء بضع حفلات في الفندق الكبير هناك ، أم تصل كمجرد سائحة

دون أن تنته أحد إلى وصولها بحيث يبقى اتصالها بالشخصية الكبيرة سراً ثم بعد أن

تقرر كل ذلك وبعد أن تتحجج في لقاء صاحبتنا فقد إتفقت معها على تفاصيل الكلام الذي يجب أن نقوله له . . يجب أن تؤكد له أنها لم تأت إليه إلا عن طريق طريق أنا . أنا الذي أعددت كل شيء . أما السفير فهي ترفض دائماً الاتصال به لأنه حاول معها كثيراً وكانت تصده . وكلام كثير قدرت أنه يخلفني ويبعد عني شر السفير . .

وسافرت بهاناي صلا إلى بلدي . . سافرت دون أن يعلم السفير وأعطينا « الفيزا » دون إيدنه ودون أن يعلم بهذه الفيزا أي واحد من السفارة . .

هل تعلم كم كلفتنا عملية سفر أو تسفير بهاناي ؟ كلفتنا حوالي ستين ألف دولار . . لا يهم . . وأني أعلم أنها لو لم تحت في مهمتها مع صاحبنا فستحصل من - أي من أموال الدولة - على أكثر من ذلك بكثير . .

المهم أني كنت أعيش منذ سفرها في انتظار الأخبار . . أعيش كأنني في انتظار كلمة القدر . .

وعلاقتي مع السفير تتوتر يوماً بعد يوم ، ولولا أنه وحده من أحفظ بهم في بشر الأسرار لما حاول أن يراعي معي حتى مجرد مظاهر التقاليد الرسمية التي يجمع بين السفير والوزير المفوض . . إنه أيضاً في انتظار أخبار .. أخبار يقلى أو يحالني إلى ملجأ المبعدين . .

إني في عذاب . . عذاب الانتظار لتتأخر أدنى خطة دبلوماسية وضعتها في حياتي . .



يا عزي الأستاذ . .

لا أريد أن أطيل عليك فعدي ما هو أهم أو ما هو أمتع لأقوله لك ، وقد تحت الخطه التي وضعتها مع مهباي ، واعتبرتها من أروع خطط العلاقات الدائمة التي حققتها . . وقد أتت مهباي هناك - في بلدي بصاحب الشخصية الرسمية الكبيرة الهامة وأعطته كل ما أراد ، وأعطاها أكثر مما أرادت وما كانت تحلم به ، واستطاعت أن تبتد كل شكوكه التي ثارت حولي ، وأن تحمو الصورة التي رسمها لي السفير ، وعاد سكرتيري الخاص وروي لي كل التفاصيل التي كانت تبلمها له مهباي أولاً بأول ، وأصبحت مطمئناً إلى مستقبل ومطمئناً إلى أن الشخصية الكبيرة قد عادت وهدأت داخل بئر الأسرار التي أمتلكها . . أما مهباي نفسها فإنها لم تعد . . سافرت إلى أوروبا بعد أن انتهت زيارتها لبلدي ، وقطعت اتصالاتها بي . . لم أعد أعرف عنها شيئاً ولا أهم بأن أعرف شيئاً . .

وكانت علاقتي بالسفير مستمرة في توترها إلى أن بدأ يباس من صلور قرار بنقل من السفارة أو بإحالي إلى ملجأ المبعدين ، فبدأ يلين معي ويعود إلى نعد إزالة الكلفة بيننا وربما كان قد سمع عن سفر مهباي إلى البلد ولقائها بالشخصية الكبيرة وقدر أني دائماً أقوى منه وأذكرني منه في التخطيط الدبلوماسي ، ومن يحاول أن يسألني أو يناقشني أو يحاسبني على إعطاء « فيزا » للدخول دون علمه أو علم أحد من موظفي السفارة ، حتى لا يثير بيني وبينه أزمة جديدة ، وعاد إلى أضعف مما كان ، وكنت أشفق عليه لأنني كنت واثقاً أني أنا الذي أستطيع أن



أنقله أو أحيله إلى علاجاً للمعدين فإني أملك أسراراً وأسرار الذين يملكون حتى الإطاحة بأي موظف في البلد . . أنا صاحب بشر الأسرار . . ولم يعف السعير من غضبي إلا تقديري واحترامي للسيدة زوجته . . لولاها لأطمت به . . ولكن . .

صدقتي أتت بدأت في هذه الأيام أزهر وأزهر من نفسي ومن كل ما يحيط بي . . أزهر وأزهر من عملي . . بدأ إحساسي بأنه عمل قدر يؤدق ويعذبني . . ومع اعتبار أنه عمل وطني ، إلا أن كثيراً من الأعمال الوطنية تعرض للإنتجاه إلى القذارة . . كالجاسوسية مثلاً . . إن التجسس سواء في المجال الخارجي أو المجال الداخلي لا شك أنه يعتبر عملاً وطنياً رئيسياً ولكنه لا شك أيضاً أنه عمل يعتمد على عمليات قذرة ، وأخطر ما يهدد الجاسوس في عمله وفي مصيره هو إحساسه بأنه يقوم بعمل قذر . . إن الجاسوس الناجح القوي هو الذي لا يتأثر بأي إحساس بالقذارة ، بل يؤدي أقدر مهمة وهو ملئ بالإحساس بأنه فقط يؤدي مهمة وطنية ، كالمقاتل الذي لا يحس بأنه يقتل بل يحس بأنه يؤدي خدمة لبلده . . كذلك مهمة العلاقات العامة خصوصاً الجانب النسائي منها ، لا شك أنها عمليات وطنية كما سبق أن شرحت لك ، رغم كل ما فيها من قذارة ، المهم ألا تنحس بهذه القذارة ، ولكني بدأت أحس بها . . بدأت أفقد متعة الاهتمام بالعمليات التي أقوم بها . . وبدأت أهرب من كثير من هذه العمليات ، وأدعي المرض حتى لا أشارك في استقبال كبار الوافدين من بلدنا وبدأت أتمني الراحة . . الراحة النفسية والراحة الذهنية . . أريد أن أحاول تحقيق حلمي القديم عندما كنت لا أزال طالباً في الجامعة عنديكم ، وهو أن أستمع في دراسة الفلسفة إلى أن أحصل على الدكتوراة وأصدر عدة كتب ، لا تزال تنقصنا تشمل فلسفة المجتمع العربي . . على الأقل أريد أن أرفع نفسي عن مستوى القذارة . .

ولم يكن هذا سهلاً . . إن الحياة التي تعودتها استولت علي ، والنجاح الذي حققته وما جمعت من وراثته من أموال أصبح أقوى مني . . إن الإنسان الناجح لا يشبع أبداً من النجاح ، ولا يكتفي أبداً بثراته . . ليس هناك حد أعلى للنجاح ولا للثراء ، ولذلك لم أستطع أن أتخذ قراراً بتغيير شخصيتي الرسمية والبحث عن شخصية جديدة وعمل جديد بعيداً عن القذارة والقرص ، كل ما استطعت هو أن أمتنع عنى أحازة ، وحتى هذا لم يكن سهلاً ، فخلال السنوات الخمس منذ التحقت بالعمل الدبلوماسي لم أمتنع عنى أحازة بل أتت كنت أتنازل عن الأجازات الرسمية . .

وقررت أن أقضي الأجازات في اليابان . . أقرب بلد إلى مركز عملي . . وكنت قد ذهبت إلى اليابان قبل ذلك عدة مرات في عمليات سريعة خاطفة ، ولكني أذهب هذه المرة في أحازة . .

وقررت أن أخفي وجودي في طوكيو عن كل أصدقائي من رجال السفارات العربية . . أريد أن أكون وحدي بعيداً عن جو الرسميات وبعيداً عن كل ما يذكرني بعمل ، وقضيت الأيام الأولى وأنا أطوف بالمكتبات وأجمع الكتب التي أرى أنها يمكن أن تساعدني على استعادة اهتمامي بدراسة الفلسفة ، ثم أتعهد أن أقضي الليل وأنا أحاول أن أقرأ . . وصدقتي . . لم أعد أستطيع القراءة . . ليس فقط لأن لغتي الإنجليزية إزدادت ضعفاً ، ولكن لأنني فقدت التعود على القراءة . . فقدت قدرتي على تركيز عقلي فيما أقرأ . . ورغم ذلك فقد كنت أعرض على نفسي القراءة كأن في داخل طفل صغير يشده أبوه إلى المدرسة غصباً عنه . . وكنت خلال النهار أتردد أحياناً على دكان داخل الفندق الكبير الذي أقيم فيه مختص ببيع آلات التصوير والأفلام . . كان من بين ما أحاوله بجانب القراءة هو محاولة اكتساب

هواية التصوير . وعرفني صاحب الدكان وعرفته من طول الوقت الذي كنت أقضيه معه وهو يطلنني على آخر الآلات وآخر تطورات فن التصوير . . . وكنت يوماً في دكان الصور الفوتوغرافية . . .

ودخلت فتاة رائعة ليست يابانية وقدرت فوراً من لهجة حديثها أنها أمريكية . لم تكن مجرد فتاة جميلة ، ولكن كان فيها نوع من جمال الترفع والتعالي . نظرات عينها تحيط بكل ما حولها في ثقة وغرور كأنها موكب رسمي يتقدمها . . وأصابع يديها رقيقة طويلة تحمل بينها خاتماً ماسياً لا يقل حجمه عن ثلاثة قواريط تحركها كأنها تعزف بها على رؤوس كل الذين يقفون أمامها اللحن الذي تريده . . وكان معها فتاة أخرى جميلة أيضاً وتسير خلفها وقدرت أنها لا شك سكرتيرتها أو وصيفتها . .

وتحدثت الفتاة الأمريكية الرائعة إلى صاحب الدكان في لهجة أمرة رغم نعومتها ، وكانت تلهمه على آلة سبق أن باعها لها ، وقالت في بساطة كأن من حقها أن تبين شعب اليابان كله :

- إنكم هنا تقولون كل جديد يظهر في أي مكان من العالم ، ولكن عيبكم أنكم تنتظرون أكثر من أسبوع حتى تصلوا إلى الحديد الذي يظهر بعده في حين أن ما بعده يظهر بعد يوم واحد . .

وقال صاحب الدكان في احترام كبير وهو يحنى برأسه وطهره عدة مرات على الطريقة اليابانية :

- هذه آخر آلة وصلتنا . . وصلتنا أمس . .

وبسرعة كان ذكائي كله قد يجمع وتركز حول هذا الجمال المتعالي ، فتحدثت وقلت وأنا أشير إلى الآلة التي أحملها وكان يعرضها على مند دقاتي :

ولكنك قلت لي إن هذه الآلة وصلت البيع لا أمس . . ثم التفت إلى الفتاة الرائعة قائلاً وأنا أقدم لها آلي :

أعتقد أنها تختلف . .

وطرقت إلى نظرة سريعة أحسست أنها طوقني بها كلى كأنها التقطت كل مداسي ، ثم مدت يدها وأخذت مني الآلة وبدأت تفحصها كأنها عالمة متخصصة في علم التصوير ، ثم قالت :

- فعلاً إن فيها شيئاً جديداً مختلفاً .

واستمر بيننا الحديث . . أنا وهي وصاحب الدكان ، بيننا الفتاة الأخرى صامتة لا تتكلم كأنها في انتظار أوامر سيدتها وفي خلال الحديث قال لها صاحب الدكان مشيراً إلى :

- إنه عربي . .

وفتحت عيناها في وضعة سريعة واتسعت ابتسامتها قليلاً وقالت :

- هل صحيح . . أنت عربي ؟

قلت ضاحكاً :

- نعم . . ولكني من بلد ليس فيه بترول . .

قالت من خلال ابتسامتها كأنها لا تصدقني :

- هل هناك بلد عربي لا يملك البترول . .

قلت :

- كثير . .

ولا أدري ، الذي دفع ذكائي إلى الكذب عليها ، ربما لأني كنت أريد أن أقنعها بأن أرق من أبناء دول البترول العربي ، أو أنني أردت أن أقدم لها نفسي

على أنى أعتمد على ثقافتى وعمل لا على دخلى من البترول ، أو ربما أدوت أن أختبرها  
لأكتشف ما إذا كانت إحدى النساء اللاتى يندفعن وراء إغراء رجال البترول ،  
أقصد ، فلوس البترول ، أم أنها ليست من هذا النوع . . امرأة شيعانة . . ومن  
يدرى ربما كانت هى نفسها ابنة أحد أصحاب شركات إنتاج البترول . .  
وقلت متودداً :

- ألم تدعى إلى إحدى الدول العربية . .

قالت :

- لا . .

قلت :

- يشرقتى أن أدعوك .

قالت ضاحكة وهى تهم بمحادثة الدكان :

- إنها دعوة تحتاج إلى تفكير طويل . .

قلت :

- هل أستطيع أن أفالك حتى أساعدك على التفكير . .

ونظرت إلى نظرة احترت فيها ، هل هى نظرة فرحة أم نظرة ساخرة ، وقالت :

- إنك تقم فى نفس الفندق . . أليس كذلك . . ما هو رقم غرفتك

لأتصل بك . . .

وأعطيتها رقم الغرفة ، وتركنتى بعد أن لفتنى بابتسامتها . . وأحسست فعلاً  
أنى ملفوف فى هذه الابتسامة حتى خيالى لفته معها ، وبدأت أنحيل بها كل مستقبلى . .  
إنها لا شك ابنة عائلة أمريكية غنية . . إنها مليونيرة أو ابنة مليونير . . وهى

فرصة لأفتح لنفسى مجتمعاً جديداً ومستقبلاً جديداً . . قد أتزوجها . . لماذا  
لا أتزوج . . إن هذا النوع من النساء الذى كنت أتعامل معه كان ينفردى من  
تعبيرى فى الزواج ، كان يدفعنى إلى تصور أن كل نساء الأرض من هذا النوع ،  
ولكن هذه الفتاة لا يمكن أن تكون من هذا النوع . . وحتى لو كان لها ماض  
فلا يمكن أن تكون محترقة ، والنساء فى المجتمعات المتقدمة لا يحاسبن أحد على  
الماضى ولكنن يحاسبن على المستقبل . . فلنفرص أن لها ماضياً . . لا يهم .

أتزوجها . . وبعد أن أتزوجها يصبح من حقى بحكم القانون الأمريكى أن أحصل  
على الجنسية الأمريكية . . أى أنى لا أتزوج هذه وحدها ولكنى أتزوج أمريكا  
كدها . . وأحسست بفرحة تملأ صدرى كله وأنا أنحيل نفسى وقد أصبحت أمريكية .  
وربما تلومنى على هذه الفرحة لأنى أعلم أنك مترمت فى وطنيتك ، ولكن التجسس لم  
يعده اليوم علاقة بالوطنية ، أصبح أشه بعقد عمل . . تعطيك الدولة التى تحمل  
حسبها كذا نظير أن تدفع لها كذا ، وتستطيع فى الوقت نفسه أن تحتفظ لوطنك  
الأصلى بكل عواطفك وأن تبرع له بكل ما تريد التبرع به حتى لو تبرعت له  
بروحك فى قتال . . هذا هو الآن واقع الإنسانية الدولية . .

وكل هذا الفكر يسيطر على خواطرى وأنا جالس فى غرفتى بالفندق فى انتظار  
دقات جرس التليفون لأسمع صوتها . لا أستطيع القراءة طبعاً . . ولا أستطيع أن  
أشغل فكرى بأى شئ آخر . . إن كل فكرى مركز فى مشروعى الجديد . .  
والساعة وصلت التاسعة مساء وجرس التليفون لم يذق . . وبدأت تقضى فى نفسى  
تهتز . . تقضى فى وسامتى وقوة الجذب التى يقرضها دائماً وحودى . . ربما كانت  
هذه الفتاة أقوى من قوة حذنى . . لا يمكن أن تطليبنى بعد الساعة التاسعة . .  
فات الوقت الذى يمكن أن تنصق فيه على لقاء سهرة . . وخرجت من غرفتى وذهبت

إلى « بار » الفندق وأنا أتلفت حولي في كل خطوة أبحث عنها وكأنه يمكن أن  
تجمعتا المصادفة مرة ثانية .. ووجدت نفسي أستسلم لكؤوس الويسكي على  
غير ما تعودت .. سكرت وعدت إلى فراشي وألقيت نفسي عليه كأنى أصبحت  
جثة هامدة ..

وفي اليوم التالي ، وبعد أن تغلقت على الصداق الذي تركه في رأسي كؤوس  
الويسكي ، عدت أفكر في هذه الفتاة الأمريكية .. هل اتصل بها .. إنى  
" طبع أن أعرف رقم غرفتها لو أردت .. ولكن هل اتصل بها .. لا .. إن اتصالي بها  
يضغنى أمامها .. لأنظر اليوم أيضاً ..

ويبحث بانتظاري ..  
دق جرس التليفون في الساعة السابعة مساء وقالت كأننا أصدقاء قدماء :  
- أنا جوانا . أين كنت ليلة أمس .. اتصلت بك في الساعة العاشرة  
ولم أجلك ..

قلت :  
- انتظرتك حتى التاسعة ثم يشت ..

قالت :  
- آسفة . تأخرت عليك .. كنت مشغولة .

قلت :  
- سأراك الليلة .. أين ؟

قالت :  
- في جناحي الخاص .. هنا ستجد كل شيء .. ونستطيع أن نتعرف  
أسرع ..

قلت :

- موافق .. وسعيد ..

قلت :

- ولكن .. هل أمرت السائق بأن يضع سيارتي في الجاراج ..  
ولم أفهم شيئاً وقلت في سذاجة :

- آسف .. ماذا تقولين ؟

وكررت نفس الكلام :

- هل أمرت السائق بأن يضع سيارتي في الجاراج

وعدت أقول :

- لا أفهم . أى سائق وأى سيارة ؟ !

وصحكت ضحكة خافتة وقالت في صوت هادئ :

- سيبت أنك غريب وقد لا تفهم هذا التعبير . إنى أريد أن أقول لك  
بى سأكلفك كثيراً ..

قلت وأنا أحاول أن أذكر ما سمعته :

- ماذا تقصدين ؟

قالت :

- الجناح الذى نلتقي فيه له ثمن .. والطلبات لها ثمن .. وأنا لى ثمن .

وأحسست كأن زلزالاً ثار في داخلي وهدم كل حيالى وكل خواطرى وقلت  
والصدمة ترك في لساني طعم الخيبة والقرف :

- آسف .. وقد سبق أن قلت لك إنى رغم أنى عرنى فإنى من دولة ليس فيها  
بنزول .. لست غنياً .. وقد حثت إلى طوكيو مدعواً وأقيم على حساب الدعوة

وليس في جيبى إلا ما يكفى مصروفى الحاضر . .

قالت والأسف يقطر فعلا من كلماتها :

- خسارة . . . لقد أعجبت بك فعلاً منذ رأيتك . . اسمع . . إن أقل ما أستطيع

أن أقبل هو خمسمائة دولار . . هل تستطيع ؟

وقلت وأنا أكبت غيظي من خيبتى :

- أرحوك ، دعنى أفكر . .

قالت فى بساطة :

- سأنتظر منك تليفوناً حتى الساعة الثامنة . وأنا آسفة . . ويجب أن تقدر

أن الحياة مكلفة . .

وتركتنى أقام آثار هذا الزلزال الذى أطلقته فى صدرى . ويبدو أن كل

نصيبى فى الحياة هو هذا النوع من الساء . . يبدو أن قوة الوجد الذى أدعيا

لنفسى لا تؤثر إلا فى هذا النوع ، فلم تنجذب إلى أبداً فتاة ليست محترفة أو ليست

على استعداد للاعتراف . . ولكنى لم أكن أعقد أن هذا يمكن أن يكون نصيبى

حتى مع فتاة أمريكية أتقى بها فى طوكيو . . والحضارة الأمريكية مسيطرة

سيطرة كاملة على اليابان . . كل الحياة فى اليابان تأمركت . . ولكنى لم أكن

أعتقد أن الأمريكان استولوا على كل شيء حتى على أسواق الدعارة . .

وربما كانت حوايا ليست سوى إحدى الفتيات اللاتي يسمونهن فى أمريكا

« فتيات التبعون » وقد مدت نشاطها ومعاملتها كما تفعل الشركات الأمريكية

حتى وصلت نفسها إلى اليابان وربما مدت سيطرتها هنا حتى تصل إلى بيوت الجيша

فتمركزها هى الأخرى .

ولكن لماذا أقام نصيبى فى الحياة . . لماذا أعود بنفسى إلى أيام الطفولة

الاجتماعية عندما كنا نؤمن أن الحياة كلها هى مجموعة من المبادئ العامة . .

الشرف . الأمانة . . الوطنية . . الحرية . . و . . و . . وأترك هذه

المبادئ العامة تشعرنى بأنى أقيم بأعمال قدرة . . إن الدعارة ليست أكثر قدرة

من القدرة السياسية أو القدرة الاقتصادية التى تعيشها المجتمعات الرسمية والراقية

فى كل أنحاء العالم . . المرأة الداعر أنطف وأصرح لأنها لا تكذب على أحد

ولا تخدع أحداً ، إنها تمارس الخطيئة وهى متحملة كل مسؤولياتها حتى أمام الله ، أما

السياسى الداعر أو الاقتصادى الداعر فهو يكذب حتى على الله . . يكذب ،

ويؤذى . . وحتى بالنسبة لنفسى . . ما هو أشرف لى كعمل أتحمّل مسؤوليته . .

أن أعد ليلة يقضها أحد المسئولين من ضيوفا بصحبة امرأة حتى أحمله من امرأة

أخرى قد تكون حاسوسة أو عميلة مسلطة عليه أو على بلدى . أم أشرت لى عملية

اقتصادية لحصل منها على عمولة وأستنزف بها أموال ومصالح شعبى . . إن لى

العملية الأولى يسمونها « قواداً » وفى العملية الثانية أسمى « اقتصادى » أو رجل

أعمال . . أيعما أشرف لى لأكونه . . قواداً أم رجل أعمال إذن لماذا أفرز من

جوانا بعد أن اكتشفت أنها تحترف الدعارة . . لماذا لا اعتبرها مجرد سيدة أعمال

وأصطفاها لألقى بها طعماً فى بحر الأسرار . . لقد كنت أريد أن أعتبر بعضى

فى أجازة . . لا لست فى أجازة .

والثورة على نفسى تستبد لى إلى أن رفعت سماعة التبعون واتصلت بحونا

وقلت فى لحظة جادة سريعة كأنى أصدر قراراً خاصاً بصفقة هامة :

- أعددت ما تعطين . . متى ألقاك .

قالت كأنها تزغرد :

- رائع . . أعطينى من حيرة البحث عن آخر . . أنتظرك التاسعة . .

وذهبت إليها . .

إنها هي حتى بعد أن عرقها على حقيقتها . الجمال الرائع المتعالى الرفع المتعفف . وكأن كل ما تحدثنا فيه ليس سوى صفة محاربة شريفة لا تؤثر في هذا المتعالى والتعفف . . وأصابعها الرقيقة الطويلة تمتد وتتحرك فوق يديها كأنها تعترف بها على رؤوس كل من يقف أمامها اللحن الذي تريده ، وكأنها رعم احترافها لا تعترف إلا باللحن الذي تريده . والجناح الذي تقيم فيه هو نفس الجناح الذي يمكن أن يقيم فيه حاكم من الحكام أو أميرة من الأميرات كأنها تعتمد أن تضع نفسها في نفس المستوى وهي واثقة دائماً بأنها تستطيع أن تحصل على تكاليف هذا المستوى . . إنها من نفس نوع نساء العائلات اللاتي سبق أن حدثتكن هنن . نفس مستوى الخطيئة الغالية . .

وأخرجت من جيبي بمجرد أن جلست مظلوماً يحمل الدولارات وقلت :

— حتى أعلمتك . .

والفتحت المظروف بأطراف أصابعها الطويلة الرقيقة وقالت في تأفف متعال :

— شكرًا . .

ثم ألقت المظروف على مائدة بعيدة ، وقلت :

— أرحو أن أمتجبه وتعدي ما فيه ، فقد أعطيت أكثر حتى تعطيني أكثر . .

وكنيت قد وصعت في المطروف ألف دولار بدلا من الخمسمائة التي طلبتها ، ولكنها لم تفتح المطروف وتركته بعيداً وقالت وهي تقترب مني وحسدها العاري يبلو من خلف الثوب الشفاف كشعاع من النور :

— لا يهم ما تعطيني وما أعطيت . . الذي يهم هو إحساسك وأنت تعطيني

إن الفنان يستطيع أن يرسم صورة فتبدو عادية ويرسم نفس الصورة فتبدو رائعة ،

لأنه رسم الأول بناء على طلب زيون ورسم الثانية بناء على إلحاح إحساسه . . كل شيء في الحياة فن . . والفن إحساس لا يمكن أن تقدر له ثمنًا . .

واستدارت تعد لي كأس الويسكي ، وقلت :

— وهل أنا زيون أم إحساس . .

قالت وهي تقدم لي الكأس ثم تجلس بعيداً على المقعد المقابل :

— أنت أعجبني وأترقي منذ وأنتك . . تركتني أحس كأنني أريد أن أكتشف

علاً جديداً . . ولا أدري إلى ماذا سيؤدي هذا الإحساس في الساعات التي يعيشها

الآن . . ربما اكتفيت بك كزيون تشرفت به وربما أترقي كإحساس يتعلق بك . .

هكذا كانت تتكلم . . فلسفة صريحة رائعة لا تعتمد على كلمات مزيفة

ولا آراء عامة . . إنها تقول في صدق كل ما تحس به فعلاً .

واستمر حديثنا طويلاً وكأننا في جلسة عائلية نضم زوحاً وزوحه في إحدى

ليالي شهر العسل ، إلى أن قالت خلال الحديث :

— هل تعرف فهمان البارجي . .

وبهرت كأنني أقفز بصوت من فوق مقعدي :

— هل تعرفينه ؟

قالت في هدوء :

— عرفته بعض الوقت في بوسطن . . إنه ذكي وكريم . .

واستعدت صورة البارجي في خيالي . إن كل الناس تعرف فهمان البارجي ، إنه

نسخ رجل أعمال عربي بل إن نجاحه أصبح يقارن بنجاح رجال الأعمال العالميين

وقد بدأ نجاحه معتمداً على نفس العلم الذي اعتمد أبا عليه ، عدم أو فن العلاقات

لعمامة ، والاتصالات الشخصية . . ورغم أنني لا أعرفه شخصياً إلا أنني كنت أعتبره من

بعيد أستاذي ، وأعتبره الأمل الذي أتمنى تحقيقه ، وكنت أغار منه وأحقد عليه أحياناً ولكنه كان أضخم وأكبر من أن تصل إليه غيري أو حقدى . . وربما كان يمكن بالعمليات التي أقوم بها أن أصل إلى مستواه ، لولا أنه يقوم بعمليات لم أستطع أن أحقق مثلها حتى اليوم . . عمليات الأسلحة . . إنك لا تدري كم تستطيع أن تكسب من عملية واحدة للسلاح . . ربما أكثر من عشرة ملايين دولار . . إن هناك صحفياً شاباً في إحدى البلاد العربية أستطاع أن يحقق بعملية سلاح واحدة أضعاف ما كسبه صحافة بلده - كصحافة - في عشر سنوات . . وآه لو استطعت أن أصل إلى عملية سلاح واحدة . . تكفيني عملية واحدة وبعدها أترب إلى الله . . وجوانا كانت تعرف فهمان البارجي ، ولابد أنه استخدمها في بعض عملياته . . أي أنها مرت بتجارب وأصبحت خبيرة في فن العلاقات العامة ، وفهمان البارجي لا يمكن أن يستخدم أحداً سواء كان رجلاً أو امرأة إلا وهو واثق أنه يستطيع أن يحقق ما يريد منه .

وبسرعة انقلب تفكيري كله وانشصر في موضوع واحد حتى أتى لم أعد أرى حسد جوانا العاري من خلف ثوبها الشعاف إنما عيناى مركرتان فوق جبينها كأنى أحاول أن أقيس ذكائها وأحاول أن أقنع نفسي بالاطمئنان ، ثم قلت لها : - جوانا . . لقد كذبت عليك . . وإني لست هنا في طوكيو بناء على دعوة . . إني في جولة حرة . . وأنا وزير مقوض في السلك الدبلوماسي في بلدى . . والأهم من ذلك إني ورجل أعمال . .

ولم تدهش جوانا وهي تسمع اسم بلدى رغم أنى كنت قد ادعيت أمامها أنى مصرى حتى لا تتبهرى من أنباء البترول ، وكأنها كانت تعرف الحقيقة ، وقالت وكأنها تربت على خدلى بابسامتها الحلوة المترفة :

ولماذا كذبت ؟

قلت ضاحكاً :

كنت أريد أن تقى في حبي لا في ثرائى . .

قلت :

وهل الحب لا يكون إلا مع الفقر . .

قلت :

لا . . ولكنه لا يشترى . . والرجل العي كالفنائه الغنية كل منهما يعانى من عقدة الإحساس بأن لا أحد يحبه ولكن كل الناس تحب أمواله . .

قالت :

- إن الحب يفرض أن يعيش الرجل والمرأة في مستوى واحد ، فإذا كان فقيراً جمعهما الفقر ، وإذا كان مليونيراً فيجب أن يرصعا إلى مستوى المليونيرات . . هل أنت مليونير ؟

قلت :

- على وشك أن أكون .

قالت :

- ولماذا قررت أن تصارحنى بالحقيقة . . حقيقتك ؟

قلت وأنا أنظر إليها كأنى أغريها :

- لأننى في حاجة إليك ، وقد استطعت بسرعة أن تقتنعنى بنفسك . . وأنت تعلمين أن كل رجل أعمال في حاجة إلى من تساهم معه في مسؤولياته الاجتماعية . . وأريد أن أعرض عليك أن تنصرى لى . . أقصد للعمل معى . وظنرت إلى كأنها تحاول أن تعرفنى أكثر وقد نسبت هى الأخرى جسدها العارى

تحت ثوبها الشفاف ، وقالت :

- كيف . . كيف أتفرغ لك . . لعلك تقصد ألا أكون لرجل آخر . .

وأجبها كأني أنني تهمة :

لا . . قلت إنى أريدك أن تتفرغ لى فى العمل لا أن تتفرغ لى فى الفراش .

وعادت تنظر إلى صامته نظرة طويلة ثم قالت :

- موافقة . . إنها فكرة تستحق التجربة . .

قلت فرحاً :

- والتجربة تبدأ بأن تعتبرى كل تكاليف إقامتك فى طوكيو على حسابى

الخاص ، أقصد على حساب مكبى . .

قالت وهى أيضاً فرحة :

- هذا يعينى من البحث عن أى رجل آخر . . أستطيع أن أتفرغ لك صلاً . .

صلاً . .

قلت :

- وبعد يومين سأعود إلى مقر عمل ، وتعودين معى لتقبنى هناك . .

قالت :

- ولكنى كنت قد قررت أن أسافر إلى هونولولو . .

قلت :

- أسافر معك . .

قالت :

- لا . . إنى مرتطة هناك بمواعيد سبق أن حددتها قبل أن نتعارف . .

قلت :

- المهم أن أكون معك فى بلد واحد . .

قالت :

- الأفضل أن ألتحق بك فى أى بلد تكون فيه . . وإن أغيب فى هونولولو

أكثر من ثلاثة أيام . .

وتظرت إليها كأني أشك فيها حائراً فى نواياها ثم قلت :

- موافق . .

وأقمت نفسى بأنه لا يهم أن تعيب وحدها بعيداً عني فى هونولولو فالخطة

كلها لا تزال مجرد تجربة بالنسبة لى كما أنها تجربة بالنسبة لها . .

وقلت وأنا أترك مقعدى وأقرب منها وأشدّها إلى صدرى وأصل كفى إلى جسدها

العارى من تحت ثوبها الشفاف :

- دعينا نوقع عقد الإنفاق . .

وأخذت شعيتها . . أول شفاء أمريكية أنذوقها . . إن الشفاء الأمريكية لها طعم

مفر حذاب يتقلب على طعم الاحتراف . . وأعطينى حوانا ليلتها أضعاف

الأحاسيس التى كانت تعطيلنى فى مهاوى . .

إن ما تعطيه تابلاند شيء وما تعطيه أمريكا شيء آخر . .

• • •

وفى صباح اليوم التالى ونحن لا تزال فى الفراش قالت لى حوانا :

- لقد تذكرت شيئاً ربما يهمك ، فقد كنت جالسة منذ أيام مع بعض

الرجال الأمريكان وأعتقد أنهم يمثلون شركات لا أدرى ما هى ، وكانوا يتحدثون

عن مشاكل يواجهونها فى بلدك بخصوص إحدى العمليات . .

قلت وأنا مازلت أتعطى :



- أي نوع من العمليات ؟

قالت وقد اكتشفت أنها من النوع الذي يشتمل نشاطاً بمجرد أن يفتح عيبه .

- لا أدري . . ولكنني أستطيع أن أدعوك الليلة هنا على كأس شراب وأقدمهم لك ونفهم مشكلتهم .

إنها تبدأ العمل منذ اليوم الأول ، لا شك أنها تلميذة ناححة من تلاميذ فهران البارجي . .

وقد تركتها في الصباح وعدت إليها بهدية عبارة عن طاقم كامل من اللؤلؤ . . عقد وسوار وحاتم وحقن . . كلفني حوالي عشرة آلاف دولار . . كان يجب أن أجد لها باقوى حيوط الإغراء . . وفي المساء عرفتني في جناحها الخاص بالذين حدثني عنهم من رجال الأعمال الأمريكيان ، وقدمتني إليهم كأني أملك كل مصير بلدي . وكانت مشكلتهم خاصة بعملية توريد مجموعة أنابيب ومعدات خاصة بآبار البترول تكاد شركة أخرى تفوز بها عليهم ، برغم أن شركتهم معروفة عالمياً بارتفاع مستوى إنتاجها ورغم أنهم قدموا عرضاً أقل تكلفة . و . . إنها عملية تساوي ثلاثة ملايين دولار ، وعمولتها تصل على الأقل إلى مائتين وخمسين ألف دولار .

وافقت معهم على أن أتحمّل مسؤولية إتمام هذه العملية لحسابهم ، وأن يلتزموا بي بعد خمسة عشر يوماً في مقر السفارة ، وقلت ضاحكاً كأني ألقى مجرد بكتة .

- لقد ظلمت نفسي عندما قبلت منصب وزير مفوض ، فإن عملي في الواقع هو تحقيق مثل هذه العمليات ولذلك فإني أعتبر أن حقّ يضيع عندما لا أحصل على العمولة كاملة . .

وقالوا فوراً :

- طمأ . . طمأ . . هذا حقك . .

وقد قلت هذا الكلام لأن العادة حرت على الاحتفاظ بالعمولة الكاملة بوكلاء الشركة بينما يعتبر أصحاب المنصب من الوزراء وكبار رجال الدولة من العناصر المساعدة فلا ينالهم إلا جزء من العمولة .

وقد تهرغت لي حواماً فعلاً خلال الأيام التي قضيها في طوكيو ، وكنت في كل يوم أكتشف أنها ليست مجرد امرأة تحترف ليلى الجسد ، إن في داخل رأسها ثقافة كامنة ومعركة واسعة بفن العلاقات العامة ، وبلغت فرحتي بها إلى حد أن أقعت عسى بأنني لست بالنسبة لها مجرد رجل بل إنها تحبني ، أو على الأقل تميرني عن باقي لرجال الذين تستطيع أن تحصل منهم على أكثر مما تعطيم . . ولم يكن يبدو عليها أن لها اهتماماً بأي شيء . إنها حتى وهي تحدثني في مجالات العمل لا تنبأني بمعلوماتها ولا تبدو كأنها تنقني على درسا بل تبدو كأنها مجرد امرأة عادية تقول رأياً عادياً . ثم وهي تعطيني . . إنها لا تقتل . . إنني لا أحس بها أبداً كإمرأة مأجورة ، كما أنها لا تقتل الظاهر بحيي . . ولكن الساطة التي تعطي بها هي التي تجعلني أحس بأنها تريدني كما أريدها . إلى أن سافرت إلى هوبولولو في هذه الرحلة العاصفة التي فطمت أن تقوم بها وحدها . ربما خطر على بالك أنها قد تكون حاسوسة أو إحدى بنات المخابرات الأمريكية « لا يهم » فإني لا أملك من أسرار بلدي السياسية أو الاقتصادية أكثر مما يملكه أي شخص في الشارع ولا أكثر مما ينشر في الصحف . لا يمكن أن يكون لبلد مثل بلدي أسرار ، إن الأسلوب الذي نتعامل به لا يترك مجالاً للأمرار . . لا أسرار داخلية إنما فقط الأسرار الشخصية . . أسرار الفرائش .

لذلك ، فإني لست مستعداً أن أنجلي عن جوانا حتى لو كانت جاسوسة .

وقد تركت طوكيو وعذت إلى السفارة وكان أول ما فعلته أن استأجرت شقة فاخرة في  
أفخر أحياء البلد لتقيم فيها جوانا عندما تنصل وساهمت ميزانية العلاقات العامة في  
تحمل تكاليف إستئجار هذه الشقة . . وقد تلوى شفتيك إمتعاضاً وأنت تسمع مني أني  
أنفق أموال الدولة على مشاريع خاصة . . يا أستاذي العزيز إن ميزانية العلاقات  
العامة ليس لها مقاييس ولا يمكن أن تحدد فيها ما يجب وما لا يجب ، وهذا في كل بلاد  
العالم حتى عندكم . . قد يأتي إليكم زائر أجنبي صغير . . وكيل وزارة مثلاً

وتعصر الحكومة أن تقم له حفل عشاء . . فمن تدعو إلى هذا الحفل ؟ إنها تدعو على  
الأقل مائة من الموظفين والصحفيين لا علاقة لهم بالضيف ولا بهم شيء من زيارته ،  
ولا يجدهم الضيف نفسه شيئاً يهمه ، إن كل ما يهمهم هو مظهر الدعوة  
وأنواع الأطعمة والمشروبات التي تقدم لهم مجاناً ، وكل ذلك تتحمل تكاليفه الدولة  
من أجل لا شيء . عملى سوى صورة فوتوغرافية توحيد لهذا الحفل وتشر في الصحف  
وترسل إلى حكومة الضيف كمجرد مظهر للترقيم وحسن العلاقة بين البلدين . .  
إن المظاهر لها تأثير كبير حتى لو كانت مظاهر كاذبة كمظاهر الاستقبالات  
الرسمية والشعبية التي تعد لرؤساء الدول . . المظهر له تأثيره وتكاليفه حتى في تصرفات  
الفرد بالنسبة لنفسه . إنه قد يذهب إلى مطعم راق ليأكل طبق لحم يكلفه عشرة  
جنيئات في حين أن نفس الطبق ونفس اللحم يستطيع أن يأكله في مطعم آخر  
ويكلمه خمسين قرشاً . . المظاهر لها ثمن . . وميزانية العلاقات العامة هي كلها  
ميزانية المظاهر الكاذبة والتودد المفتعل . . إنك لو ذهبت في زيارة رسمية إلى اليابان  
فإن الحكومة ستدعوك إلى بيت من بيوت اجيشا وستنجز عشرة على الأقل  
من رجال وزارة الخارجية اليابانية فرصة زيارتك ويدعون أنفسهم معك إلى هذا

الت . . ليست الحكومات فقط . . حتى الشركات الكبيرة تخصص ميزانيات  
وسمه هذه المظاهر ، وأنا لا أجد شيئاً من مشروعات هامة تخص بلدي ولكي  
أحد من ميزانية المظاهر لأفقه فيا أعتقد أنها مظاهر هامة .  
وجاءت جوانا .

ورافقتنا على أن تعيش كمسيدة أمريكية ثرية جاءت سائحة وتمك إقامتها  
بحرم أن البلد أعجبها . . وكانت أول عملية بدأنا الاهتمام بها هي عملية مشروع  
معدات آبار التترول ، واستطعت بسرعة أن أغرى المسئول في بلدي عن هذه العملية إلى  
زيارتنا زيارة رسمية ، وفي خلال ليالي الزيارة الرسمية قنصته لجوانا على أنها السيدة  
الثرية التي التقيت بها مصادفة وأصبحت صديقة محترمة . . وأنت قد لا تدري  
في الإبهار الذي يصيب مسئولاً غريباً عندما يجده نفسه مع امرأة أمريكية  
حسنة ويخجل إليه أنه يستطيع أن يصل إليها في القراش . إنه يحس كأنه يحاول  
أن يتصر على أمريكا . كأنه يهتك عرص العلم الأمريكي كأنه اعتدى على  
سرف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . إنه الإحساس الشرقي القديم الذي  
يعصى حسد المرأة قيمة وأهمية لا وجود لها . . كأن في هذا الجسد يتجمع كل  
كيان الأمة . . وكأن الاستعمار هو مجرد أن تستولى على جسد امرأة من بلد آخر .

وربما كانت جوانا قد درست هذا الإحساس للرجل العربي . . أو الرجل  
لدى يتسمى . لدولة صغيرة بالنسبة لامرأة من دولة كبيرة ، فقد ظلت تبخل  
عليه مع الاحتفاظ له بأحلامه حتى اضطر أن يمد فترة زيارته أسبوعاً . وعندما  
عصته كسباً قد حصلت على موقفه على مشروع معدات الآبار . . إن الشركات  
كما تعرف تعطى للمستثمرين دائماً عمولات - أو سمها رشاشي - في شكل هدايا  
مبه عالية قد تشمل قصصاً من الماس ، وأنا أعطيت هذا المسئول رشوة من نوع

آخر . . أعطيته جسد حيوانا .

وتسلمت فعلاً عمولة الصفقة . . أى أخذت مائتين وخمسة وعشرين ألف دولار . . واشترت بلجوانا خانم سولتير ، فصفاً واحداً من الماس حجمه ثلاثة قرديط كلفى عشرين ألف دولار ، وتعمدت ألا أعطيها هديتها بقداً بالدولارات حتى لا تعتبر نفسها شريكة معى فى الصفقة وتعود أن تطالبى بهصيب محدد . . والذنية تتضح أمامى ومعى جوانا . . والجديد أن شخصيات أمريكية كثيرة بدأت تسعى إلى وبدأت أكتسب صداقتها . . وكنت ألتحق بهم فى شقة حيوانا كأنهم أصدقاؤها لا أصدقائى حتى لا أكتشف بمعى أمام السفير زوجة السفير وحده . . لسيدة التى أقدرها وأحترمها هى التى تعرف كل شىء . . إنها تعرف حتى قصة موظف السفارة الأمريكية الذى كان بعنره موظفاً صغيراً إلى أن كشف لى عن حقيقته عندما احتضنت به فى ليلة من ليالى حيوانا . . واعتذرتى . . لن أحكى لك هذه القصة .

المهم .

إلى الآن لم أصل إلى تحقيق صفقة سلاح . . واعتقد أنه يجب أن أستقبل من وظيفتى حتى أستطيع أن أتمرغ ونكون لى حرية أكبر للوصول إلى صفقة سلاح . . ولو استطعت فرمما استطعت وتخصواً وأنا معتمد على أصدقائى الأمريكان أن أكون وزيراً أو رئيس وزراء أو أن أقوم بانقلاب لصالحى ، ولكنى أفضل أن أصل إلى صفقة سلاح . . إذا وصلت فمأكتب لك مرة أخرى .

## ❖ البحث عن الطريق الآخر ❖

## مقدمة القصة :

عندما يكون الأب رئيساً . . هل يظلم أبناءه  
أو يظلمه أبناؤه ؟

هذه القصة خطرت لي عندما كنت منذ شهور في زيارة الهند فوجدت هناك بحملة عيقه صد سنجاي غاندي ابن السيدة أنديرا غاندي رئيسة الوزراء . وكان سنجاي متهماً بأنه يستغل مركز ونفوذ أمه في تحقيق مصالح خاصة ، منها إنشاء مصنع للسيارات ، كما أن الأم تفرض ابنها على المجتمع السياسي الهندي بدليل ، أنه أصبح رئيس وقائد حركة الشباب . . وقد كتبت أيامها في جريدة « الأهرام » تفاصيل كل ما يقال هناك كما نشرت حديثاً جرى مع سنجاي يدافع فيه عن نفسه ويعلن أنه ليس في حاجة لاستغلال مركز والدته بل إنه يعارضها في كثير من آرائها ، وإنما هو يعتمد على حريته وجهده الخاص كأي واحد من أبناء الشعب بدليل أنه له أخ هو ابن أنديرا غاندي أيضاً ولكنه متعدياً كاملاً عن المجتمع السياسي الهندي . . ورغم هذا فقد قيل إن سبب سقوط أنديرا غاندي وحزب المؤتمر في الانتخابات هو تصرفات ابنها سنجاي وإنه هو الذي دفعها إلى إعلان حالة الطوارئ التي أدت إلى سقوطها . .

ومشكلة أبناء الرؤساء أو أبناء أصحاب السلطة مشكلة في كل بلد من بلاد العالم ، وقد كان طوني فرنجية ابن الرئيس اللبناني السابق سليمان فرنجية

منها بأنه يحكم لبنان باسم ابنه ، وأنه هو - لا أبيه - سبب كل ما حدث  
لبنان . . كما أن كارتر الرئيس المنتخب للولايات المتحدة الأمريكية كان قد  
أعلن بعد انتخابه أنه سيعين باثني من أولاده في تحمل مسئوليات البيت الأبيض ،  
فثار ضده حملة من معارضيهِ وكانت حملة خفيفة تعتمد على إطلاق النكات ،  
ظل كارتر بعدها مستمراً في الاستعانة بأولاده في تحمل مسئولية الحكم . .

وفي مصر قامت حملة ضد المهندس سيد مرعي عندما وُثِّق نفسه لرياسة  
محس الشعب منها بأنه اعتمد على أنه ناسب الرئيس أنور السادات برواح ابنه من  
ابنة الرئيس ، وأُذكر أنه بعد أن أعلنت الحطية أن التفتيت مرة والصديق سيد مرعي  
وقلت له :-

- على قدر فرحتي شططت حسن إلى نبي فأني أشفق عليك من هذا الزواج . .  
ولم أكن في حاجة إلى أن أسمع رد سيد مرعي فأني أعلم أن شخصيته السياسية  
بدأت قبل الثورة واستمر بها بعد الثورة دون أن يعتمد على قرابة أو نسب ، ولكني  
كنت أقدر أن مجرد ارتباطه برباط أسري مع رئيس الدولة سيثير حوله متاعب كان  
في غنى عنها ، وقد يتحمل رئيس الدولة نفس المتاعب . . وهو ما حدث فعلاً . .

وحتى في المستوى العادي لا مستوى الحكام ، فإن رياسة الأب لأي عمل  
تجعله محرجاً مع أولاده بالنسبة لهذا العمل ، فأني رئيس مؤسسة يروى غالباً  
أن يعين أبنائه في نفس المؤسسة حتى لا يتهم بالمحاباة أو باستثناء ابنه عن باقي  
المتقدمين إلى العمل ، فإذا عين الرئيس ابنه فعلاً فإنه يصح في حرج كلما استحق  
هذا الأبن مكافأة أو كلما أراد أن بكل إليه القيام بمهمة ما ، حتى قيل إن بعض  
رؤساء المؤسسات في مصر اتفقوا فيما بينهم على أن يتولى كل منهم استخدام أبناء

الأحر حتى لا يتهم باستثناءهم أو بمحاباتهم .

وبعد تعرضت أنا شخصياً لهذا الوضع المتعب ، فأني ابن صاحبة المجلة التي  
بدأت العمل بها . . ابن السيدة روزاليوسف . . وضعت قفزة كنت لا أعرف  
من الناس إلا بأني ابن روزاليوسف وكان كل مجهود صحفي أبذله ينسب إلى  
أمي . وكانت مشكلتي الرئيسية هي أن أنت لخصي شخصية قائمة بذاتها بعيداً  
عن شخصية أمي . . وكنت أتعهد أن أتترك مجلة روزاليوسف وأعمل في صحف  
أخرى ، رغم حاجة العمل إلّ . . فحدث أن أحرر بعضي من اسم أمي ، وفي الوقت  
نفسه كانت أمي تعاملني بحزم لا تعامل به بقية المحررين وتحدد لي دائماً أقل  
أحر حتى لا يعرف عنها أنها تحابني أو تستثنيني من بين بقية زملاء لمجرد أنني  
أنا . . وهكذا ظلمت أمي وظلمتني أمي . .

وبعد ذلك أصبحت أنا ابناً لابن يصير على أن يكون صحفياً . . وقد كنت  
أتمنى ألا يكون صحفياً فأني أب يخيل إلي أنه عمله هو العمل الوحيد الذي يجلب  
المتاعب والمخاطر ويتنى أن يبعد أولاده عن مثل هذا العمل . . ولكن ابني محمد  
صر على أن يكون صحفياً ، فأصررت على ألا يعمل في أي جريدة أعمل بها  
وخصوصاً إذا كنت أتولى فيها منصباً رئيسياً سواء كرئيس تحرير أو كرئيس مجلس  
إدارة . وجاءت فترة كنت أنا أعمل في مؤسسة أخبار اليوم وابني محمد يعمل  
في مؤسسة الأهرام ، إلى أن حاد يوماً وُقِل لي إيهام في الأهرام بعاملونه وبحذروهم  
كانه جاسوس لي . . فاضطرت أن أسمع له بأن يعمل معي في أخبار اليوم ،  
وعهدت به إلى مدير التحرير الأستاذ سعيد سنبل دون أن أسمع له بالاتصال لي  
في كل ما يخص العمل ولم أكن أوافق على أي إجراء به إلا إذا وافق سعيد سنبل .

أُتعبت ابني وأتعبني . ولم يجد محمد حريته ولم يتقدم في عمله بأحار اليوم إلا بعد أن تركتها أنا

إيه موضوع طويل سقى أن كتبت فيه كثيراً وأنا أتساءل عن أبناء الرقضاء والشخصيات القيادية ، هل هم مظلومون بآبائهم أو أنهم يظلمون آبائهم ؟  
\* وهذه القصة من وحي هذا الموضوع . .

إحسان



١

إننا في عز النهار . الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة صباحاً . . والشوارع كلها مزدحمة كالعادة بما فيها الشوارع الجانبية ، والسيارات مركونة بجانب الأرصفة وبعضها فوق الأرصفة في انتظار أصحابها . . وكان يسير في شارع رشيد عصر الجديدة ، وتوقف عند سيارة مريـدس واقفة أمام باب صارة ، ولم يـتـلفت حوله ولم يحاول أن يرقب بواب العمارة الجالس على مقعد فوق الرصيف ، ومد يده يحاول أن يفتح باب السيارة وعندما وجده معلقاً بالمفتاح . أخرج من جيبه لفافة من الشمع الطلي الذي تـلصق به الصادات ، ولصق قطعة منها فوق النافذة الصغيرة الحامية للسيارة ، ثم أخرج من جيبه « أجرة » حديدية صغيرة مما تستعمل في فك وربط الصواميل ، وضرب بها اللوح الزجاجي الصغير ضربة قوية فتحطم دون صوت ودون أن يتناثر الزجاج في الشارع منتصفاً قطعة الشمع ، ومد يده من خلال الزجاج المحطم وفتح باب السيارة من الداخل وقمرحالساً أمام عجلة القيادة . وانحنى ومد يده خلف لائحة العدادات . والنقط سلك الطارية وسك « الكونتاكت » وأخرج من جيبه قطعة من ورق الشيكولاتة المفضـض وجمع به السلكين مدار موتور السيارة فوراً . . كان يتصرف بسرعة ونخعة كأي لص محترف من لصوص السيارات . .

وتنبه بواب العمارة وجرى إلى السيارة صائحاً :

- بتعمل إيه يا جلع انت ؟ .

وقبل أن يصل البواب إلى السيارة كان اللص قد انطلق بها فأخذ يصيح :

- حرامى .. حرامى !!

وكأن في الشارع صائق تاكسى تطوع وجرى بسيارته يلاحق السيارة المسروقة وهو الآخر يصيح :

- حرامى .. حرامى !!

وتطوعت عدة سيارات أخرى لمتابعة اللص ، وكان الخبر قد أبلغ للبوليس فأطلق سيارة مجهزة بآخر ما وصل إلى البوليس المصرى من أجهزة .

واللص يقود السيارة المسروقة بمهارة عجيبة ويدخل ويخرج بين شوارع مصر الجديدة كأنه في استعراض لسباق السيارات ، ولم تستطع أى سيارة أخرى أن تلحق به ، بل إنه من كثرة معاجاته في اللف والدوران تسبب في تصادم سيارتين من السيارات التي تتبعه تماماً كما يحدث في أفلام السينما الأمريكية .

وبعد أن مضى أكثر من نصف ساعة على المطاردة لاحظ جميع المطاردين أن اللص بدأ يهتئ من سرعة سيارته واشتدت دهشتهم عندما قادمهم إلى الشارع الذي يقع فيه مركز بوليس مصر الجديدة ، وعندما وصل إلى باب المركز كاد يتوقف بالسيارة ، وأحاطت به السيارات المطاردة وأجبرته على التوقف تماماً ، ونزل السائقون من سياراتهم واندفعوا إليه ، ورعاهم بعضهم بأن يعتدى عليه بالضرب ولكهم وحلوا أمامهم شاباً وسياً هادئاً يتسم لهم قترددت الأيدي التي كانت تهم بالضرب ، وبدأوا يكتفون بالصراخ من حوله ، وامتدت يد الشاويش وقضت عليه من كتفه ثم شدته في عنق خارج السيارة ودفعته إلى داخل مركز

البوليس ، وهو مستسلم هادئ لا يقاوم ولا ينطق بكلمة .

وأمام ضابط البوليس رفع الشاويش يده بالتحية وهو يدق بقدمه على الأرض كأنه يطلق زغرودة الفرح وصاح :

- قبضنا عليه يا أفندم .. لص سيارة رشيد !!

ورفع الضابط رأسه من بين أوراقه في تكاسل وملل ، ولكنه ماكاد يلتفت برحه اللص حتى انتهت كل خليجات وجهه وأخذ يطيل النظر إليه كأنه لا يصدق عيبه ، ثم التفت إلى أفراد فريق المطاردة الذين ازدحمتم بهم الغرفة وصاح :

- لا أريد أن أرى أحداً هنا .. يا شاويش .. خذهم ليتطروا في الخارج ..

ودفع الشاويش بكل من في الغرفة إلى الخارج ، ولم يبق إلا الباشجاويش وهو لا يزال قانصاً بيده على كتف اللص ، وقال الضابط :

- انتظري أنت أيضاً في الخارج يا باشجاويش .. أتركه لي ..

وتردد الباشاويش برهة ثم رفع يده بالتحية بلا حماس ولم يدق بقدمه على الأرض وحرص وكله دهشة ساخطة على تصرفات حضرة الضابط ..

ونظر الضابط في رفق إلى اللص وقال في صوت خفيض :

- اسمك ؟

وقال اللص وهو يتململ كأنه لا يريد أن يبقى وحيداً مع حضرة الضابط :

- أشرف ..

وابتسم الضابط وعاد يقول :

- وبقي الاسم ؟ قل .. إلى أعرقك !!

وقال اللص في زهق :

- أشرف عبد الصبور ..

وقال الضابط مبتسماً :

- تقصد أشرف إسماعيل عبد الصبور .

وقال للصر في حدة :

- إن من حق أن أحدد اسمي . . هذا أقل حق لي حتى لو كنت لصاً .

واسمى أشرف عبد الصبور ! !

وقال الضابط وهو لا يزال يتسم :

- لا يهم . . طبعاً أنت لم تسرق السيارة ؟ !

وصرخ المتهم :

- طبعاً سرقها . ما هي السرقة إذا لم تكن هذه سرقة ؟ . إنني أعترف بأنني

سرت . . لا تحاول أن تزور اعترافي . .

ونظر الضابط إليه في دهشة وقال :

- يا أشرف أوجهك أن تهدأ ، كل شيء يمكن إصلاحه .

وصرخ أشرف :

- لا أريد إصلاح شيء . . أريد أن يكون نصيبي هو نصيب غيري . .

القانون . .

وازداد تعجب الضابط ونظر إلى أشرف نظرة حديدة وكأنه ينظر إلى مجنون

ثم قام من وراء مكتبه وهو يصرخ منادياً الباشاويش وقال بمجرد أن دخل

إليه :

- إبقى معه إلى أن أعود . .

ورفع الباشاويش يده وأطلق زعزعة الفرع يقدمه التي يدق بها على الأرض .

وخرج الضابط مسرعاً ودخل إلى مكتب مأمور المركز . . وبعد لحظات عاد

والمأمور يهرول أمامه ونظر إلى أشرف كأنه لا يصدق عينيه ثم قال في حيرة

ممتلئة :

- لماذا يا ابنى . . لماذا لا ترحموا آباءكم من « بلاويكم » ؟

وصرخ أشرف :

أ، سرت . . افتح المحضر واستدع الشهود . .

وقال المأمور في لهجة خطيب الجمعة :

- ولأنك سرت لا يهلك أن تضيق البلد

وقبل أن يرد أشرف حرج المأمور وعاد إلى مكتبه وأخرى عدة اتصالات

ديبلوماسية وبعد مدة نادى الضابط ليأتني إليه في مكتبه ومعه أشرف ، وقال وهو

يتسم لأشرف ابتسامة يتوسل بها إليه حتى لا يتبعه :

اتهيئا يا أشرف اعتبر الموضوع كأن لم يكن . . تستطيع الآن أن تعود

إلى البيت . .

وصرخ أشرف :

- لن أخرج من هنا إلا بأمر النيابة . .

وقال المأمور وهو يشد أنفاسه كأنه يستعيث :

- لا داعي لللباة ولا حتى لمحضر تحقيق فقد ثارل صاحب السيارة عن

دعواه وهو راض عما فعلته . .

وقال أشرف ساحراً :

طبعاً نظير رشوة ؟ .

وقال المأمور :

- لا أعتقد أنها رشوة إنما طبعاً من حقه أن يأخذ حق إصلاح العطب الذي



حدث لسيارته . ولم يعد هناك شهود فقد انصرفوا بعد أن اكتشفوا أنها شقاوة  
شباب . .

وقال أشرف محتداً :

- تقصد شقاوة عيال . . لا يهم اعتبرى كما تريد أن تعتبرى - ولكنك  
لا تستطيع أن تفرح عني حتى لو تبارل صاحب السيارة . . إنها حريمة . . وصاحب  
السيارة ليس إلا مدعياً بالحق المذنب إنما الخصم هو المجتمع . والذي يمر عن  
المجتمع هو القانون والذي يطبق القانون هو النيابة . . ولما أخرج من هنا إلى  
بعد استكمال كل إجراءات التحقيق وإذا رأيت السيارة بعدها أن تطلق سراحى .  
وقال المأمور فى ( قرف ) .

- إنى أرحب بك فى ضيافى وتستطيع أن تبقى هنا كما تريد .

ومال المأمور وهمس فى أذن الضابط وخرج الضابط من الغرفة مسرعاً ، ثم  
مال للمأمور على أوراقه كأن موضوع أشرف الذى لا يزال حالساً أمامه قد انتهى ،  
وقال أشرف فى حق :

- إنك تحل بمسئولياتك . . البوليس يجب أن يكون متحرراً من مراكر  
القوى .

ووضع المأمور رأسه إليه وقال كأنه يلقي عليه درساً .

- إن مسئوليتى هى منع وقوع الجريمة . .

وقال أشرف :

- الجريمة وقعت والسيارة سرقت .

وقال المأمور :

- ليست هذه هى الجريمة التى كنت تقصدها . . الجريمة الأخرى لم تقع

مد وأرجوك . اجلس صامتاً فإن أمامى عملاً كثيراً .

وقد أشرف وهو ينظر إلى المأمور فى غيظ .

صغنى فى رزاة ! !

إن أى مكان هنا يمكن اعتباره زرارة عما فيه مكتبى . وأرجوك . . دعنى

اعمل .

صكت أشرف وقد بدأ يستسلم لليأس . .

والمأمور يدعى أنه عارق فى مراجعة أوراقه بينما يتسلل بعينه بين الحين والآخر  
إلى أشرف كأنه ينتظر منه مفاجأة ، وبعد أكثر من نصف ساعة دخل الضابط  
وهمس فى أذن المأمور ، وانفض المأمور واقفاً وهو يقول لأشرف :

- يا أستاذ أشرف . . إن والدتك تنتظرك فى الخارج . . وأرى أنك توافقنى

على أن تذهب إليها بدلاً من أن تعرضها للدخول إلى مكاتب البوليس . .

وقام أشرف وقال وهو يزم شفثيه فى ( قرف ) :

- سأذهب إليها . .

وخرج من الغرفة دون أن يحيى المأمور أو الضابط ، وللمأمور يحرق ورده  
بأن أن أوصله إلى داخل السيارة التى تنتظره وانحنى إحناءة كبيرة تحية لأمه . .  
وانطلقت السيارة الفخمة وهو جالس بجانب أمه ، وهمت الأم بأن تتكلم

ولكن أشرف قال وهو غارق فى الانهيار :

- دعبنى الآن يا ماما . .

ثم أمسك بيدها وقلها واحتفظ بها فى يده ودموحه تكاد تطفر من عينيه  
كأنه يهم بأن يبكى نفسه . .

قطيلة حياته وهو يعيش هذه المعاناة . . معاناة الابن الذى ولد لأب

ناجح مشهور ويضيق هو وراء هذا النجاح وهذه الشهرة . . ومنذ تنبه وعيه إلى الحياة وهو يجد على الباب رجال البوليس يرفعون له أيديهم « تعظيم سلام » إلى أن بدأ يشبه إلى أن هذا « التعظيم سلام » ليس تعظيماً له إنما هو تعظيم لوالده . هو وحده لا يستحق أي تعظيم . . ومنذ دخل المدارس وهو منته إلى أنه يعامل معاملة خاصة تختلف عن معاملة زملائه الطلبة . . ونظر المدرسة يستدعيه إلى مكتبته بين الحين والآخر ويسأله أسئلة سخيفة وينصحه نصائح تافهة ، ثم يقول له « تحياي لسيد الوالد إبه رجل عظيم » . . وكان يعلم أن كل ما يريده الناظر هو إبلاغ تحياته لوالده ، لا شيء آخر ، ولولا والده لما استدعاه أبداً ولا عرف بوجوده . . والمدرسون أيضاً إنهم يعاملونه كأنهم موظفون عنده وحده . . ويحس أنهم يجاملونه في الدرجات ، ومدرس اللغة العربية يكرر أمام بقية الطلبة في كل مساة تافهة « يا سلام . . إنك سترث والدك في عقريته » أو كلاماً آخر في هذا المعنى . . وحتى الطلبة . . إنهم يضعونه في ركن بعيد عنهم ، ويعيشون معه كأنه ليس منهم ، وعندما يجتمع بهم يلتفتون نحوه كأنهم يتفرون عليه ، وعندما يتكلم يستمعون إليه كما يستمعون لمسرحية نذاع في الراديو . .

وأخذت كل هذه الأحاسيس تتمعد داخل نفسه ، وبدأ يحاول أن يثور عليها . . أن يتحرر من ضغط شخصية والده عليه . . يريد أن تكون له شخصية قائمة بذاتها . . يريد أن يعرفه الناس ويعاملوه على أنه الطالب أشرف ، لا على أنه أشرف بن إسماعيل عبد الصبور . . ومنذ أن كان صغيراً وهو يعتمد أن يهرب من رجال البوليس الواقفين على الباب حتى لا يواجهوه : « تعظيم سلام » ، بل إنه بعد أن ضاق بهم صاح في واحد منهم :

عندما ترى أي أرفع يلك بالسلام . . هذا السلام ليس مخصصاً لي . . يالك أن ترفع يلك بالتحية لي . . فاهم ؟  
وأجاب الشاويش وهو يتسم في تملق :  
يا سلام يا أشرف ييه . . إنك تستحق ألف سلام . . إنك سيدنا وابن  
صدنا . .

ولم يستطع أن يتخلص حتى اليوم من الـ « تعظيم سلام » . .

ودعته العقدة التي يحس بها وهو مع زملائه الطلبة إلى أن أصبح يبدو بينهم كأنه إنسان شاذ . . كان يجلس بينهم في ركن بعيد وهو صامت يباهم يتصاحكون ويهزجون ويلعبون ، ثم فجأة يقوم من بينهم يحمل شاذ لا ينتظرونه . . كان يرتص رقصاً بلدياً وهو يصيح فيهم في لحظة أولاد البلد :  
- ( سق ) انت وهو . . باللا ياجدعان .

ويصفقون وهم ينظرون إليه في دهشة ، ويشعر أنهم يستقلون دمه فيتوقف عن الرقص فجأة - كما بدأه فجأة ويخرج من بينهم مبتعداً وهو صامت .  
تائه مع نفسه كما أنهم تائهون فيه .

وفي مرة كان جالساً بينهم وهم يلعبون أحدهم الآخر باسم الأب وهو مدد وعى وهو يسمح لزملاءه يتلاعبون باسم الأب والأم كنوع من أحاديث مداعبة ورفع الكلمة ، ما عدا هو . . هو وحده الذي لم يلعب أحد من زملائه أباه . . حتى ولا من باب الخطأ . . وكأن أباه شخصية مقدسة يس من حق أحد أن يلعبها أو يتجرأ عليها أو يتخذها موضعاً للمزاح . . فقام بين زملائه وقال وهو يضحك كأنه يعزيم برفع الكلمة بينهم وبينه :  
- وأنا كمان يلعبن أيوي . .

وسكت كل من حوله كأنهم شلوا من هول المفاجأة ، ثم انطلق واحد منهم وكأنه قرر أن ينتهر الفرصة وصرخ في وجه أشرف لاعابه

وانطلق بقية الطلبة يضحكون ويرددون الشاتم على أبيه أشرف ، وهو يحاول أن يضحك معهم ويرد على شاتمهم وهو يحس أنه لا يستطيع أن يحتفظ بصحته لا يستطيع أن يحتمل مزيداً من اللعنات التي تقع على رأس أبيه حتى ولو كانت لعنات على سبيل المداعبة والمزاح . إنه يحب أباه ، ويقدره ، ويعار عليه ، ر حتى على صورته العامة التي تتمثل في احترام الناس له ورهبتهم منه . رغم كل ما يعانيه أشرف من عقد في مواجهة أبيه فهو يحبه ويعار عليه حتى لو ثار ضده . وكل هذا دفعه إلى أن يسكت مرة واحدة داخل حلقة اللعنات والشاتم ، ويسحب ضحكته ، وبدأ يسير متعلداً عنهم ، وهو يسمع أحدهم يقول :

- حان روح في داهية .

ويقول الآخر :

- أنت اللي ابتديت :

ويقول الثالث :

- دى فيها رفت .

ويقول الرابع :

- استعدوا يا اولاد . كلنا حاندخل السجن .

وربما شعر بما سمعه بإحساس من الرضا كأن أباه قد استرد مكانته بين الطلبة ، ولكن العقدة التي يعانيها عادت تتغلب عليه . لماذا يكون أبوه دون بقية الآباء هو الذى يخاف الناس أن يداعبوه باللعنات . وما ذبه هو حتى يوضع

١ - احتياجي لا يختاره بنفسه إنما لمجرد أنه ابن أبيه . . وقد حاول أن يخرج . عن هذا الركن قسماً إلى أن يصادق طلياً كان يعلم أنه ينتهى إلى أدنى المراتب الشعبية ، ويقع في حى الباطنية وراء جامع الأزهر ، وأبوه صاحب دناس حائر صغير ، ووصل بلحاحه في صداقة هذا الطالب إلى أنه ذهب له في بيته داخل حارة الطاش وما كاد يدخل الحارة بعد أن ترك السيارة التي جاء بها في ميدان الأزهر حتى استقبل كأنه زعيم شجى ، فكل أهل الحارة جاءوا ، تفرحون عليه ويصاحبه ، ووالد زميله أخذه من يده وطاف به على دكاكين الحي وهو يقدمه متفانراً :

- انتنا أشرف بيه . . ابن سيادة إسماعيل عبد الصبور . . صاحب ابني في المدرسة . . أمال ابن أكابر .

وبدأ يحس أن زده يلاحقه حتى في أصغر حارة في القاهرة ، بل أحس أنه مرداد تعقيداً وهو بين أساء الطبقة الشعبية . . يحس بمسئولية يريد أن يهرب منها .

مسئولية تمثيل ولده . . علاوة على أنه اكتشف أنه يكلف صديقه غالباً كلما زره . فإن أهله يقيمون شبه وليمة كلما جاء إليهم . إلى أن مال عليه ولد صديقه يوماً وقال كأنه يهيم في أذنه :

- عابرك في خدمة ياسى أشرف . . أصل مأمور الحنة تابعنا وما حدثش عارف يلمه . . يمكن كلمة منك للسيد الولد توقفه عند حله . .

ومضى والد الصديق يروى قصة طويلة لأشرف عن تصرفات المأمور برغم أن أشرف لم يكن أيامها قد تجاوز الثالثة عشرة من عمره ولا يستطيع أن يفهم كثيراً مما يسمعه . . كل ما فهمه أن ليس له قيمة إلا بوالده حتى وهو بعيد في حارة طناش يحيى الباطنية . .

وقال لوالد صديقه :

— حاضر . .

ولم يبلغ والده بشيء لكنه شطب من حياته صداقة هذا الصديق . .  
وظل يحاول إثبات شخصيته بعيداً عن أبيه . . حتى أنه وهو في هذه السن . .  
سن الثالثة عشرة . . أراد أن يثبت لزملائه الطلبة أنه « ولد شقي » ولا يقل عنهم  
تطاولاً على المدرسين ، فاتفق معهم على أن يربط حبلًا رفيعاً في مقعد مدرس  
اللغة العربية . حتى إذا جاء ليجلس عليه شده فسقط المدرس على الأرض . .  
وقام المدرس صارخاً يكيل الشتائم للتلاميذ ويصيح :

— من هو ابن الـ . . . الذي دبره هذه الجريمة ؟ ! !

وقام أشرف وهو يمسك بطرف الخيط في يده :

— أنا يا أستاذ . .

وسكت صراخ المدرس ونظر إلى أشرف في حيرة وتردد :

— معقول يا أشرف . . لا بد أنهم سلطوك وضحكوا عليك . .

وحاول أشرف أن يثبت أنه المسئول ، وأن ينال عقاباً ، ولكن لا أحد يريد  
أن يستسلم لاعترافه . . وأمر الناظر بإجراء تحقيق ، ونام التحقيق .

وأحس زملاؤه بأنهم يستطيعون أن يرتكبوا كل الآثام في حمايته ، وحاولوا  
أن يعرضوه على مؤامرات طلابية أخرى ، ولكنه كان يرفض ، لأنه اكتشف  
أن هذه المؤامرات أو المداعبات لا تحرره من شخصية والده بل تزيد خضوعاً  
لها ، وتزيد شخصيته الخاصة ضياعاً . . لو أنه كان قد عوقب كأي تلميذ عادي  
فربما كرر هذه المداعبات لكنه لم يعاقب لأنه ابن إسماعيل عبد الصبور . .  
فلا أمل . .

ويكرر والعقدة تتضخم في صدره ، وتلف أعصابه ، وتسيطر على عقله ،  
« حس دائماً بأنه ضائع وأنه شهيد أبيه الذي أخذ منه كل شيء . يمكن أن يكون  
ملكاً حاصلاً له . . حتى عندما أحب . . وكان قد التقي بعفاف وهو في الخامسة  
عشرة من عمره . . التي بها صدقة بعيداً عن عائلته وعائلتها . . وهي تعرف أنه  
ابن إسماعيل عبد الصبور ، وهو يعلم أنها ابنة محمود رفعت موظف كبير  
بدرجته مدير عام . . ومع الأيام بدأ يلاحظ أن عفاف تعطيه كل ما يريد وأكثر . .  
إبه يستطيع أن يحادثها بالتليفون كلما أراد ، ويستطيع أن يخرج معها كلما أراد ،  
بل إنه حاول مرة أن يدعوها إلى الخروج بعد الساعة الثامنة ، واحتج بأنه تعب  
ويفكر في الانتحار ، وقالت له عفاف في التليفون :

— انتظر حتى أسأل ماما . .

ووقت ماما على أن تخرج عفاف للقاءه في الليل . وهو دهش . كيف  
« ما من أي أم على أن تترك ابنتها التي لم تتجاوز الثالثة عشرة للقاء ليلاً  
هي عائلة من هذا النوع ؟ . وقد حرص على أن لا يدعوها لبيتها أو يقدمها لأمه .  
إبه يريد أن يتعد بها عن مظهر عائلته . . عن أبيه . . يريد أن يكون بالنسبة لها  
شخصية قائمة بذاتها . . ولكن عفاف تلح عليه أن تقدمه لعائلتها ، وتدعوه إلى  
زيارتها في البيت ، وتغريه قائلة :

— إذا تعرف إليك بابا وماما سهل علينا اللقاء . .

وكان عندما يطلبها بالتليفون ترد عليه الأم أحياناً في ترحاب شديد :

— من . ؟ أشرف ؟ أهلاً يا بني . . دقيقة واحدة لأدعوك عفاف . .

وكان يتعجب لهذا الترحاب الكبير . . هل يطمعون في زواجه من عفاف . .  
ولكنه لا يزال في الخامسة عشرة ، ولم يصل إلى التوجيهية بعد . . لم يحن الوقت

لمجرد التفكير في الزواج . . ورغم تردده لم يستطع إلا أن يستسلم للإلحاح عفاف  
ودفع إلى لقاء عائلته كأنه يستسلم لحكم الإعدام فإن ما حدث حتى الآن بينه  
وبنها يجب أن يقيه بعيداً عن عائلته . . فكيف يواحه أباه أو أخاه ؟ ١ ٩  
وذهب . .

واستقبله بترحاب كبير وفي شبه وليمة رسمية ، وأخذوا يدعون الجيران  
ليفرحوا عليه ويتعرفوا به . . نفس ما حدث له مع صديقه في حارة الطناش  
بحي اللطانية . . واحتمل . . ولا يزال يأخذ من عفاف ما يريد وأكثر . . إلى  
أن كان هناك يوم استدعاه فيه والدها إلى جلسة خاصة وقال وهو يرفع من درجة  
حنانه وجهه له :

- إلى لم أتعرف بالسيد الوالد حتى اليوم . . ربما لم تأت المناسبة بعد . .  
ولكني أقدر أن هناك تفاصيل هامة كثيرة لا تصل إليه . . لذلك أعددت مذكرة . .  
أقصد خطأ . . أعتقد أنه يجب أن يصل إليه . . والواقع أني أستحق درجة وكيل  
وزارة منذ سنتين ولكن ما يجري في الوزارة بما لا يعرفه السيد الوالد كان السبب  
في أنهم يخطئون . .

وأخذ السيد محمود رفعت المدير العام يروي تفاصيل كثيرة دون أن يقدر أن  
أشرف وهو في الخامسة عشرة من عمره لا يمكن أن يعي شيئاً مما يسمعه . . وقال  
أشرف :

- حاضر .

وأخذ المذكرة على أن يسلمها إلى أبيه ، وقبل أن يصل إلى آخر درجات سلم  
الحروح كان يمزق فيها . . إنه يرفض أن تكون كل قيمته هو أنه ابن إسماعيل

في الصور . . وهذه العائلة تخفى به كل هذا الاحتفاء لأنه ابن إسماعيل عبد  
الصور . . الذي يستطيع أن يمنح الترقية إلى درجة وكيل وزارة . . وربما كانت  
عذراً لا تحب فيه إلا أنه ابن إسماعيل عبد الصور . . ومضت فترة كان أشرف  
يكذب فيها ويدعي أنه سلم المذكرة إلى أبيه ، ولكنه لم يستطع أن يستمر في الكذب . .  
فاستعد ويهرب من عفاف ، إلى أن شطها من حياته ، وأقنع نفسه أنه لم يكن  
عليها وهي لم تكن تريده ولكنها كانت تريد أباه إسماعيل عبد الصور .

والعقدة التي يعانها تشدد به وتزيد ضياءاً . . إنه لا يستطيع أن يساهم  
في أي نشاط سياسي ، فشيح أبيه يسيطر على كل تحرك له . . لو اشترك في  
حركة تؤيد سياسة أبيه فهو منافق لا يفكر بعقليته ولكن بعقيدة أبيه وإذا قال  
أنه معارصاً لرأي أبيه فإن المعارضة ترحب به لا لأنه رأى له قيمته ولكن لأنه  
رأى لاس إسماعيل عبد الصور ويمكن استغلال الابن عند أبيه . . بل إنه  
كتب يوماً مقالاً سياسياً وسلمه بيده إلى رئيس تحرير الصحيفة وما كد يعود  
إلى البيت ويلتقي بأبيه حتى قال له في فجأة الهادئة العاقلة :

- دعك من المقالات السياسية الآن يا أشرف . . إن ما تكتبه سينسبه  
الناس إلى . . فإذا صممت فلسفك أولاً على ما ينشر وما لا ينشر . .

إن أباه على حق . . هذه هي الحقيقة . . كل ما يكتبه سينسب إلى أبيه . .  
ولكن الحقيقة التي لا يريد أن يعترف بها أبوه هي أنه ضحية . . شهيد . . ما دونه  
حتى لا يكون من حقه رأى خاص به .

وقد حاول بعد ذلك كثيراً أن يتفوق في شيء ينسب إليه وحده ،  
حاول أن يتفوق في الرياضة . . لعب التنس . . والشيش . . وأيضاً  
المصارعة والملاكمة . . لكنه لم يستطع أن يتفوق في شيء . . وكانوا ينصرون إليه

وهو يلعب على أنه ابن ذوات يتسلى . . ابن إسماعيل عبد الصبور . .

وحاول أن يتفوق في دراسته . . وقد تفوق فعلاً ولكن تفوقه ضاع في زحمة الإشاعات التي تثار حوله بعد كل امتحان . . إنهم يقولون إنه يحصل على كل الأسئلة قبل الامتحان . . ويقولون إنه يصح إشارة خاصة على ورقة الإجابة حتى يمررها للمصحح فيعطيه الدرجة القصوى . . وعندما التحق أخيراً بكلية الهندسة قيل إنه أستثنى من شرط المجموع . .

وبعد دائماً . . أشرف بن إسماعيل عبد الصبور .

أشرف وحده لا يساوى شيئاً . .

إلى أن أدت به عقده إلى التمكيز في ارتكاب جريمة . . سرقة سيارة . . ربما تأكد الناس بعدها أن شخصيته تختلف عن شخصية أبيه . .

\* \* \*

ووقفت السيارة الفخمة أمام باب البيت ، وفتح السائق الباب ، وضغطت

أمه على يده وقالت في توسل :

- أشرف . . من أجل خاطري . . تحمل أباك . .

وهز رأسه بطمئنها في صمت ، ودخل البيت وراها ، ولم يتجه إلى غرفه هرباً من لقاء أبيه ، ولكنه اتجه إلى الغرفة التي يعتقد أن أباه ينتظره فيها . . ووقف أمامه صامتاً وهو ينظر إليه بكلتا عينيه كأنه يريد أن يؤكد له أنه ليس نادماً على ما فعل ولا خجلاً . . وأبوه ينظر إليه في حيرة . . ليست نظرة ثورة على هذا الابن ولا حتى نظرة غضب ولكنها نظرة حيرة وألم عاطفي كأنه ينظر بها إلى ابنه المريض . . وقال إسماعيل عبد الصبور في لهجة اليائس :

- ما هذا الذي فعلته يا ابني ؟

قال أشرف في جمود :

- سرقت . .

قال الأب في تأفف :

- وهل كنت في حاجة إلى السرقة ؟

قال أشرف ولمجته لا مخلو من السخرية ؟ :

- طبعاً لا . . ابن إسماعيل عبد الصبور لا يمكن أن ينقصه شيء حتى يسرق . .

إشارة واحدة من أصبعي تجعل سيارات الدولة تحت أمري . . ولكنني سرقت

لإجراء تجربة اجتماعية . . كنت أريد أن أكتشف هل أنا بنى آدم أم أبنى مخلوق

من نوع آخر . . نوع من الملائكة أو من الشياطين . .

ورم عبد الصبور شفته امتعاضاً ثم شد نفسه كأنه يتحامل ويستعين

بالصبر وقال :

- وماذا اكتشفت ؟

قال أشرف وابتهامته الساخرة تتسع :

- طبعاً لا يمكن أن أكون مجرد بنى آدم . . أنا ابن إسماعيل عبد الصبور . .

ابن البنى آدم إذا سرق يقبض عليه ويقدم للمحاكمة ويدخل السجن . . أما

النوع الآخر من المخلوقات الذي أنا منهم فإنه إذا سرق فإن رجال البوليس

يصطفون قرة قول شرف تحية له ، والنيابة تتحنى إحتراماً ، والحكام تعتبر

نفسها في عطلة رسمية كأنها في يوم عيد وطني . .

وقال عبد الصبور وقد بدا كأنه قرر أن يكون مازحاً :

- اسمع يا ابني و . . .

وصرخ أشرف مقاطعاً :



عبد الصبور باللعب . .

وقال الأب وهو يقترب من ابنه ويمد يده يربت بها على كتفه :

- تسافر إلى الخارج . . وتم تعليمك هناك بعيداً عن الناس هنا . .

وابتسم أشرف في مرارة قائلاً :

- حتى في الخارج . . عندما كنت أسافر في الصيف كنت أبقي حبيساً

داخل شخصيتك ، وعندما كنت أذهب إلى أحد الكاباريات لأرقص كانت

السفارة كلها تلمحنني وترقص معي . .

وقال الأب في رجاء :

- إن ملاحقة شخصية الأب لشخصية ابنه لا يمكن أن تعوقه عن بناء

نفسه و . .

وقاطعه أشرف وهو يهب واقفاً :

- أرجوك يا بابا . . دعني أفكر لنفسى . . أنى سأحاول أن أعيش بعيداً

عنك ولكن لا تسألني أين ولا كيف . . وثق انى لن أكرر خطئى . . لن أرتكب

جريمة تمسك . . لن أفكر في مستقبل على حساب الماضى . .

وقال الأب وابتسامة ضعيفة بين شفتيه :

- أنا لست الماضى يا أشرف . .

فقال أشرف :

- أريد أن أحس بك كماض حتى أحدد مستقبلى . .

وهز الأب رأسه في أسف قائلاً :

- لقد تركتك حراً دائماً . . المهم لا تضطرنى أن أنسى للناس حرصى على

الحق حتى لو ضحيت بانى .

قال أشرف :

- لن يحدث . . فقط دعنى وحدى . .

قال الأب :

- لا تحرمنى من طبيعة الأب . . أريد أن أطمئن دائماً عليك .

وقال أشرف :

- سأطمئن ماما دائماً . . أرجوك . . اكتف بماما للاطمئنان على ولا تعتمد

على أى وسيلة أخرى . .

ونظر إسماعيل عبد الصبور إلى ابنه طويلاً ، وقال وهو يشهد كأنه في موقف

وداع :

- إنها تجربة سأتركك لها . .



كلان القرار الذى اخذه هو أن يتعد عن أبيه . .

ولكنه لا يدري أين يتعد .

وكان القرار هو أن يخلق لنفسه شخصية جديدة قائمة بذاتها منفصلة عن شخصية أبيه الرجل الناجح المشهور .

ولكنه لا يدري كيف تكون هذه الشخصية الجديدة . .

وفكر أن يهاجر إلى أمريكا . . لا . . أمريكا مزدهرة بالعرب ووالده على صلات قوية بمراكز القوى هناك . . ولن يستطيع أن يكون شخصية مفصلة .

فهاجر إلى أستراليا . . ولكنه كى يهاجر يجب أن يقدم أوراقه إلى مكاتب الهجرة .

أى يكشف نفسه . . أشرف بن إسماعيل عبد الصبور . . وأى سفارة يقدم لها أوراقه مستحصل بوالده قوياً . . ثم ماذا يعتمد عليه في هجرته . . إنه لم يتم

تعليمه . . لا يزال في السنة الأولى بكلية الهندسة . . ولا يجيد أى عمل . . ولم يتعلم بعد الاحتراف ولا حتى احتراف أن يكون سائق تاكسى . . إنه في أى مكان

في العالم مضطرب أن يبقى معتمداً على شخصية أبيه . . على نفوذ أبيه أو على أموال أبيه . . إنه حتى قيل أن يخرج من البيت أخذ من أمه مائة جنيه . . لم يخرج

إلا وشخصية أبيه في جيبه . . الشخصية التى تستطيع أن تعطي . . وربما كان الأفضل أن يستسلم لرأى أبيه ويقرر أن يسافر ليتم تعليمه في الخارج على حساب

الدولة أو على حساب أبيه . . ولكن لا . . إن ما يعذبه ليس وجوده في مصر إنما وجوده داخل شخصية أبيه سواء في مصر أو خارج مصر . . ثم إنه لا يريد

أن يترك تعليمه . . إنه يستطيع أن ينجح في كلية الهندسة ويحصل على المكالوريوس

بسهولة . . ولكن الحياة لم تعد تعتمد على الشهادات الجامعية . . الشهادة قد يكون شرطاً للحصول على وظيفة ولكنها ليست شرطاً للنجاح في الحياة . . معظم

الناحسين في الدول المتقدمة لا يحملون شهادات جامعية . . وهو يحس أنه ملك إمكانيات يمكن أن تحقق له النجاح حتى لو بدأ كبائع ترصن .

ربما كان محنواً . .

وتسم بينه وبين نفسه ابتسامة حزينة . . إن عليه أن يكشف أيضاً هل هو محبوب أم عقرى . .

وقرر أن يشار إلى شاطئ العمى . . وحس في الشتاء والشاطئ خال يستطيع أن غشي فيه من شخصية والده ويترك نفسه هناك لهكرة إلى أن يقرر مصيره .

وقد احتار شاطئ العمى لأنه منذ سنوات شبابه الأولى تعود أن يهرب إليه في سن لصيف بعيداً عن مجتمع أبيه الذى كان يحتل شاطئ المتزة حيث أعس

هذا المجتمع - أنه الوريث الشرعى لأستقرائية العائلة المالكة . .

وفي العمى استأجر بيتاً صغيراً على شاطئ « يسكى » لا يعرف صاحبه .

بعد استأجره من الحفير ، وربما كان الحفير يحتفظ بقيمة الإيجار لنفسه لأنه

ساحل حلاً في تقديرها عشرون حنياً في الشهر . بيت مؤسس مفروش وصحك . . إن الخضر حارس ومن حقه أن يطبق نفس لوائح هيئة الحراسات

التي فرضت على بيوت الناس . .

وبعد اليوم الأول قرر أن يطن شعر رأسه وبقته لينتقى . . لا يمكن أن يتصور

أن هذا الشاب الذى أطلق شعر رأسه حتى كتفيه وأطلق دفته وهدبها على

الطرز المودرن يمكن أن يكون ابن إسماعيل عبد الصبور . . إن ابن إسماعيل

عبد الصبور لا يمكن أن يكون كقبة الشبان .. إنه نوع آخر .. صنف آخر ..  
 واتسم في فرح وأطلاق .. إنه منذ سنوات وهو يتمنى فضلاً أن يطلق شعر رأسه ..  
 كان مقتنعاً أن إطلاق الشعر هو نوع من إثبات شخصية الجيل الجديد ..  
 وكل جيل من حقه إثبات شخصيته وفرض مزاجه .. وقد قرأ أن الجيل السابق ..  
 جيل والده .. عاش أيضاً في تقليبة يرفضها الجيل الذي سبقه .. تقليبة  
 البطلونات الواسعة التي كانت تسمى شارلستون ، وتقليبة إلصاق شعر الرأس  
 بدهن « البريانتين » و « العازلين » ، وكان الجيل الأسبق يتهمهم بالخنوة والميوعة  
 وأنهم ليسوا رجالاً .. من يدرى ربما كان أبوه قد لئس البطلونات الشارلستون ودهن  
 شعر رأسه بالبريانتين ، ولكن كل جيل ينسى شانه بمجرد أن يتعداه إلى الشيخوخة ..  
 ولكن الواقع أن أباه لم يحذره أبداً من إطلاق شعر رأسه وذقه إنما هو نفسه كان  
 مقيداً بشخصية أبيه إلى حد أنه كان يحرم على نفسه أن ينطلق مع تقاليع الشباب ..  
 وربما كان أول ما بدأ يحس به من مسئولية كاملة هي مسئولية عن نفسه وعن  
 حياته العادية .. إنها المرة الأولى التي يعيش فيها وحيداً .. وهو المسئول عن إعداد  
 إفطاره وعدائه وعشائه ، وتظيف البيت وإعداد فراشه وغسل ثيابه .. وقد احتار  
 أمام مطالب صعبة لم يكن يحس من قبل بأهيتها ، وكان بضحك ويسعى إلى  
 مطالبه كأنه كريستوف كولوموس يسعى إلى اكتشاف عالم جديد .. وعندما  
 تشدد به الحيرة كان يلجأ إلى الخفير وزوجة الحجير ، ولم يحاول أبداً أن يكون له  
 خادم .. إنه يريد أن يكون نفسه .. ولكنه يفتح عينيه مفكراً في مصيره .. ويسعى  
 إلى مطالب حياته اليومية مفكراً .. ويخرج إلى الشاطئ يجري ويسبح وهو يفكر ..  
 وكان يترك العجمي أحياناً في الليل وبعد أن طال شعر رأسه ويتجول في حي المكس  
 أو يصل إلى حي محرم بك في الإسكندرية .. دائماً على قدميه أو في أتوبيس

وأحياناً في تانكي ، فقد كان من بين القرارات التي اتخذها ألا يأخذ سيارة من  
 ست أبيه .. ويتناول العشاء في مطعم شعبي وهو مطمئن إلى أن أحداً لن يعرفه  
 ولن يكتشفه ، وعلى كل حال فهو لم يكن معروفًا خارج مجتمع أبيه ويجتمع  
 زملائه في المدرسة أو الجامعة ، فلم تكن صورته تنشر في الصحف ، ولم يكن  
 قد قام بعمل يلتفت بظر الناس إليه .. وهو دائماً يفكر .. وعندما يريد أن  
 يستريح من التفكير يقرأ .. وكان يختار كتباً متعددة الموضوعات .. لا يستقر  
 على موضوع واحد .. وكان يحيد اللغة الإنجليزية ، ويخطر على باله مرة أنه يمكن  
 أن يكون عالماً فلكياً فيشتري كتاباً في الفلك ولا يتم قراءته .. وأحياناً ينجح إليه  
 أن في داخله نزعة إلى الأدب فيقرأ في القصص .. أو في التاريخ .. أو في  
 الهندسة الميكانيكية .. ولكنه لا يتم كتاباً أنداً .. والجديد الذي طرأ عليه أنه  
 بدأ يقرأ إعلانات الوظائف الخالية التي تنشر في الصحف .. كان من بين  
 ما يخطر على باله أن يبدأ مصيره بوظيفة صغيرة على أن يبقى مجهولاً لا يعرف أحد  
 سر أبيه ..

وكان يحرص على أن يتصل بوالده بالتليفون مرة كل أسبوع ليطمئنها ،  
 ووالده تستمع إليه في فرحة ، وأيضاً في استسلام .. فهي لا تسأله عن أكثر  
 مما يريد أن يقوله لها .. تخاف إن سألت أن يهرب منها هي أيضاً كما هرب من أبيه ..  
 وكانت تعلم أنه يقيم في الإسكندرية ولكنه لم يقل لها في أي مكان من الإسكندرية ،  
 ولم تسأله .. يكفي أنه يطمئنها على نفسه ، وكانت كل مرة تعبر عن لفتها إليه  
 أن تسأله في نهاية كل مكالة :

— ألا تريد شيئاً يا أشرف ..

ويرد في صوت مرح متعائل :

- أبدأ يا ماما ..

وقد مضى حوالى شهر على غيبتها ، والمائة جنيه التى خرج بها على وشك أن تنسى .. وهى معجزة فى تقدير أمه أن يعيش كل هذه الأيام بمائة جنيه فقط . وتصويري أنه وجد عملاً يتكسب منه أو رعا يعيش فى رعاية بعض أصدقائه .. ودائماً قلقة كيف يستطيع أن يعيش بمائة جنيه فقط . ودائماً تحاف أن تسأله .. إن ابنها ليس طبيعياً وقد يثيره السؤال ..

ولم يكن أشرف يتعمد التوفير . ولم يتعمد أيضاً النزول عن مستوى الحياة التى كان يعيشها والتى لا يمكن أن تكفيها مائة جنيه خلال شهر .. ولكن هذه هى الحياة التى يعيشها دون تعبد ولا احتياج فيها لأكثر مما يتفق .. ولكن المائة جنيه انتهت .. والخفير فى انتظار العشرين حينها قيمة الإيجار .. ليس أمامه إلا أن يلجأ إلى أمه .. ولكن كيف يلتقى بها لباخذ منها ما يريد .. ووضع الخطة .. سيطلب منها أن تأتى إلى الإسكندرية ويقم فى بيتهم هناك .. ويقالها خارج البيت حتى لا يكشفه العسكرى الواقف على الباب .. يقالها فى المساء وفى سيارة تاكسى حتى لا يعرف أحدان ابن إسماعيل عبد الصبور قد أطلق شعر رأسه وذقنه .. لا .. لن يقالها فى الطريق .. داخل حدائق المتنزه .. واستقر على الخطة وقال لأمه فى التليفون وهى تسأله :

- ألا تريد شيئاً يا أشرف ؟

وقال ضاحكاً :

- أفلس يا ماما .. أفلس قل أن أصل إلى رأى ..

وقالت فى ذعر :

- أطلب يا أشرف .. اطلب .. كم تحتاج يا حبيبى ..

وأصر على أنه لا يريد أكثر من مائة جنيه أخرى ، وحدد لها خطة اللقاء ،

وسلمت للخطة بلا مناقشة .. إنها على الأقل سترى بها الوحيد

وهذا . بين أشجار مدينة المتنزه . وقت أمامه تنظر إلى شعره الطويل

ودعه لمهلبية نظرات حائرة كأنها تبحث عن ابنها الذى تعرفه . ثم ألقت نفسها

بوس صدره تكى ، وقالت من حلال دموعها كأنها تحاف أن تعصب بدموعها :

- إلى أبكى قرحاً يا أشرف .. أوحشتنى يا ابنى ..

وهو يقلها فى كل مكان من وجهها ويرفع يدها ويقبلها .. وهى تنظر إلى

شعره الطويل وتضحك صيحة خيفة وتشد خصية منه وتقلها ، ثم تمسح

بأصابعها فى ذقنه قائلة :

- هذه الذقن يجعل من أمك امرأة عجوزاً .

ويتضاحكجان .. ويسيران تحت الأشجار كأنهما عاشقان .. ويروى لها

كل حياته . أين يعيش وكيف .. وتضحك حتى تحق حسرتها وجزعها عليه ..

وتسأله فى تردد خشية أن يفسر تساؤلها كأنه لوم :

هل أنت سعيد بهذه الحياة ..

وقال ضاحكاً :

- على الأقل أصبحت لا أستطيع أن أنب شيئاً مما يصابقنى إلى أبى ..

فأنا المسئول وحيدى عن نفسى .. وكل ما يقضى هو أنت ..

واستمر لقاءهما طويلاً ، وربما تعمدت الأم أن تطيل فيه لعله يرضى فى

النهاية أن يعود معها إلى البيت .. لقد تجاوز الليل منتصفه وقد لا يرضى أن

تعود أمه وحيدة .. ولكنه تركها تعود وحدها وقالت وهو يصحبها إلى قرب سيارتها

لأنى جاءت بها وهى تقودها بنفسها تنفيذاً للخطة التى وضعها :

قال كأنه يتهمها بالغباء :

- طبعاً أستطيع أن أعرف كل شيء . .

قالت :

- ولماذا لم تقل لى . .

قال :

- فضلت أن تمرق منه هو . . إنها إحدى وسائل العلاج النفساني . .

أن يتأكد من أنه أصبح أقوى منى إلى حد أنى لا أعرف مكانه . . وقد خشيت

أن يعرف منك أنى أعرف . . أعرف كل شيء . .

وتنهدت فى ألم وقالت فى يأس :

- لعلك تكتشف لى علاجاً أنا الأخرى . .

\*\*\*

وفى المجمعى . . فى يوم من أيام الشتاء والشاطئ يكاد يكون خالياً من

الاس تعرف أشرف إلى ديتوس وعائلته . . إنها عائلة يونانية نقيم فى الإسكندرية

وتملك بيتاً فى المجمعى قريباً من البيت الذى استأجره أشرف ، تقضى فيه

عادة إجازة نهاية الأسبوع . . يومى السبت والأحد . . وكان أشرف جالساً

أمام بيته ينظر إليهم من بعيد . . ويستمع وهو يتبع صياحهم ورقصاتهم . إن

عدهم كبير . . شيوخ وشبان وأطفال . . وكانت استامته تنبض بالحسرة

على نفسه . . إنه لم يعيش أبداً مثل هذه الحياة العائلية المرحية . . ولم يجرب

إجازة نهاية الأسبوع . . الخميس والجمعة . . إن عائلته فى يوم الجمعة

تعودت أن يهرب كل واحد فيها من الآخر . . وأبوه يصبح يوماً ودمه أنقل من

أى يوم آخر ، كأنه لا يحاول أن يستريح من متاعب الأسبوع الذى مضى ولكنه

- هل أراك غداً . .

قال وهو يسحب ابتسامته ويبدو جاداً :

- لا . .

قالت فى استجداء :

- إنى سأبقى بضعة أيام فى الإسكندرية . .

قال وهو أشد حزماً :

- أرجوك يا ماما . . عودى غداً إلى أبى . .

قالت ودموعها تكاد تنفجر :

- ولكنى لم أشع منك . .

قال :

- لتعود . . إنها حياة جديدة . . لا تضطربنى أن أختفى فى بلد آخر .

واحتضنها بسرعة وقلها ، ثم تركها مبتعداً وجرى ووده أنوبس وتعلق به . .

ودخلت الأم إلى سيارتها وألقت رأسها فوق عجلة القيادة وبكت . .

وعادت إلى القاهرة فى اليوم التالى إطاعة لأمر أشرف وحتى لا يفر إلى بلد

لا تعرفه ، وعندما التقت بزوجها إسماعيل عبد الصبور قالت وهى تحاول أن

تغلب بفرحتها على حسرتها :

- عرفت أين يقيم أشرف . . إنه فى المجمعى . .

وقال إسماعيل عبد الصبور فى برود :

- أعرف . .

وقالت فى دهشة :

كيف عرفت ؟

يجمعها فوق رأسه . .

وخرج دينوس من بين الشلة واقترب من أشرف وقال وهو يطق بالعربي  
في لهجة تتراقص فيها الموسيقى اليونانية :

- من فضلك . . هل تعرف أحداً نستأجر منه أنبوبة بوتاجاز . . اكتشفنا  
أن الأنبوبة عندنا فارغة . .

وقال أشرف :

- إن الخفير يعرف كل شيء هنا . .

وقال دينوس :

- إذن لأبدأ البحث عن الحفير . . شكراً . .

وقبل أن يتعد استوقفه أشرف قائلاً :

- تستطيع أن تستعمل البوتاجاز الذي عندي . . إنني لست في حاجة إليه  
اليوم . . والخفير قد لا يجده الآن . .

وتبادلا كلمات سريعة ثم دخل دينوس مع أشرف إلى المطبخ وحملوا  
أسبورة البوتاجاز ، كل منهما من ناحية ، وعادا بها إلى البيت الآخر . .  
واسقطتها العائلة بالتهليل المرح ، وعرف واحد منهم على « البازوكا » لحن السلام  
الملكي القديم تحية لأنبوبة البوتاجاز . . ووقف أشرف بينهم صاحكاً حائراً . .  
إلى أن تقدم إليه الرجل الكبير . لعله الأب . . يقدم له كأساً من سيد الريتسينا  
صائحاً :

- في صحة البوتاجاز . . وفي صحتك .

وشرب الكأس ضاحكاً ، وفي لحظات أحس كأنه واحد منهم . . واللغة  
اليونانية تملأ أذنيه . . كلهم يتكلمون في وقت واحد ، وكل منهم لا يكف عن

السلام بدأ . . ويتبهن إلى وحوده بينهم فيطلقون نضع كلمات بالعربية ثم

وهو بسرعة إلى إطلاق قدائف يونانية . . إن اللهجة الحريكية أشبه بقذائف  
البحر . . ويحاول أن يلتقط أسماء كل منهم . . دينوس . . ماريوت . . بابادولو

إلى . . ماريوتس . . وأسماء النبات . . صوفياس . . جوانا . . ماريأ . .  
إلى . . كانيا . . إنه يحس وسط كل هؤلاء كأنه طار بعيداً عن مصر . .

بعداً عن أبيه . . إنه الآن في أثينا . . وعيناه تطوفان بشوارع أثينا ثم تتوقفان  
مربلاً عند كاتيا . . شيء في دجحه يشده إليها . . حيل إليه أنها أجمل بنت  
لعائلة . . وأهداهن . . على الأقل إنها أقل البيات ثرثرة . . والجميع في حاجة  
دائمة إليها . . كانيا . . كانيا . . كانيا . . وهو لا يدري ماذا يطلون منها ولكنها  
تتحرك دائماً . . والتفت إليها مرة فوجدتها هي الأخرى تنظر إليه من بعيد . .  
وتلقت عينها بعينه وبينهما ابتسامة .

وتخرجوا جميعاً إلى الشاطئ يلعبون الكرة ، ويتساقون ، ويفقر أحدهم  
فوق الآخر ، ويتحدون أحدهم الآخر من مهم يقبل أن ينزل البحر في عز البرد . .  
هنا . . وقبل أشرف الرهان ونزل إلى البحر وخرج وهو يقاوم وعشته . . وكانت  
مسمة الزهد أن تسقيه كل فتاة من العائلة كأساً من الريتسينا . . وصاحت  
ديا . . بينهم بكلمات كثيرة حريكية لم يفهم منها شيئاً ، ثم تقدمت إليه  
تحمّل كأساً وقالت في لغة عربية لمة تتعثر كلماتها فوق لسانها حتى اضطربت  
أن تقصها إلى اللغة الإنجليزية :

- أحاف عليك أن تسكر . . لاشك أنك لست متعوداً على شرب  
الريتسينا . . كأس واحدة تكفي . . كأسى . .  
وشرب الكأس وقال ضاحكاً :

- أحس كائى عندما ولدت أرضعوى ريتينا . .

وضحكك وقالت كأنها أمه التى أرضعته :

- قم نلعب المراكى حتى تدفأ . .

وقام يلعب معها المراكى والجميع يهللون من حولهم . . براو أشرف .

أشرف نرجوك لا تهزم كاتيا . . وكان قد قدم نفسه إليهم باسم أشرف إسماعيل ،

ولم يتم بقية الاسم كأنه يدارى عورته . . وترك كاتيا تغسه . . أو هكذا أفعته ،

ولكن الواقع أنها غلبته . .

ولعب معهم حول أطباق طعام الغذاء . . وعرف أن الكباب الجريكى

اسمه سوفلاكى . . وأحس أن أطمع سلاطة دافها هى السلاطة الجريكى التى

يضاف إليها الجبن . .

وفى العصر . . والجميع فى راحة وقد سكنت طلقات المثلويز الجريكية .

كان نينوس ممدداً بجانب أشرف على الشاطئ يروى له قصة عائلته . . أهم

كلهم ولدوا فى مصر . . منذ أيام أجدادهم وهم فى مصر . . وكان أبوه وعمه

يعملان فى البورصة ويديران شركة كبيرة لأعمال التصدير والاستيراد ، ويمثلان

شركات للقل البحرى . . ثم فى عام ١٩٦٠ شملهم التأميم صودر كل

ما يملكون . . واضطروا إلى الهجرة إلى اليونان ما عدا العم ، ، فقد أصر على

أن ينهى حياته فى مصر ويستسلم لضياغ أمواله واكتفى بأن أصبح شريكاً لصديق

يونانى يملك مقهى ومطعماً فى الإسكندرية قريباً من محطة الرمل . . والذين

عادوا إلى أثينا أحسوا أنهم غرباء هناك حتى الشباب منهم . . لقد نجحوا فى أعمال

كثيرة ضخمة هناك ولكنهم دائماً غرباء ، وأهل أثينا أنعمهم يعتبرون الجريك

الوافدين من مصر غرباء ، بل يحاربونهم ويحاولون قطع أرزاقهم ، وبما أن

حرث مصر هم أمهر وأرقى من حريك اليونان أنفسهم ، على الأقل يتميزون

بإجادة اللغات الأجنبية التى أصبح العمل فى اليونان يحتاج إليها احتياجاً أساسياً ،

فى حين أن عدد الذين يجيدون اللغات هناك لا يكتفى . .

واستطرد نينوس يروى القصة . . إنهم برغم نجاحهم فى بلادهم قرروا

العودة إلى مصر بمجرد أن شعروا بالأطمئنان . . وعاد معظمهم لايظالوا

تمسكاتهم التى ضاعت منهم ولكن لبدأوا العمل فيها من جديد . .

وضحك نينوس قائلاً :

- هل تعلم ما هو مشروعتنا الجديد . . إنشاء مطعم ومقهى جديد . .

مصمم كبير فخم من المطاعم السياحية العالمية . . إن عمى بعد أن اشترك

فى إدارة المقهى الصغير أصبح يؤمن بأن المقاهى والمطاعم أكثر ربحاً من الشركات

العالية . . -

وقال أشرف فى تردد :

- وكاتيا هل ولدت فى مصر . . إن لغتها العربية ضعيفة .

وقال نينوس وهو ينظر إليه كأنه يفهمه :

كاتيا لم تكن قد تجاوزت عاماً واحداً من عمرها عندما أخذناها إلى

ثينا . . وبرغم ذلك فقد كبرت وكأنا تعيش فى مصر . . إن مصر فى دمتا . .

والأمكار تنصارب فى رأس أشرف كأنه وجد الطريق الذى يحدد من خلاله

مصيره . . كأنه هو الآخر مثل باقي أفراد العائلة عاد إلى مصر بعد أن ولد فيها

وغاب عنها طويلاً . . ولم يخص من أفكاره إلا عندما بدأ القروب وبدأت العائلة

تعود إلى نشاطها ومرحها . . وسهر معهم على نضامات البوزك . . يسمع أعلى

لبوزوكا ، ويحاول تقليد رقصات الكلاماتيانوس والسيرتاكى والكاسيو . .

ويرقب كل شيء كأنه قرر أن يتعلم كل شيء .. أن يصبح جريكياً .. وكانت  
ترقص معه وتعلمه خطوات الرقصات اليونانية ونضجك ، ودائماً تعامله كأنها  
مسئولة عنه .. كأنها أكبر منه .. إنه حائر فيها .. ولا حتى ابتسامته تعطيها له  
لنشججه عليها . إما ابتساماتها كلها كأنه الأخ الأصغر أو كأنه تلميذ يتعلم  
الحياة ..

وبرغم أن تينوس روى قصته لأشرف فهو لم يحاول أن يسأل أشرف عن  
أى قصة .. لم يحاول حتى أن يسأله من هو .. ربما لأنه حتى الآن لم يكن يهيم  
أن يعرف ..

وعادت العائلة كلها إلى الإسكندرية في مساء الأحد ..

ولم يحتمل وحده أكثر من يومين . لم تعد أفكاره ولا قراءاته ولا إحساسه  
بمسئوليته عن نفسه يمكن أن تشغله .. وانصل تينوس ودعاه إلى العشاء في مطعم  
المكس .. هو وماريا وكاتيا .. ثم انتظرهم في شوق لقضاء إجازة نهاية الأسبوع  
في العجمي .. ثم أصبح يزور تينوس في بيته في الإسكندرية . لم يعد حريصاً  
كل هذا الحرص على الاختفاء في العجمي . يكنى شعره الطويل ودقته لإخفاء  
شخصيته .. وكانتيا تعبر عن مسؤوليتها عنه أكثر وأكثر .. إنها أيضاً تشرف على  
إدارة البيت الذى يستأجره وتتعهد أن تترك له كل مساء أحد كتبه .. صنع  
الجن التي يحبها وعداداً من زجاجات النبيذ التي تكفيه بقية الأسبوع ..  
لم يعد يستطيع أن يستغنى عن النبيذ مع طعامه كأي واحد من أفراد الشعب  
اليوناني ..

ولم تعد المانة جيه تكفيه . ثم أحس حاجته إلى سيارة . ولم يقاوم حاجته ،  
طويلاً . اتصل بأمه وجاءته في لفة والتقت به في حدائق المتنزه طبقاً لنفس

الحكمة السابقة وروى لها عن صداقته المذبذبة بالعائلة اليونانية ، وأخذ منها  
ما تبقى جنيه لا مائة .. وعندما همت أن تودعه وتركب السيارة الصغيرة دون أن  
نمصر عليه أن يأتي معها خوفاً من أن يرفضه فاجأها بقوله :

- دعيني أقود السيارة حتى أوصلك إلى البيت وسأخذ السيارة لأني في حاجة

إلي

وفرحت أمه .. فرحت لأنه سيخلص نفسه من بهذلة ركوب الأتوبيسات  
ونساكيات .. وربما كانت تتخنى أكثر منه أن يأخذ السيارة ، فهي سيارة  
ترك دائماً في بيت الإسكندرية ليستعملها الموظفون في فترات الصيف ..  
إن أشرف بدأ يفتق من جنونه .. لاشك أنه بدأ يفتق ما دام يطلب سيارة من  
بيت أبيه ..

وأشرف يحدث نفسه وهو يقود السيارة عائداً إلى العجمي .. يجب أن  
يعترف بأنه حتى الآن لا يستطيع أن يستغنى عن أبيه . لا يستطيع أن يعيش  
بلا عص أبيه . ولابد أن أنه يعلم بما تعطيه له أمه من تقود ، ولابد أنه سيعلم  
أن أحد هذه السيارة . إنه ليس معافاً حتى يتصور أن أمه تستطيع أن تحكي  
شيئاً عن أبيه .. لا يهم .. إنه على الأقل أصبح حراً .. هو الذى يطلب أو  
لا يطلب . لم يعد عبداً للمظاهر ولا لما تعرضه عليه شهرة أبيه . ولم يعد يتلق  
أوامر من أحد .. وتحسس شعر رأسه الطويل ودقته المبهدة وانتمس ساحراً ..  
ما كان هذا هو كل ما وصل إليه من حرية . أن يطلق شعر رأسه حتى لو كان  
س إسمايل عيد الصبور .. وسحب ابتسامته الساخرة وامتلات عيناه بنظرات  
حاددة وهو يقول لنفسه .. لا تياس .. انت لم تبدأ بعد . لم تمص سوى ثلاثة  
شهور على حريتك . والأمل كبير في أن تتحرر من أبيك تحرراً كاملاً ..

أن تعمل وتكسب . لا تفقد الأمل . .

وكان على موعد مع كانيا في اليوم التالي . . كان يوم سبت وانفقت معه على أن تأتي إليه في الصباح الباكر قبل أن تصل بقية العائلة ، حتى تعد معه بيته وبيتهم . . ولكنها ما كادت تصل حتى أخذها من يدها وأركبها بجانبه السيارة ثم انطلق بها كالجنون . . وقالت تسأله في هدوء كأنه لم يفاجئها بشيء

- إلى أين ؟

وقال دون أن ينظر إليها :

- لا بد أن نصل إلى شيء . .

وقاد السيارة يبحنون حتى وصلا إلى شاطئ العلمين ، ثم توقف ونزل من السيارة ونزلت معه وانجبه بها إلى مقبرة قتلى الحرب ثم توقف بين أعمدة الصلبان التي ترتفع فوق القبور ، وواجهها قائلاً :

👉 - كل هؤلاء شهداء . . وأنا لا أريد أن أكون شهيداً . .

قالت وهي تبسم ابتسامة هادئة :

- ماذا تقصد ؟

قال :

- إن الشهيد هو ضحية لحظة جهل أعمته عن الرصاصة التي قتله . .

وأنا أعيش منذ أكثر من شهرين وأنا في جهل . . لا أدري أين أنا منك ،

ولا أين أنت مني . . كل هذا وأنا لا أدري هل تحبني كما أحبك . .

وأرخت عينيها وقالت بعد لحظة صمت كأنها تفكر فيما يمكن أن تقوله ،

وكلماتها تنمّر ، بين العربية والإنجليزية :

- إني أعيش في جهل أوسع من جهلك . . إني إلى الآن لا أعرفك . .

عرد لقاء مصادفة جمعنا داخل المشقة . وبرغم ذلك عرفت أن أحبيتك ولكنني فصلت أن أدري حتى حتى أعرفك أكثر . . إني لا أعرف عائنتك . ولا أعرف عاذة تعيش . . ولا أريد أن أسألك . . لا أنا ولا إني ولا أمي يريد واحد منا أن يسألك . إني أحبك . . وصداقتك ممتعة وأنتي الجميع بهذه الصداقة . أنا وحدي التي لا أكني بها ولكنني أحمي نفسي بها . .

وقال في حدة :

لا أستطيع أن أقدم لك طب حب على ورقة رسمية أنسجل فيها اسمي واسم عائتي والشهادة التي حصلت عليها بقيمة دخلي وأملاكي . أنا لا أبحث عن وظيفة حبيب لك . لقد قدمت لك شخصيتي كاملة ، فإما أن تحب هذه الشخصية أو ترفضها أو تكتفي بصداقتها . وتصوري أني في حالة نفسية تدعيني أن أهرس من نفسي حتى لا أريد أن أفصح عنها أمامك . . تصوري أني مريض . ومريض يجعلني غير قادر على أن أقول من أنا . . بل قد أكون قد أحفيت عليك اسمي . . ولكن الحب يتسع حتى للمرضى . .

ونظرت إليها طويلاً وعيناها تضاهيه إليها في حب وقالت كأنها تهمس :

- إنك لست مريضاً . . ولكنك في معركة لا أدري سرها . . هذا ما أحس

ه . . وقد قررت أن أقف معك حتى تنتهي المعركة وبعدها أعرفك كلك بعد أن

ترجع عنك ثياب وأقنعة الحرب . . وأنا متأكدة أنك لن تكون شهيداً ولا أنا

فعلى أن نخرج من هنا . . من حقيقة الشهداء . .

واستدارت وهومعها وسارا بعيداً عن قور قتلى الحرب إلى أن أصحبا بين

أشجار اللين البرشومي الممتدة حتى الشاطئ ، وقال وصوته لا يزال ناثراً :



- إن الحب لا ينتظر حتى تنهى المعركة أو حتى يشفى المريض ..

ومدت يدها ووضعتها في يده وهي تهمس :

- ومن قال إنه يستطيع أن ينتظر ..

وتوقفت بها عن السير ونظرت إليها طويلاً وهمس هو الآخر :

- هل أستطيع ؟

وشفتاهما تتطلعان إلى شفتيه .. لم يعد فيهما سوى شفاه .. وكانت القبة الأولى بعد كل هذه الأيام التي جمعتهما .. وسقطا مع قبليهما تحت شجرة التين ..

وتحركت بين ذراعيه قبل أن تصل القبة إلى باقي جسديهما .. وهذا ما عودته عليه دائماً أن يكتفيا بالشفاه .. وقامت تجرى ضاحكة وهو يجري خلفها إلى أن وصلا إلى السيارة :

وقال وهما في طريق العودة :

- لقد وجدتك .. بقي أن أجد نفسي ..

قالت كأنها تثير حماسه :

- وحدث الصعب وبقى السهل ..

\*\*\*

وقد اعترفت العائلة اليونانية بأن كاتيا أصبحت لأشرف .. اعترافاً صامتاً لا يشير أى نكات حلوة يطلقونها أحياناً على تصرفات كل منهما نحو الآخر .. وهو دائماً معهم . وقد بدأ من خلال أحاديثهم يكتشف عالماً واسعاً لرجال

لأعمال .. إنهم لا يقصرون نشاطهم في مشروع المطعم والمقهى الكبير ، لكنهم وكلاء عن شركة فرنسية تتطلع إلى بناء مدينة سياحية كاملة على ساحل البحر الأحمر .. إنه مشروع تصل تكاليفه إلى أكثر من ثلاثين مليوناً من الدولارات ، ولو استطاعوا تحقيقه فإن العمولة التي يحصلون عليها لا تقل عن نصف مليون . وهو يستمع إلى كل هذا ، وليس له أن ينتقل بكل فكره إلى هذا العدم الجديد عليه . من إن كل أحاديثه مع كاتيا حتى في خلوتها كانت تدور حول هذا العالم كأنه يحاول أن يتعلم منها ما لا يستطيع أن يتعلمه من أخيها أو من أبيها .. ويأم وهو يفكر .. ويصحو وهو يفكر .. إن كل هذه المشروعات التي يتحدثون عنها يمكن أن يحققها أبوه بسهولة . ولكنه لا يريد أن يلجأ إلى أبيه .. إن مشروع المطعم يعتبر صغيراً بالنسبة لمشروع المدينة السياحية .. ، مشروع ليس في حاجة إلى تدخل أبيه ، فلماذا لا يشترك فيه ..

وحسن مع صديقه دينوس وعرض عليه أن يدخل معهم شريكاً في المطعم السياسي .. وعرض أن يساهم بعشرة آلاف جنيه ، وقال كأنه يفرى دينوس :

- إني لا أريد ربحاً ، ولكنني فقط أريد أن أتعلم ..

ووعده دينوس أن يعرض الموضوع على بقية العائلة : ثم غاب أياماً .. يوماً طويلاً . وعاد يعرض أشرف بأن العائلة قررت أن تقبض شريكاً في مشروع المطعم ..

وتصل بأمه في التليفون ، وكان صريحاً رغم أنه يعلم أن التليمون يضم في داخله شرط تسجيل .. وقال لها إنه يعلم أنها تحتفظ بمبلغ باسمها الخاص وهو في حاجة إلى هذا المبلغ ليساهم في مشروع .. وروى لها كل تفاصيل المشروع ، واتفق معها على لقاء ، وفي هذه المرة لم يتمسك بلقاء خدائق المتزوجة ،

إنه سيقاها في بيت الإسكندرية ..  
وقالت الأم لزوجها .. ورد إسماعيل عبد الصبور فوراً :  
- أعرف .. إنه مشروع مطعم .. اعطه ما يريد ولكن النصيحة أن يبقى  
مشروعها لشركة سراً بينه وبين شركائه الجريك ..  
وسافرت الأم إلى الإسكندرية ، وذهب أشرف للقائها في البيت ، ولم  
يتم كثيراً عندما أدى له العسكري الواقف على الباب تحية تعظيم سلام ..  
واقنع بما نصحته به أمه وافق مع ديبوس وولده بابا دوبلو على أن تبقى  
الشركة في اتفاق خاص بينهما ولا تسجل رسمياً ..  
وتركوه حراً في أن يختار العمل الذي يريد أن يساهم به ، وقد اكتفى بأن  
يكون كل عمه هو أن يتعلم ويفهم ، وبدأ يراجع أوراق المصروف والإيراد .  
وعمليات استيراد ما يحتاج إليه المطعم ، وتكاليف العمالة .. بدأ يدرس  
العملية كلها . ووجد عقله يتفتح ويستوعب بسهولة كل ما يتعلمه ، حتى  
أنه اكتشف أنه كان مخفطاً بالنسبة لنفسه عندما اختار يوماً ما أن يكون مهتماً  
والتحق بكلية الهندسة ، ربما لو كان قد التحق بكلية التجارة لجذبه أكثر  
ولما فر منها .  
والعائلة كلها صاحبة المشروع تبدى إعجابها به دون نفاق ، وتستجيب  
بسرعة لأغلب اقتراحاته . ولكن . هناك فكرة للتوسع في المشروع لم يستطع  
أحد منهم أن يحققها . فعقب المطعم الذي يقع على الشارع دور كامل من  
العمارة يشمل ثلاث شقق كانت الحراسة قد أستولت عليه وأجرته للمحافظة  
التي تستعملها كمكاتب لأرشفيف السجلات . . لو استطاعوا أن يأخذوا  
هذه الشقق الثلاث ثم يصلون بينها وبين المطعم الأصلي الواقع إلى الشارع ، لأقاموا

١ - مطعم في الإسكندرية بل وحداً من أكبر وأفخم مطاعم العالم . وقد حاولوا  
تتيراً ودفعوا كثيراً من مقدم العملات من ارشوى ، حتى يقيموا مكتب الحراسة  
بالماء إيجار المحافظة هذه الشقق ليستأجروها . . ولا أمل .  
وشغل أشرف كل فكره بهذا المشروع . . توسيع المطعم السياحي يعتبر  
مسألة خطوة وطنية أجدى على البلد من الاحتفاظ بهذه الشقق كمخازن للأرشفيف . .  
لاهم أن يتم هذا العمل الوطني على يد شركة حربية أو فرنسية أو إنجليزية  
ولأنهم أرباحه هو شخصياً . . إن أرباحه بمجرد أن يساهم في الشركة تصل إلى  
مائة حبة في الشهر . . وقد فوجئ بهذا الربح السهل عندما أعطاه بابا دوبلو نصيبه . .  
حينئذ إنهم يشترونه ، أو على الأصح يرشونه ، ولكنه عند مراجعة حسابات  
لمطعم اكتشف أنه يستحق فعلاً هذا المبلغ . وهو ليس في حاجة إلى أكثر  
منه وتمكيره في التوسع ليست دوافعه زيادة الربح إنما هو إبداع وطني لتحقيق  
مصلحة وطنية . .

ويرتد في الصباح بدلة كاملة على غير عادته وذهب إلى الحلاق وقص شعره  
إلى أن أعاده إلى حالته الطبيعية ثم حقق ذقه . . هل تخلى عن شخصيته التي حاول  
أن يخلعها . . وأجاب نفسه بلا . . إنه فقط وجد الطريق الذي يسير فيه .  
وسار إلى مكتب المحافظ ، ونظر إليه السكرتير في امتعاض :  
- أفندم .

وقال أشرف في هدوء :

- أنا أشرف إسماعيل عبد الصبور . .

وقص السكرتير واقفاً وهو يقول في تلجلج :

- تشرقتا يا أفندم . . اعفضل .

وقاطعه أشرف :

- هل أستطيع مقابلة السيد المحافظ . .

وقال السكرتير في رعدة :

- طبعاً يا أفندم . . دقيقة واحدة .

ودخل السكرتير إلى مكتب المحافظ . ثم عاد مهزولاً :

- اتفضل يا يا أفندم . .

وكان السيد المحافظ محتمماً ببعض موظفيه وقام من على مائدة الإحتياج يستقبل أشرف مرحباً ثم التفت إلى الموظفين قائلاً :

- الإحتياج يعتبر مستمراً إلى أن أدعوكم . .

وتخرج أعضاء الإحتياج وتفرغ المحافظ لأشرف . وروى له أشرف كيف اكتشف أن هناك مصالح وطنية معطلة وأنه يجب تحقيقها حتى مع تحدى اللوائح . . البالية . . وعليه فيجب إخلاء الشق الثلاث من موظفي الأرشيف ليقام مكانها مطعم عالمي سياحي يفتح للبلد صنوبراً من العملة الصعبة . .

واقترح السيد المحافظ سرعة ، ولكنه أمهل أشرف يومين حتى يراجع المسؤولين في الوزارة

وكان أشرف يعلم أن أباه إسماعيل عبد الصبور لا بد من يعلم بهذا المشروع بل وسيعلم أنه ذهب بنفسه للقاء المحافظ . وقرر أشرف أن يثبت حسن نيته وأن يعترف بأنه في حاجة دائماً إلى أبيه ، فاتصل بأبيه وروى ها تفاصيل المشروع وهو واثق أنها ستبلغ به والده .

وعاد إسماعيل عبد الصبور يقول بعد أن استمع لزوجته :

- عارف . . وأنا موافق . . الولد ابتدى يشتمل جد . .

ووافق المحافظ على المشروع بعد يومين . .

وم تصلى عائلة بابا دوبلو الخير وكادت تجر من الفرح عندما صدقته ، بأبوا حفلاً عائلياً حول برميل كامل من البيذ تحية لأشرف ، وقال بابا دوبلو كأنه من حصداً رجبياً إليهم كانوا قد حصصوا ميراثية تباع قيمتها ثلاثين ألفاً من الجنيهات بحصول على هذه الشقة وأصبح هذا المبلغ كله من حق أشرف .

ورفض أشرف أن يتقاضى كل هذا المبلغ ، وقال إنه عضو مساهم في الشركة وما يعود على الشركة يعود عليه ، ومع إصرار أشرف قررت العائلة أن تضيف الثلاثين ألفاً إلى نصيب أشرف من الشركة . . وقام بابا دوبلو وهو ينظر إليه كأنه لم يكن يصدق أن أشرف له مثل هذا الدكاء :

- هذا أفضل لك . . لقد أصبحت ابن سوق . . إن نصيبك الآن في الشركة يساوي ضعف نصيب ابني دينوس .

ولم تكن فرحة أشرف عما كسبه ولكنه كان فرحاً بأنه استطاع أن يشت شخصيته بعيداً عن أبيه . . لقد قال أبوه إنه وهو في العشرين من عمره استطاع أن يكون شحية منفصلة عن أبيه . . إنه هو الآخر استطاع أن ينفصل وهو في الثانية والعشرين . له لم ينفصل تماماً . . إن مشروع الشقة لم يمكن أن يتم إلا إذا كان قد قص شعره وحلق ذقنه ليدو أنه ابن أبيه . . ولكن ليس أبوه هو الذي فكر في المشروع . وليس أبوه هو الذي قدمه إلى عائلة بابا دوبلو . . إنه الآن شخصية تفكر لنفسها . .

وكانت تنظر إليه من بعيد وهي تبسم في صمت . . ابتسامة لا تعب عن شيء .  
لا أع فرح ولا أع قلق . . وأخذها أشرف إلى خارج الحقل وقال وهو يرفع يدها ويضع أصبعها بين شفتيه :

- كاتيا .. لنعلن خطبتنا الليلة .. وتتزوج الأسرع القادم .. لقد فكرت في كل شيء .. سأجد شقة لنا غداً .. من السهل أن آخذ شقة خالية .. وإلى أن يتم تأنيئها ناسفر إلى المحارج .. إلى الريفيرا في فرنسا .. بعيداً عن هنا .. فلم نتطلق كاتيا بالفرحة كما كان يتصور ، وقالت كأنها تهم بالبهاء :

- إلى خاتمة ..

وقال أشرف في دهشة :

- خاتمة من ماذا ..

قالت وهي لا تنظر إليه :

- لا أدري .. ولكنك منذ قصصت شرعك وحلقت ذقنك وأنا أحس أنك

ابتعدت عني ..

وقال مبتسماً :

- إنك دائماً تعيشين في شك من كل من حولك .. اسمعي .. سأقول

لك كل شيء .. إن اسمي الكامل هو أشرف إسماعيل عبد الصبور .. ابن إسماعيل

عبد الصبور .. طبعاً معروف .. وكنت قد هربت من البيت حتى أتت شخصيتي

بعيداً عن شخصية أبي .. وأعتقد أنني نجحت ..

وقاطعته كاتيا في صوت خفيض :

- إلى أعرف ..

وفاء في دهشة :

- تعريفي ماذا ؟

قالت :

- أعرف كل شيء عنك ..

قال والدهشة تستبد به كأنه تلقى صدمة :

- منذ متى ؟

قالت :

- منذ دخلت الشركة مع عمي بابا دويلو .. كان مستحيلاً أن يقبلوك

دون أن يعرفوك ..

قال :

- ولماذا لم يصارحوني بأنهم عرفوا ..

قالت :

- كانوا في انتظار أن تصارحهم أنت .. هذا حقاك ..

وابتسم أشرف ابتسامة يسخر بها من نفسه .. لعلهم لم يقبوه شريكاً إلا بعد

أن عرفوا أنه ابن إسماعيل عبد الصبور .. لا يهم .. يجب أن يتخلص من هذه

العقدة .. المهم أنه حقق أرباحاً ويستطيع الآن أن يعتمد على نفسه .. وقال

نكاتي كأنه يواسي نفسه :

- مهما كان فلنعلن خطبتنا الآن ..

وعادت تقول :

- إلى خاتمة ..

ثم فجأة انطلقت تتحدث باللغة اليونانية .. تكلمت كثيراً كأنها لسان

إبرة حرامقون وقفت على أسطوانة مشروحة وأشرف يصرخ فيها .. ماذا تقولين ..

ماذا جرى لك .. وهي مستمرة في الكلام باليونانية حتى رفع أشرف كفه

وصفعها صفعة قوية ، وقالت ودموعها تفيض على خديها :

- إلى أستطيع أن أتكلم بلغة لا تفهمها طول عمري ، فكيف تتزوج ..

وقال يحيطها بذراعه في حب :

- ولكنى أستطيع أن أتعلّمها .. بل تعلمت الكثير منها وأحييت كل شيء جريكى .. أحبت الريتا والسوفلاكى والتارامو ، والموزاكا .. وأحببت اليزوك والسويتاكي والكاسايو والكلاماتنوس .. أصبحت نصف جريكى وبمعنى في أيام أن يجلبنى كلى جريكياً .. تعالى ..

وأحدها ودخل بها إلى الحفل وهمس في أذن دينوس ، وهمس دينوس في أذن بابادوسو ، وهمس بابا دوبولو في أذن ماريوس ، وساد الجميع صمت قلق ، ثم صاح بابا دوبولو :

- سيداتى وسادق أعلن لكم خطبة كاتيا إلى أشرف ..

وهلل الجميع وهم يرتقصون حول يرميل النبيذ ..

.. .

وقرر أشرف أن يبلغ أمه بالخبر حتى تملّنه لأبيه وذهب إليها في بيت الإسكندرية ، وما كادت تراه بعد أن خلق شعره ودقته حتى احتضنته في فرحة وقالت وهي تمسح بيدها على خده :

- الآن أحس أنك عدت إلينا ..

وأخطب يحدثها عن مشروعاته وعن الأرباح التي حققها ، ثم قال :

- وقد نويت الزواج ..

وقالت أمه في فرحة :

- عين العقل .. سأختار لك أحسن وأجمل بنت في البلد ..

وقال ضاحكاً :

- احترت ..

قالت في دهشة !

من ؟

قال :

- كاتيا .. أخت صديق دينوس ..

قالت :

- جريكية .. مستحيل .. يا بنى هو من قلة بات البلد .. وتعمل فينا كد له .. تناسب حريك .. أدى إلى كان ناقص ..

سمع يا أشرف و ..

وقاطعها عتساً :

- اعملى معروف يا ماما .. وافق حتى لا أجن وأهرب مرة ثانية ..

وسكنت وبدأ عليها أنها تدلّ جهداً كبيراً حتى لا تعقد أعصابها ، ثم قالت وهي تنهد كأنها تستغيث بالله :

- لك الحق يا ابنى .. هذه حياتك وأنت حريف .. موافقة ..

وقال في فرح :

- سأصحبها معى في المرة القادمة حتى تتعرفى بها وتاركينا ..

وقالت في أمسى :

- أهلاً وسهلاً بها ..

وبعد أن تركها أشرف أخذت سيارتها وانطلقت فوراً إلى القاهرة تبحث عن زوجها إسماعيل عبد الصبور .. وعندما لاقته صرخت في وجهه .. كأنها تستدعى بوليس المجدة :

- المحقّق يا إسماعيل .. أشرف سيتزوج جريكية ..

وصمت الأب كأنه واجه مشكلة ضخمة وقال ساخراً :

- وصلت إلى حد الزواج . .

ثم رفع صوته في حدة قائلاً لزوجه :

\* اسمعى . . . اتركى هذا الموضوع لى . . لا تناقشى فيه أشرف . . خذيه بعقله . .

\* \* \*

وعندما بدأ أشرف يتحدث مع بابا دويلو في تحديد موعد الزواج . قال له إن الموضوع في حاجة إلى وقت طويل فيجب أن يتصل بالعائلة في أثلنا ، ثم إن اختلاف الدين يجعله مضطراً إلى اتخاذ إجراءات كثيرة حتى لا تشن الكيسة ثورة عليه . . أنت لا تعرف الجريك يا أشرف . . إنهم متعصبون في كل شيء . . وكاتيا معك . . خطيبتك . . وهي معك مهما طال الوقت حتى يتم الزواج . . ولكنه بدأ يلاحظ أن العائلة كلها ليست متحمسة لهذا الزواج وإن كان لم يسمع صوتاً يعارضه . . ثم بدأ يلاحظ اشغال الرجال بموضوع آخر غير موضوع الطعم ولا يشركونه فيه . إنه موضوع المدينة السياحية على شاطئ البحر الأحمر . لقد تقدمت شركة إيطالية تتنافسهم فيه . . لا يهم . . إنه لا يريد هذا المشروع وإن يتدخل فيه . . ولكن لماذا لا يهمه . . إنه مشروع يدر الملايين . . إنه يستطيع به أن يصل إلى درجة مليونير . ولكن ليبدأ أولاً بالانتهاء من مشروع زواجه . ويخيل إليه أن كاتيا تغدير . . إنها تخفى عنه شيئاً . . وهي دائماً قلقة . ودموعها كثيرة إنها تبكي كلما قلته وكأنها قبله الوداع . وصرخ في وجهها - ماذا تخفين . . ماذا يغمقك .

ونظرت إليه طويلاً كأنها قررت أن تكشف له سرّاً وقالت :

- اسمعى يا أشرف . لقد عرفني طويلاً وأنت تخفى عني سرى . وأنا أيضاً لى سر أخفيه عليك . . إنى قبل أن أنتقل إلى مصر كنت مخطوبة تقريباً لأحد أقاربنا في أثلنا . . وقد أرسلنا إليهم أحيراً لإلغاء هذه الخطوة . . قلنا لهم كل شيء . . ولكنهم لم يوافقوا . . إن إلغاء الخطوة قد يؤدى إلى بكاء على العائلة . . وهم يريدوننى أن أعود إليهم . . ولم أقل لك شيئاً . . لأنى أقاوم . . ولا أدرى إلى متى أستطيع أن أقاوم . .  
ونار أشرف :

لقد تعيرت . . إنك تكذبين . . لا أصدق شيئاً مما تقولين . . هناك سبب واحد لكن هذا . كوفى أكثر صراحة . . ثم ماذا يهتما من عائتك أو عائلتى تعالى الآن لتزوج وحدنا ونهرب بعيداً وحدنا . .

وقالت كاتيا . . وهى تسكى :

- إلى أحبك . . ولكنى لا أستطيع .

واشدت ثورة أشرف ، وصرخت كاتيا :

- أشرف . . لم أعد أحتمل . . قبلنى . . قبلنى . .

وأبقت نفسها بين ذراعيه ، واحتضنت شفتيه بشفتها ولم تتركهما كما دتها قبل أن يسرى إحساسهما إلى باقى جسديهما . . تركت هذه القيلة تصل بها إلى كل شيء . . أعطته كل ما يريد وأكثر . .

وفي اليوم التالى ذهب أشرف إليها وهو يحس بالرهو . . لقد أصبحت كلها . . وعندما دخل البيت استقبله بابا دويلوس ودينوس في وجوم . .

أين كاتيا ؟

سافرت صباح اليوم إلى أثلنا . .

وهم أشرف أن يتعهد سيلحق بها . . سيحطم كل ما يعترضه . .

وقال له بابا دويلوس في هدوء :

- إنها مشكلة أكبر منا ومنك . . تأكد أننا حاولنا كثيراً . .

ونظّر إليهما أشرف ساعراً ، ثم جلس مدعياً الهدوء قائلاً :

- لنعتبر الموضوع متنبهاً . . لم تعد هناك مشكلة . . إلى ماذا وصلتم في مشروع

مدينة البحر الأحمر . .

ولتف حوله بابا دويلوس ودينوس يشرحان له ما وصلا إليه ، ولم يستمع

إليهما طويلاً وتركهما وركب سيارته واتجه بها إلى طريق القاهرة . . منذ عامين

وهو لم يفكر أبداً في العودة إلى القاهرة . ولكن ليعد . ليعترف بالواقع . .

إنه يستطيع أن يستفيد من الواقع بقدر ما يمكن أن يؤديه خياله . والواقع هو أنه

ابن إسماعيل عبد الصبور . . وإسماعيل عبد الصبور هو الأمر الواقع إنه يسيطر

على قدره سواء كان محاسبه أو بعيداً عنه . . به استطاع أن يطرد كاتيا من مصر

كلها . . ربما هدد عائلتها . . أو ربما أغراها بمساعدتهما في مشروع البحر الأحمر . .

ولكنه متأكد أن أباه هو الذي طرد كاتيا . .

ووقف أمام أبيه هادئاً ، وأبوه يستقبله بابتسامة الرجل القوي المتصريح

على أولاده . . وقال أشرف ساعراً

- أقدم لك نفسي . . أنا أشرف إسماعيل عبد الصبور . . ابن إسماعيل

عبد الصبور . .

ومد أبوه ذراعيه وضمه إلى صدره وقال :

- أوحشني يا أشرف . . ورغم بعدك عني كنت فخوراً بك . . لم أكن

أعتقد أن عندك يمكن أن يقودك إلى كل هذا النجاح . .

وقال أشرف وكأنه يناقش :

- الفضل لك دائماً . . فأنا لست إلا ابن إسماعيل عبد الصبور . .

وقال الأب كأنه يرضيه :

- وأنا أبو أشرف . .

وقال أشرف وهو يحاول أن يحتفظ بشخصيته كاملة أمام أبيه :

- وقد جئت أطلب أبي بحق في التعويض . .

وقال الأب في دهشة :

- التعويض عن ماذا ؟

قال أشرف :

- لقد قُلت فتاة خطيئاً . . وإني مستسلم لما حدث وأعرف أنك السبب . .

ولا يمكن أن يلهيني عن امتلائي إلا أن أدخل في مشروع جديد . .

وقاطعة الوالد :

- إن مشروع البحر الأحمر تمت الموافقة عليه . . ومن حقه أن تأخذ

حقوقك لو أردت . .

وقال أشرف :

إن أصحاب المشروع لم يحرروني من خطيئتي . . ولأخذ منهم المشروع

انتقاماً وعقاباً ولكن فقط سأساهم معهم ، وأردت فقط أن أتأكد منك أنه تمت

الموافقة عليه . . وأردت أيضاً أن أعلن لك أنني قد عدت إليك . . إلى البيت

وسأدعو بابا دويلوس ودينوس إلى هنا . . إلى بيتك وبيتي . . للعشاء غداً . .

هل تكون معنا . .

وقال الأب :

- حتى تكون أكثر واقعية أفضل ألا أكون معكم وأفضل أن تدعوهم في الخارج . . هذا نوع من التغطية . .

وقال أشرف :

- إيت حق . . إيتى مازلت تلميذاً لك . . عن إفنتك . .

وهم أشرف أن يخرج فناداه أبوه قائلاً :

- أشرف . . مادمت مارلت تلميذاً فأنتى أنصحك بأن تحصل على

شهادتك الجامعية . . إنك تستطيع أن تكون مليونيراً بلا شهادة ، ولكنك لا تستطيع

أن تكون وزيراً وسياسياً إلا بشهادة وأنا أريد لك أن تكون يوماً ما وزيراً . .

رئيس وزراء . . هذا يسعدنى ويعملنى أزهو بك .

وقال أشرف وهو ينظر إلى أبيه فى عجب :

- الشهادة سهلة . . أستطيع أن أسافر وأعود بشهادة من لندن . . دكتوراه . .

وسأحضر دكتوراه فى الاقتصاد . . لم أعد أريد الهندسة . .

وقال الأب :

- اترك لى هذا الموضوع . .

( تمت )

## ❖ أسرار المهنة ❖



شدت قوامها الطويل المشوق وسلطت عليه عيني عاصبتين وقالت في صوت  
لنطلق فيه رنة قاسية بجانب موسيقاه الرائعة كربة آلة السيكون بين نعمات  
الكمات :

- اسمع . . إني خبيرة في مهنتي . . وصاحب رأس المال يعتبر غنياً إذا  
تدخل في أعمال الخبراء . .

ونظر إليها في قرف واحتمار وقال :

- ربما من كثرة ما تعاملت مع أمثالك من الخبراء كشفت أسرار المهنة . .

- قالت وهي تنظر إليه في تعال :

- لم أكن أتوقع أن ألتقي بكل هذا العباء . . إنك لن تكشف أبداً سر

مهنتي . الزبون لا يمكنه أبداً أن يصل إلى أسرار التاجر سواء قضى عمره يتعامل

مع تاجر واحد أو تنقل بين ألف تاجر ، وكنت أعتقد أنك تفهم ذلك دون حاجة

إلى أن أتي عليك درساً ، فمن الاثنان أبناء سوق واحدة . أنت تاجر وأنا تاجرة . .

أنت رجل أعمال وأنا سيدة أعمال . . وإذا اعتبرتي نفسك خبيراً اقتصادياً

فأنا أيضاً خبيرة في الاقتصاد . والفرق بيننا هو في نوع البضاعة التي تتحمل مسئولية

نسويتها . . وهذا هو ما يفرض على كل منا أن يحترم خيرة الآخر في تخصصه . .

قال في حدة :

- إلى أقبل وظاحتك لأنه لم يعد هناك وقت لاستبدالك بفريك . . و .

وقاطعته ساحرة :

١- إنها ليست وقاحة ، إنها مصارحة ، وأنت تقلها لأننا وحدنا ولا أحد يسمعنا . لو كنت أقول هذا الكلام أمام الناس لقتلني أو قتلت نفسك ولكننا الآن وحدنا . أنت ترفض أن تعري أمام الناس ولكنك تقبل أن يعريك شركاؤك . وأنا شريكك هذه الليلة . ومن حق أن أعريك ما دمت في اجتماع مجلس إدارة . .

وقال في ثورة :

- إنك لا تعريني ولكنك تسرقيني . . مانتا جنيتي فمن الثوب الذي ترتدينه في السهرة . . هل هذا معقول . . مانتا جنيتي . . ولجرت أتى طلبت منك أن تظهري في مطهر لائق .

وقالت في هدوء :

- ليس لأبك طلبت المظهر اللائق . . ولكن لأني درست كل شيء ، ولعلك تذكر أتى كنت أفرض عليك أسئلة كثيرة قبل أن تنفق على هذه العملية . . وقد علمت منك أن ضيفك شخصية كبيرة واسعة النفوذ واسعة الثراء . . يملك ما لا يحصر له من دولارات التروول . وعرفت ملك أنك تحاول أن تصل معه إلى صفقة سيارات نقل تصل قيمتها إلى حوالي خمسين مليونا . . الزبون مليونير والصيغة بالملايين . . ومهنتي هي أن أضعف مقاومة هذا المليونير خلال السهرة حتى يستجيب . . كيف أضعف مثل هذا الرجل ؟ .

وقاطعها ساخرًا وهو يحاول أن يقلد لهجتها الحدية التي تتحدث بها :

- وطبعاً الوسيلة الوحيدة لإضعافه هي أن تشتري ثوباً مائتي جنيه .

وقالت وهي تنظر إليه في تأفف :

- لقد عرفت منك أنك بدأت حياتك تاحراً صغيراً وأعتقد أنك لا تزال بعض عقلية التاجر الصغير ، وسأحاول أن أقنع بك هذه العقلية . . إن هذا الثوب هو الفترية التي تعرض فيها البضاعة . . وكلما أراد التاجر أن يقنع الراسي بأن البضاعة عالية وأراد أن يشدهم إليها وضعها داخل فترية معربة لها مؤثرات تشد أنواع الزبائن الذين يسعى إليهم . . إن فترية الملابس الشعبية عر فترية الملابس الراقية . . وفترية لعب الأطفال غير فترية المجوهرات . . وهذا الثوب هو الفترية التي أعرض فيها بضاعتى . . وقد اخترته حسب تقديري لشخصية الزبون ، ولعلك تلاحظ أنه ليس ثوباً عارياً . . لا يكشف عن شيء من جسدي . . لماذا . . حتى أبدو أمامه كأمراة غالية ، فهذا النوع من الرجال يسعى كل ليلة وأمامه امرأة معروضة عليه حتى أصبح يتدلى على النساء الرخيصات في حين أنه من السهل أن تقتنعه المرأة بأنها غالية ، بمجرد أن تعطى جسدها حتى لو كان جسداً تعود على العرى . . إن الرجل يشبه ما لا يراه أكثر مما يراه . . حتى لو عرضتها داخل بطانية . .

وقال ساخطاً :

- ولماذا لم تشتري بطانية بدلاً من أن تفتصبي منى مائتي جنيه . .

وقالت في تأفف :

إنك لا تزال مبتدئاً . . وعقلك لا يزال ضيقاً . . إنك تؤمن بأن المظهر أهم من الواقع ولكنه إيمان تطغه على نفسك فقط . . إنك تركب سيارة بويك ٧٦ وتشتري

ثياك من لندن والكرفئات من كريستيان ديور وأحذيتك من إيطاليا . . والدعوة  
تقيمها الليلة في الميلتون ، ويرغم هذا عندما دخلت بيتك أشفقت عليك . .  
إنها شقة في الزمالك لأنت في حاجة أن تقول إنك تسكن الزمالك نعلية للمظهر ،  
ولكنها في داخلها تجمع قطعاً من الأثاث الملهل وراشك يبدو أنك لم تبدله منذ عشرين  
عاماً - والثلاجة التي رأيتها يبدو أنها من بقايا عصر التجارب التي سبقت اختراع  
الثلاجات ، وحتى التمرزيون ، بصر . . وأنا أعرف أنك لا تدعو أحداً إلى البيت ،  
كل حيائك خارج البيت ، . . الخارج هو المظهر والداخل هو الواقع .  
وقد أخذتني إلى الواقع لأنت اعتقدت أني أنا أيضاً أعيش في نفس الواقع الملهل  
المسكين . . لا . . آسفة . . إن بقي أرقى مائة مرة من بيتك . . ورغم ذلك فإني  
لم أدهش عندما رأيت واقعك . . إنه واقع كبير من رجال الأعمال خصوصاً  
وهم يجتازون مرحلة ما قبل المليون الأول . . ولكك محطى خطأ كبيراً إذا حاولت أن  
تبخل على مطالب المظهر . . فأنا وأنت نقوم بعملية واحدة ويجب أن نكون في  
مظهر واحد . .

وحط على حافة المائدة بقبضة يده وصرخ :

- لا تقارنى بعسك في . . أنت تعرفين من أنت .

وقالت في برود :

- أنا أعرف من أنا فعلاً ، ولهذا فإني أعتبر نفسي متساهلة وفي منتهى التواضع  
عندما أقارن نفسي بك . أنا تاحرة وأنت تاجر ، ولكن مسئوليتي عن الزبون  
أشرف من مسئوليتك . أنت تبيع المجهول وأنا أبيع الواقع . . والمجهول يبقى  
مجهولاً مهما جمعت من تفاصيله ، أما الواقع فكله واقع . . إن تاجر الفاكهة  
يبيع البطيخة بعد أن يطفئها من خارجها حتى تبدو لامعة ، ويعرضها في دكانه

عرصاً معرباً ، وقد يشقها لك حتى ترى احمرار باطنها ويرغم ذلك فصلها يأكلها  
الزبون قد لا يجد لها طعماً ، والتاجر بعد ذلك ليس مسئولاً . . انتهى دوره .  
إنه مجرد سمسار بين الطيخة والزبون . . وكذلك أنت قد تحقق صفقة السيارات  
ومهما ضمنتها من شروط هي مجرد عقد ينتهي دورك فيه بمجرد توقيعه . . مجرد  
سمسار بين الشركة والزبون . . وقد يكتشف الزبون وهو داخل السيارة أنها عاطلة  
أو ناقصة وأنت لست مسئولاً . . أما أنا فشئ آخر . . أنا مسئلة أمام الزبون  
حتى ينتهي من استهلاك البضاعة ، فإذا اكتشف فيها عيباً فقد لا يدفع الثمن  
المتفق عليه أو قد يؤذي ، بل إن أحياناً أعطى أكثر مما ينتظر الزبون حتى أطمش إلى  
أمانتي في البيع . . تجارتي ليس فيها مجال للغش أو الاختلاس أو الخداع . .  
أما أنت . . أنت سمسار تقدمني وتتفق مع الزبون ، أما أنا . . أنا البطيخة التي  
أكلها الزبون ويجب أن تكون طمناً للمواصفات وإلا ألقى بها من النافذة وماتت  
أفصد صاعاً هل فهمتني . إلى هذا أعتبر نفسي متواضعة عندما أقارن نفسي  
بك .

وزر أنفاسه قائلاً :

- لا أدري لماذا أحتملك . .

وقالت ماعرة :

- لأنت في حاجة إلي . .

قال :

- احذري فإني أستطيع أن أطردك في أي لحظة . .

قالت مبسمة :

إني وثيقة أنك لن تطردني الآن . . إن حاجتك إلي تجعلني أنا الأقوى . .

هذا هو حكم الحاجة دائماً . قانون العرض والطلب . ربما بعد أن تنتهى العملية تطردنى لأنك تنتهى من حاجتك إلى . . ولن أفأحاً . إلى أحسب حساب كل شيء . .

ونظرت إليها كأنه يحاول أن يكتشفها من جديد :  
- لم أكن أتصور أنك بهذه المادية . ليس فيك ذرة من العاطفة .  
خيرينى . هل عرفت الحب يوماً ؟  
وانسمت كأنها تحققره وقالت :

- إن الحب هو امتياز للأغنياء ، وليس مهنة للعاطلين . . هكذا قال أوسكار وايلد وأنا لست غنية حتى أعيش فى ملهاة الحب ، وإذا توقعت عن العمل وأصبحت عاطلة فالحب لا يصلح مهنة أعيش بها . . إن ما نمارسه شيء آخر غير الحب . .

قال :

- إنك تعرفين أيضاً أوسكار وايلد . .

قالت :

- قلت لك إنى تخرجت فى كلية الآداب .

قال :

ولماذا لم تحاول أن تكونى شيئاً آخر وأنت تحملين شهادة جامعية محترمة ؟ !

وضحكت ضحكة خافتة وقالت :

إن شهادتى تؤهلنى للعكر . . أن أفكر وأبغ أفكارى ولكنى اكتشفت أن الأفكار ليس لها سوق هنا أو فى أى بلد آخر . . الأفكار بضاعة مرفوضة عندنا . .

وقال فى استخفاف :

- لا أظن . . كل ما هنالك أنك اخترت الطريق السهل . .

قلت :

- بالعكس . . اخترت الطريق الصعب . . إن اعتيادك على الفكر هو الأسهل . . ولكن أين تبيع هذا الفكر . . إن الشعب العربى كله لا يزال يعيش فى عصر الترحمة . إنه يترجم كل ما تعيش فيه الدول المتحضرة من أفكار . . حتى عندما يحاول أن يتقدم فى ما كولانه يترجم ما تأكله الشعوب المتحضرة . . انظر إلى آخر تطورات مجال الأطعمة . . الموت دوجز ، والويمي ، وكانتاكى . . كلها تقدم أطعمة مترجمة وبطريقة مترجمة . . لم يظهر فكر عربى يحاول أن يطور طعام العلس ، والعتة ، والفطير المشلتت بحيث يتماشى مع متطلبات الحياة المعيشية . . وحتى فى السياسة . . إن أبرز رجال السياسة فى البلاد العربية كلها لا يقيمون شيئاً إلا أنهم مترجمون . . حتى النظم السياسية كلها نظم مترجمة . . تحالف قوى الشعب العامل بنظم مترجم عن اليوغوسلافية . . والأحزاب والبرلات والزمالية والشيوعية كلها ترجمات حتى الكويت الدولة العربية الصغيرة لم تجد فكراً يكتشف لها نظاماً سياسياً خاصاً بها فترجمت النظام العربى . . وسعودية طلت متمسكة بالنظام القبطى ولكنها لم تجد فكرة تعيها على تطويره ، وبدأ الإبحاح عليها بأن تقتبس هى الأخرى النظام السياسى الأمريكى . . وانظر إلى لبنان ، لقد كان يقال إن الشعب اللبناني أكثر الشعوب العربية تقدماً . . وقد استطاعوا أن يكونوا فعلاً مركز السوق العربية . . ولكنها سوق لا تتعامل مع عميات الخلق الفكرى ولكنها تتعامل فقط مع الأفكار المترجمة أى مع البضاعة الأحسية . . كل ما فى السوق مترجم سواء فى مجال السياسة أو فى مجال الاقتصاد . .

أو في مجال الفن أو حتى في المظاهر الاجتماعية . . إلى أن وقع لبنان في مشكلة لم يجد لها حلاً مخرجاً . . ولم يستطع الفكر اللباني أو الفكر العربي كله أن يجد حلاً لهذه المشكلة لأن الفكر ليس له سوق عندما ، فاستسلم لسان اللبانيين وأنت . . أنت رجل الأعمال المحترم . هل تعتبر نفسك مفكراً ؟ للأسف . أنت أيضاً مجرد مترجم . إلى أعرف عشرات من رجال الأعمال يتعمقون نفس أسلوبك ونفس خطواتك . أنت مترجم حتى وأنت تدحس في منافسات مع الآخرين . . إنك تنافس الآخرين كأنك في حلقة ملاكمة . . ولا شك أن الملاكمة في حاجة إلى ذكاء وحضور ذهني تنصر على خصمك ، ولكن اللعبة نفسها مترجمة . . لعبة مقولة عن الحصار الأجنبي . لم تستطع ولم تحاول أن تخلق أو تشكر لعبة جديدة فأنت لست مفكراً . أنت مترجم . .

وصرخ في وجهها :

- إنني لم أدعك لتلقي على محاضرة فارغة . . وسواء كنت مفكراً أو مترجماً فأنا على الأقل متمسك بالشرف . . شرفي . . أما أنت . .

وضحكت ضحكة عالية وقالت :

- الشرف . . أروحك . . لا تضحكني . . إنك تدعوني لتبيع ليلة لأحد عملائك . أنا البصاعة وأنت التاجر . فمن منا الذي يبيع الشرف . ما ذنب الطليخة إذا حقها تاجر الفاكهة تشد في داخلها حمراء . . من العناش الطليخة أم التاجر . . ثم ما هو الشرف . . لقد انتقلنا من عصر الترجمة إلى المعنى الجديد للشرف . لم يعد الشرف يتركز في مكان واحد من الحمى . الشرف هو الإنسان كله من رأسه إلى أخمص قدميه . الشرف هو عدم الاعتداء ، وهو عدم الإيذاء ، وهو الترفع عن الغش . . الشرف هو أن يعرفك الناس كما أنت . . والحرية

لا حاجة التي في الدول المتحضرة لا تعني الاعتداء على الشرف أو التضحية به بل تعني وضع الشرف في معناه الصحيح . . وصديقي . هذا المعنى المترجم أصبح سائداً في كل الشعوب العربية حتى وإن بقي في بعض المجتمعات سرا لا يعلن عنه . .

وقال في تأفف :

- أن تكوني كل ليلة في فراش رجل . فأنت لا تزالين شريفة . .

وقالت دون أن تعصب :

- هذا صحيح ، مادمت لا أعتدي ولا أغش . . وأنت تخلط بين معنى الشرف ومعنى الامتلاك . الشرف هو إرادة فردية ، كل فرد يفسر الشرف كما يريد . أما الامتلاك فهو تعاقد بين اثنين . قد اتفق مع رجل على أن يمتلك ليلة واحدة وقد اتفق معه على أن يمتلك العمر كله . كل شيء له ثمن . فمن مالى ومن احتياجي . والعرق بين امتلاك ليلة وامتلاك العمر كله أي الزواج ، هو الفرق في الثمن . لا تتصور أن الروح ليس عملية تجارية . . به مجرد عملية تجارية .

وحجم الأديان والقوانين تنظمه كعملية تجارية . . عملية يحكمها الثمن وتحكمها الحاجة إلى هذا الثمن . هل تدري . لقد قرأت أخيراً أن نسبة الطلاق بين النساء اللاتي يعملن في النساء اللاتي لم يدخلن حاصراً أكبر من نسبة الطلاق بين النساء اللاتي لا يعملن وليس لم يدخلن حاصراً . أتدري لماذا . لأن المرأة التي لم تدخل حاصراً أقل احتياجاً للارتباط بعقد الزواج . أقصد الاحتياج المالى والاحتياجي . . ولذلك سرعان ما تسعى إلى التحرر من الامتلاك . . أو على الأقل فإنها إذا اضطرت للاحتفاظ بهذا العقد فإنها قد تقيم لنفسها علاقة خاصة مع رجل حر بجانب زوجها . لهم يقولون إن النساء الفقيرات أشرف من النساء الغنيات

أو الثريات . . لا . . لمن أشرف . . كل ما هناك أنهن لفقهرن أكثر استسلاما  
للكية الرجل . . وهناك رجال كثيرين لا يمكن أن ينالوا امرأة إلا في حدود الشرع  
والقانون . . شرف . . إن بينهم واحداً تزوج خمساً وأربعين امرأة . . شرف . .  
يا صديقي صدقتي ليس للشرف دخل في كل هذا إنما هو مجرد تنظيم وصمته الأديان  
والقوانين لتنظيم عقود الامتلاك . . مجرد تنظيم تجارى . .

وقال ساخراً :

— معنى هذا بالنسبة لك أن نحن الامتلاك لية واحدة يدرك عليك دحلاً أكبر  
من نحن الامتلاك طول العمر . . أى نحن الزواج . .

قالت في بساطة :

— لا . . إنه الفرق بين الأعمال الحرة والوظيفة . . وأنا إلى الآن أفضل الأعمال  
الحرة . . لم ألتق بالرجل الذى يفرق بين الوظيفة . . وظيفة العمر .

وقام من أمامها في زهق وأخذ يخطو داخل الغرفة :

— تأخذين منى مائتي جنيه ثمناً لثوب واحد ثم تلقين على درساً فلسفياً .

وقالت وهي تقوم كأنها تجرى وراءه :

— عدنا إلى المائتي جنيه . . يا صديقي الجاهل صدقتي أن هذا في صالح  
العملية . . لقد اشتريت ثوباً بمائتي جنيه ولكنى مثلاً لم أشتري هذا . . انظر . .  
إلى أضيق في قدمي حذاء قديماً لا يساوى أكثر من خمسة جنيهات . . لماذا . .  
لأن الحذاء لا يعتبر الية مؤثراً في المظهر ، فالثوب الذى اشتريته طويل مغطيه  
ثم إن صيفك من هذا النوع من الرجال الذى لا يهمه أن يطر إلى حذاء المرأة  
لأنه يسلط كل عينيه على وجهها وجسدها ولا يصل بهما إلى حداثها . .  
ثم إنى أعطيتك من شراء الحلى التى أعتمد عليها في تزيين هذا الثوب . . كنت

استطيع أن أصبر على شراء عقد أو سوار أو حاتم حتى لو كان فالفصو . . فإن  
صدقتك من الرجال الذين لا يفهمون في البترول ولا في المحوهرات ورغم أنهم  
ملكون بترول العالم ومجوهراته ، ولن يستطيع أن يميز بين الفالفصو والحر . .  
وبدأ اكتسبت بالحلى التى أملكها هدلاً ودفع ثمنها رجل عيرك كل هذا لأوفر  
ملك . . لأننى أعلم أنك لا تزال في بداية الطريق ولم تصل بعد إلى المليون الأول . .  
المهم كيف ستقدمنى إلى صيفك ؟

وقال في سذاجة :

ماذا تقصدين ؟

قلت كأنها ضاقت بغدائه :

— أقصد ماذا سأكون بالنسبة لك عندما نلقاه ؟

قل في زهق .

— كأنك تصورين أساً في طريقنا إلى حفل دبلوماسى . . إلى لست  
في حاجة إلى تقديمك . . إنه سيفهم كل شيء بمجرد أن يراك معى . .

وقالت كأنها تصبى في وجهه :

— أنت عبيط . . لم أكن أتصور أنك جاهل بكل شيء وإلى هذا الحد .

إن مصطرة أن ألتى عليك درساً آخر . . أرسوك استمع لى نائنه فهو درس مهم  
إن هناك أكثر من صورة تستطيع أن تلبس بها أنا وأنت . . فإذا كانت العملية  
صعبة نأفقه أو كانت مجرد لقاء للدرشة فستطيع أن تقدمنى كصديقة . .  
مجرد صديقة عارة . . وهذا يعطى لصيفك الحق في أن يعازلى من اللحظة الأولى  
ويستأذنى أن يأخذنى منك . . وإن كانت العملية أكبر قليلاً . . أى صعبة  
صغيرة فإنك تقدمنى في هذه الحالة على أى صدقتك الخاصة أى عشيتك

وتتظاهر بذلك في حالة حب معي . هذا من شأنه أن يرفع ثمنى ويجعل صديقك يدفع أكثر لأني سأبدو أمامه امرأة أصعب في الوصول إليها . أما إذا كانت العملية أكبر من ذلك واقتربت من ربع المليون دولار مثلاً فأنت تقدمني إلى ضيفك على أني أحثك أو أنة خائلك ، لأني أنقب في هذه الحالة في خيال الصيب إلى امرأة شريفة لا تخرج من البيت إلا في حماية عائلية أو كما يقولون في حماية محرم . . . وبذلك يصبح الثمن أكبر ويصبح التأثير على ضيفك حتى يتم العملية أسهل على . . . أما إذا كانت العملية تصل إلى المليون دولار كالعملية التي تقوم بها اليوم فإن الطريق الصحيح هو أن تقدمني إليه على أني تزوجتك وقاطعها صارخاً :

- هل جنت . . . هل تصورين أن يصل بي الأمر إلى هذا الحد . . . أن تكوفي زوجتي . . . والله ولا مائة مليون دولار .

وقالت في هدوء :

- أروحك . . . استمع في هدوء ، إني لا أطلب منك شيئاً ولكني ألقى عليك درساً في مهنة رجال الأعمال . . . إني عندما أكون زوجتك فإن الطرف الآخر يعتبرني جزءاً من الصفقة ، أي إذا كانت العملية تساوي مليوناً ونصف مليون دولار فهو مستعد أن يوقعها عليّ فقط والباقي لزوجتك . . . أي أنا . . . إن الزوجة لها طعم آخر وقيمة أخرى لمجرد أنها زوجة . . . ولكنها في هذه الحالة في حاجة إلى عدة إجراءات مكتملة . . . فيجب مثلاً أن ادعو معنا إحدى صديقاتي حتى يبدو كأننا نرياً وأنت لم تأخذني إليه وإعاً معنا امرأة أخرى لتجالسه ونهزم به . . . ولا تخش شيئاً فإني مع وجود هذه المرأة الأخرى سأكون أكثر إغراء لصاحبا وسيصطر أن يبدل مجهوداً أكبر حتى يصل إلى ويرتفع ثمنى أكبر وأكبر وفي هذه الحالة

فإني يجب أن أضع على كثنى معطف فيزون حتى أبدو كأنني فعلاً زوجتك . . . لا تخش شيئاً . . . لن تدفع ثمن الفيزون . . . ولكننا . . . سستأجرو . . . إن لي صديقة تـؤجر معطفها الفيزون كما تؤجر شقتها المروشة .  
وقال صاخراً :

- وطعاً . . . بما أنني قدمتك كزوجتي فإني مضطر بعد ذلك أن أتزوجك فعلاً حتى لا ينكشف أمرى أمام الرجل الذي يمكن أن يستمر تعامله معه سنوات . . . هذا ما تسعين إليه . . . هذا أعد من كل أحلامك .  
وقالت في تأفف :

- إنك رخيص . . . إنك أغنى من أن تفهم لماذا أتزوجك فعلاً ما مصلحتي . . . لقد اشتركت في عملية مذ ستين وكان صاحبها يقدمني في مجتمع الأعمال على أني زوجته . . . وكان فعلاً رجلاً ممتازاً رائعاً . . . واستطاع وهو معي أن يحقق ثلاث صفقات ضخمة ، وكان دائماً يعرف بمصلي ويعطيني حق ، وبعد الصفقة الثالثة طلب مني أن يتزوجني فعلاً . قال لي إن المجتمع العالمي أصبح على أننا أرواح فلنحقق ظن العالم . . . ولكنني رفضت . . . لماذا لأني أفضل الأعمال الحرة على الوظيفة وإذا تزوجته فإني سأصبح أقرب إلى موظفة عنده ثم إننا تعودنا على أن نكون معاً بلا زواج وربما بعد أن يتزوج يرهق ويصيق أحداً بالآخر . . . بل إنه بعد الصفقة الثالثة بدا كأنه أصبح أقل حاجة إلى لذلك تركه أصبحنا مجرد أصدقاء . . . وعندما يسأله أحد عنى فيجب بما يفهم منه أننا انفصلنا بالطلاق . . . ولكنه كان نوعاً آخر من رجال الأعمال غيرك . . . كانت كل أعماله في الخارج . . . وكنت أسافر معه كل شهر أو شهرين إلى لندن أو باريس أو نيويورك . . . ومجتمع الخارج أكثر حرية وكان من السهل علينا أن ندعى أننا

زوج وزوجة . . أما أنت . . إنك لا تزال وحل أعمال محلياً بالأعمال المحلية  
تبقى دائماً في مستوى تافه ضئيل . .

ونظر إليها كأنه تلמיד بليد وقال في تردد :

« وكيف تريدني أن أقدمك إليه . .

وقالت في زهم :

« لقد شرحت لك كل أساليب العمل . . وعليك أن تختار الأسلوب

الذي تقتضيه . .

وصمت طويلاً وهو يفكر ثم قال :

« اسمي . . لأن أقدمك إليه بأى صفة . . لا زوجتي ولا عشيقتي . .

ونتركة يفهم ما يريد . . ولكننا سنصحب صديقك معنا ونتركة يفهم أنها

له وأنت لي . .

واستمت قائلة .

« بدأت تثبت أنك لست غيباً كما تصورتك

• • •

وبعد أن انتهت السهرة قالت له وهي بجانبه في السيارة عائداً بها إلى بيتها :

« طلب مني أن أحادثه في التليفون . .

وقال في دهشة :

« مني طلب منك . . لم أسمع شيئاً .

قالت ضاحكة :

« إنك عندما تأكل لا تسمع . . بطنك أقوى من رأسك . . وتصور .

إنه لم يطلب من صديقتي أى موعد . . اسمع . . إن حديثي معه في التليفون

لقد استمر ثلاثة أو أربعة أيام . . وبعدها سأطلب منه استئجار شقة لأنى لا أستطيع  
أن أقامه في حاحه بالصدق . . ولن أقامه وأعطيته شيئاً إلا قد أسوعين وفي خلال  
الأسوعين يجب أن تكون قد انتهيت من الصفقة . . هناك خوف على الصفقة  
« عطيتته نفسى قبل أن تم يجب أن يدفع مقدماً . . ويجب أن تدعوه معنا كل  
« أو حركة يدعوها ستكون صديقتي معنا دائماً

و . .

« كيف ندعو صديقك وأنت تصدح إنها لم تعجبه ؟

« هونت

لا تكن غيباً . . اترك هذا الموضوع لي . . سأقول له إنى أتعهد دعوة

صديقتي لأنى أعرف أنها لا تعجبه فلا أغار منها عليه . . هذا يجعته أكثر سعادة

وأشد الحذاء . .

• • •

وبعد أيام اتصل بها في التليفون وهو يصبح مهلاً في فرح :

« تحت الصفقة . . وقعا العقد .

وقامت في برود كأنها انتهت من عملية عادية :

« مبروك . . وسألقاه عدداً في الشقة التى استأجرها

قال كأنه يزغرد :

« سألقاك الليلة وحدنا وسنقيم احتفالاً خاصاً بالنجاح .

وقالت :

« لا . . الليلة سأسهر مع صديقتي ميمى . . إنها نائفة على وأنت تعرف

ميمى . . إذا ثارت غرنا يستر . . اذهب أنت إليه وحدك . . لا يصح أن



تمله بعد توقيع العقد . . وقل له إني في زيارة أُمي لأنها مريضة وسأكون قد  
حدثته بالتليفون . .

° ° °

وكان جالساً في الصباح يملأ عينيه بصفحة كاملة من الجريدة اليومية ،  
تحمل إعلاناً عن العقد الذي وقعه باستيراد سيارات النقل . وصورته وهو يوقع العقد  
وبجانبه الضيف الكبير ومعه المسئولون من كبار الموظفين . . وكلهم يتسمون . .

لقد وصل . .

حقق المليون الأول . .

عقبال المليون الثاني . .

وأخذ يقلب في صفحات الجريدة وكل نصائحه تحقق بالسعادة . . وفجأة  
اتسعت عيناه في دهشة . . إنها هي . . صورتها . . وهذه صورة صديقها . . ثم هذه  
صورة السيدة ميمى . إن بوليس الآداب هاجم مرل ميمى وقص على من فيه  
من النساء . . .

وطوى الصفحة بسرعة كأنه يدارى فصيحة . . وهى كأنه يواسى نفسه :

- البلد لم يعد فيها أخلاق ولا حياة

## تائه بين السماء والأرض ❀

## كلمة

هذه قصة أخرى من قصص الأدب السينائي ، وقد سبق أن طالبت بأن  
اعترف بأدب السينيا كما اعترفنا بأدب المسرح ، وكتبت أكثر من تفسير وتحليل  
لهذا اللون من الأدب .

وقد حدث أن اتصل في الأستاذ عبد الحليم حافظ باحثاً عن قصة ينتحها  
سينائياً ويمثلها . . . وقلت له :

- لماذا لا نستلهم قصة حيانت ؟

وبدأت أكتب من وحي قصة حياة عبد الحليم حافظ دون أن أكون مؤرخاً  
له ، إنما أطلقت لخيالي حرية تصور الحياة التي اختارها عبد الحليم ، وعلى قدر  
ما ابتعدت عن الواقع فقد تأثرت به حتى أتى جعلت البطل يغنى باللغة الإنجليزية  
ولفرنسية معبراً بذلك عن العقدة التي يعانى منها كل الفنانين والتي يمكن أن  
تسمى عقدة « عمر الشريف » فكل منهم يريد أن يكون عالمياً ويمثل أو يعنى  
باللغة الأجنبية كعمر الشريف .

وكما سبق أن كتبت فإن الأدب السينائي يبدأ بقصة ثم تتحول القصة  
إلى سيناريو ثم يتحول السيناريو إلى حركة ، وهو في الأصل عمل جماعي يعتمد  
على مجموعة أشخاص تبدأ بالمنتج صاحب رأس المال ثم المخرج والمصور  
والممثل ، والممثلة . . . و . . . وكل هذا بعكس الأدب المجرد أو الأدب المقروء  
الذي يتم في مرحلة واحدة ويعتمد على الكاتب وحده .

لذلك فهذه القصة السينائية التي يقرأها القارئ لن تكون أبداً هي نفس الفيلم  
الذي يشاهده المتفرج ، وذلك نتيجة اختلاف العمل الفردي عن العمل الجماعي .

كل ما في كان مركزاً على صلاح . وكان صلاح يغنى كعادته وكأنه يغنى لكل واحد من هذه المئات المتجمعة من أمامه . فيحرك عيبيه ويديه وطبقات صوته . . ويحرك نفسه كأنه يريد أن يصل بنفسه إلى آخر فرد يجلس في آخر صف من الصالة العريضة . . إنه ينسى وهو يغنى . . ينسى كل شيء . . إلا مسؤوليته عن فنه . . ينسى مسؤوليته عن نفسه .

واستدار صلاح مواجهاً الفرقة الموسيقية وظهره للجمهور . . إن صلاح يستدير أحياناً ويتبل بعينه قيادة الفرقة خلال الفقرة الموسيقية . . ولكنه غالباً ما يستدير ليلتقط أنفاسه وظهره للجمهور . . إنه إنسان عادي من حقّه أن يريح أنفاسه ويبعد التقاطها ويريح ابتسامته ، ويريح نظرات عيبيه من الأصواء المطلقة عليها ومن افتعال القوة والحمال والأمل الذي يبدو دائماً في الصور الفوتوغرافية التي تلتقطه . أو هو واقف أمام الجمهور الذي يغنى له .

وأنا جالس في الصف الأول من الفرقة الموسيقية ، وعندما يستدير صلاح يواجهني مباشرة . وحلست في منتصف الصف الأول ليست فقط لأن هذا هو المكان الطبيعي الذي يتطلبه التوزيع الموسيقي لآلة الباي ، ولكن أيضاً لأني أصر على أن أكون دائماً بجانب صلاح . . وتطلعت بكل عيني في وجه صلاح . لا أحد يستطيع أن يرى في وجه صلاح ما أستطيع أن أراه أنا . . وهمست إليه همسة أقرب إلى الأمر :  
- اشرب قليلاً من الماء .

وبددت يدي تحت مقعدي حيث أتعلم دائماً أن أحفظ بكوب من الماء . . ولكن صلاح انعد غنى بسرعة وانجه إلى ناحية بعيدة من الفرقة حيث الجيتار



كست جالساً على مقعدي بين أعضاء الفرقة الموسيقية والباي بين أصابعي وقد أسندته فوق ركبتي وكل عيني مركّزان على صلاح وهو يغنى . . لم أكن أنطلع إلى الجمهور الكبير الذي يستمع ، رغم أنه جمهور يصم كل الشخصيات الكبيرة في البلد . . ونحن الموسيقيين . . نتبادل مع الجمهور نفس درجة الاهتمام أثناء الحفلات الغنائية . . الجمهور ينظر إلينا نظرة سريعة ثم يركز اهتمامه على المطرب . . ونحن أيضاً ننظر إلى الجمهور نظرة سريعة ثم نركز كل اهتمامنا على المطرب من فوق آلاتنا الموسيقية . . إلا إذا قام واحد منا ليعرف « سولو » بمفرده . . فنركز نحن والجمهور اهتمامنا عليه . . ولم أكن أيضاً أركز اهتمامي على الباي الذي أحمله بين أصابعي . . إن هذا الباي . . عود البوص المزيل المتواضع . . هو كل حياتي . . ورغم ذلك ففي هذه الليلة لم يأخذ من اهتمامي كثيراً . . فالفترات التي سأشترك فيها بالباي خلال اللحن . متباعدة . . وحفظها غيباً إلى حد أن أذني أصبحت تستطيع أن ترفض يدى الباي إلى شفتي بمجرد أن يأتي دوره . . دون أن أحتاج إلى تركيز ذهني عليه . . وحتى الفقرات التي وضعت لأعزفها « سولو » كانت متمسكة مني إلى حد أني أقف من تلقاء نفسي وأعرف دون أن أحتاج إلى التركيز على الترتيب والانتظار . .

والأورح وأخذ يقودهما بتأثيرات ذراعيه . . لعله لم يسمع همتى . أو الأرحح  
أنه سمعها وهرب منها .

وعاد صلاح يواجه الجمهور وعلى شفتيه الابتسامة الواسعة وفي عيبيه بريق  
القوة والجمال والأمل .

وانتهى صلاح الفقرة التالية من الأعباء وعاد يدير ظهره للجمهور ويواجه  
الفرقة الموسيقية ، أى يواجهنى . . وجهه ملاماً عيى . وذعرت . استولى على نوع  
من الخوف أقرب إلى الفرقة ، إن ما أراه لا يستطيع أحد آخر أن يراه حتى من  
بين أفراد الفرقة . . وقلت وأنا لا أتمد الحمش ولكنى أكمم الصراخ . .

.. لا تكرر الكوبليه . . ادخل فى الكوبليه الثانى وسرعة . . اختتم  
بسرعة . .

وكان مفروضاً فى هذه الفقرة أن أقف لأعزف على الناي سولو . . وكنت  
قد تعودت أن أطيل عرف هذه الفقرة . . وأن أكررها بناء على طلب وإلحاح  
الجمهور . ولكنى فى هذه الليلة وقفت وأديت الفقرة كأنى تلميذ سيد يحفظ  
دروسه صم دون أن يفهمها . . وانتهى بسرعة وحسب ، وقد تعجب الجمهور  
إلى حد أنه لم يلبح على طويلاً كماداته فى إعادة الفقرة ، والتصميت لى تصميت  
بارد . .

وعاد صلاح إلى الجمهور وحاول أن يبدأ الكوبليه التالى . . ولكن الجمهور  
اشتد صراخه وتصفيقه مطالباً بالعودة إلى الكوبليه السابق من الأعباء . . وإذا  
صلاح يستسلم للجمهور . . للناس . . الناس الذين لا يستطيعون أن يروا  
فى خطوط وجهه ما أراه أنا . . ويشير صلاح إلى الفرقة الموسيقية ويبدأ فى إعادة  
عناء الكوبليه السابق .

وعندما استدار إلى الفرقة الموسيقية بعد الانتهاء من الكوبليه وواجهنى .  
مد يده إلى وهو لا يزال محتفظاً بانسمته رغم أنها أصبحت نسيمة ضعيفة لأن  
ظهره للجمهور . . وفهمت أنه يريد كوب الماء . ولكنى ما كدت أمد يدى  
إلى تحت المقعد حتى ابتعد صلاح عني . . لقد غير رأيه . . لن يشرب حرة  
لده . . واستد عني إلى الناحية الأخرى من الفرقة . . وانتهت الأعباء  
إن الفقرة الأخيرة أيضاً كررها صلاح ثلاث مرات  
والتصميت . .

وأسدلت الستار وفتحت الستار أكثر من مرة ليرد على تحية الجمهور .  
ووقف صلاح أماماً وقد أسدلت الستار لآخر مرة . . وبين شمس سامة  
ضعيفة . . يقاوم كثيراً ليحفظ بها كأنه يهديها لنا . . وحفاه يتأرجحان فوق  
عينيه . . يميل فى وقفته كأنه يبحث عن شيء يستند عليه . ثم مرة واحدة  
سقط

.. سقط على الأرض

وانطلقت دماؤه ثقيلة عاقمة تسيل من بين شفتيه

ووكعت بجانبه . . لم أبلك . . ولم أكن أنتظر دموعى . . فإنى كنت أعرف  
أن كل هذا ممكن أن يحدث . . وكنا كلنا نعرف تعليقات صلاح فى مثل هذه  
لحالة . . الصمت . . لا أحد يتكلم . . لا يجب أن يعرف غريب وخصوصاً  
من الصحفيين ما حدث . . وتلكاً أعضاء الفرقة الموسيقية . . إلى أن دخل بس  
سكرتير صلاح ومعه الطبيب الذى يصاحب صلاح دائماً . . وأعطاه حقة فى  
صحنه أوقفت الزيف بسرعة . . ثم استطاع أن يقوم واقفاً واستند عني حتى  
أوصلناه إلى حجرة داخل المسرح ، وتركناه للطبيب . . وأفراد كثيرون من

الجمهور دخلوا إلى صالة المسرح يريدون أن يروا صلاح وكنا نعتذر لهم بأنه يستريح ويترك للنكات الضاحكة أن تنطلق :

ومرت ساعة .

ونُجِر صلاح من العرفة ومعه الطبيب الذي لا يعلم أحد أنه طبيب وكان الجمهور قد خف من طول الانتظار ورغم ذلك فقد خرج صلاح وكأنه على استعداد ليواجه جمهوره كله بانسامة تملأ وجهه . . وخطواته عرجة . . ونظراته تحمل القوة والجمال والأمل . .

وركب سيارته . . وصمم أن يسوقها بنفسه . . وحاول الطبيب أن يقنعه بأن يعدل عن السواعة :

— دعني أسوق أنا يا صلاح . . طول عمري وأنا أتمنى قيادة هذه السيارة إنها سيارة متعة مثلك وأنا متخصص في المتعين . .

ولكن صلاح صمم أن يقود السيارة بنفسه . . ويشير للجمهور الوقف محبياً بدواعه . . ونحن معه صامتون إلى أن وصلنا إلى البيت .

وما كاد يرى فراشه حتى اهدأ . .

إنه هنا فقط يعترف بما هو فيه . .

وأما واقف أرى استسلامه الكامل لقدرة . . ودعنا ضعيفتان نترلقان من عينيه كأنهما تواسيان في آلامه . .

وكالت فاطمة قد سقنا إلى البيت . .

إن فاطمة مثلي . . إنها تستطيع أن بما سيحدث لصلاح قبل أن يحدث . .

إنها تحس به دون أن تحتاج إلى أن ترى خطوط وجهه . . إنها تعتمد على هائف إحساسها . . هائف الحب . . إنها تحه إلى حد إنها ترى داخله حتى وهي

بعيدة عنه . . وهي دائماً بعيدة . . إن صلاح لا يريد لها أن توجد بين الناس في حفلاته . . يريد أن يحفظ بها فوق الناس . . يريد لها وحده . . أنانية الفنان . .

والطبيب يلم صلاح كله بين ذراعيه . . وأنواع متعددة من البواء . . الإبر والحجوب . . وما يذوب . . وما لا يذوب . . ثم انتهى بعد وقت طويل وهو يقول له في حلة . . كأنه يهم أن يصمعه :

— قلت لك إنه كان يجب أن تؤجل حمل هذه الليلة . . ولكل لم تسمع الكلام . . اسمع . . أمامك ثلاثة أسابيع ترقدها في الفراش . . سامع . . ثلاثة أسابيع . . بلا حركة وإذا تحركت فلن أكون مسؤولاً عنك بعد اليوم وأمرنا الطبيب أن تخرج كلها من العرفة حتى فاطمة بعد أن أعطى صلاح دواء منوماً لينام رغم أنه . .

وعندئذ إلى بيتي وكل ما في رأسي هو هذه الأسابيع الثلاثة التي فرض على صلاح أن يقضيها راقداً في فراشه . . إلى أعلم أن صلاح مرسل أكثر من حفلة خلال هذه الأسابيع الثلاثة . . أقربها حفلة زفاف ابنة رئيس الوزراء بعد يومين ولكن لا شك أنه سيبتدر . . إنه لا يستطيع أن يعرض نفسه لما حدث له لقد كان ما حدث هو أول مرة يصاب فيها صلاح بأورته وهو فوق حشية المسرح . . لقد كان يصاب بها قبل الحفل بأيام أو بعد الحفل بأيام . . أما أن يصاب بها وهو على المسرح . . فهذا هي المرة الأولى . . ولعلها تكون درساً له فإني أعلم أن أكثر ما يكرهه هو أن يبدو أمام الناس مريضاً . . ولن يعرض نفسه لمرضه مرة أخرى وهو أمام الناس . .

واعتذر صلاح فعلاً عن حمل زفاف ابنة رئيس الوزراء . .

إلى أن صدمت . .

كان قد مر أسرع واحد على قرار الطيب . . وكان صلاح قد بدأ يبلو أحسن حالا ، وكان مطيعاً فعلاً بكل التعديت لا يحرك من مرشده ويألف نفسه عن الدواء . . مرتاحاً هادئاً . .

كأن أحياناً عندما أكون معه يكفى بمهام تافهة . . حتى كان يخيل إلى أنه يعتمد أن يبعثني عنه . . وكان يفعل نفس الشيء مع فاطمة . . ومع أصدقائه . . إلى أن كان صباح يوم الخميس . .

ودهمت إليه في الساعة الواحدة بعد الظهر كعادتي . . إنه ليس في البيت . . وفاطمة جالسة تبكي . . إنها لا تعرف أين هو ؟

ولأحد في البيت يعرف لقد خرج كأنه هرب . . لم يره أحد وهو يخرج . . وكنت أنا أعرف . . واكتشفت أنه حلال رقاده في فراشه كان يتخلص مني أنا وفاطمة ليتحدث في التليفون . . وليس هناك إلا جهة واحدة يهيمه أن يتحدث معها في التليفون ، الخفة التي يحتاج إليها . .

ودهمت إلى نادي الفرقة الموسيقية . . ورايته أمامي واقفاً بين أفراد الفرقة الموسيقية يحرق برفوفات على أغاني الحفلة التي كان مقرراً أن يقيمها الليلة لصالح مشروع بيت الطلبة . . وانتمت في رأس . . لا أمل . .

وفتحت حقيقتي . . وأخرجت أعواد الباي . . وأخذت مكاني بين أفراد الفرقة . . ولم يقل لي صلاح شيئاً كأنه لم يفعل شيئاً . .

إنها قصة طوبية

قصة بدأت منذ كنا أطفالاً . .

• • •



لقد ولدت مع صلاح في قرية واحدة . . كقرى ممونة . . وأنا أكبر من صلاح بأربع سنوات ولكنه مدك في عمر بصا وهو يحاول أن يفرض شخصيته على كل أولاد القرية . . ربما لم يكن يحاول . . ولكن حيويته التي لا تهدأ ، وشقاوته الجريئة التي كانت تثير الميظ أحياناً ولضحك أحياناً كانت تدفع كل أولاد القرية إلى التجمع حوله . . أحياناً لمشاركته اللعب وأحياناً للانتقام منه بعد أن يكون قد لعب لعبة بايخة . . وأنا شخصياً كنت أحس بارتباطي بصلاح دائماً . . كنت أحب شقاوته . . وأحب جنونه وجرأته . . وأحب ذكائه . . ودايماً معه نلعب الكرة الشراب أو تنسلل إلى حقول الليرة لنسرق ونأكل أو تنسلل إلى الجاموس والبقير المنتشر بين الحقول بعيداً عن أصحابه لنستصن اللبن بشفاها من أئذنها . .

وكان أكثر ما يهواه صلاح بعد أن كبرنا قليلاً هو العوم . . العوم في التربة . . ولعوم في القضاة . . وأحياناً لا يعوم ولكنه يلقي بنفسه في قناة صغيرة بعد أن يخلع ثيابه وينام في الماء وكنا تعلم أن هناك شيئاً اسمه للهارسيا . . كل أهل القرية يعرفون للهارسيا . . ويعرفون أن سمومها ترقد في مياه الترع والقنوات . . ورغم ذلك فكل أهل القرية يعيشون في مياه الترع والقنوات وأنا مع صلاح دائماً في الترع وفي القنوات . . مع للهارسيا . .

ولم يكن كل ذلك هو أقوى ما جمعني بصلاح . .

كان هناك ما هو أقوى . .

كان والد صلاح الحاج عبد الله مرعى معروفاً في القرية بأنه يهوى الأصوات الجميلة . . ولم يكن يغنى . . كان شخصية محترمة في القرية يمتلك عشرة أهدنة . . وأحياناً يستأجر عشرين هذاناً عندما يكون على وفاق مع ناظر عزبة الباشا . . وربما لهذا واحتفاظاً باحترامه بين أهل القرية لم يكن يغنى . . إما كانت كلما مزت بالقرية فرقة من الفرق الفنية الجواله تضم مطرباً يدعوها الحاج عبد الله إلى دواره ويقم ليلة يستمع فيها إلى هذا المطرب . . وكان أهل القرية - كلهم - يجتمعون وهم في انتظار حكم الحاج عبد الله على هذا المطرب . . فإذا استمع منه إلى موال أو أغنية واعتذر بعدها في أدب وانحى إلى داخل الدوار ونزك المطرب إلى أهل القرية عرفوا أنه مطرب لا يستحق ولا يساوي آذان الحاج عبد الله . . أما إذا بقي الحاج عبد الله إلى نهاية السهرة فمعنى هذا أن المطرب يستحق . .

ولكن أعجوبة الحاج عبد الله في أنه يتولى بنفسه أداء آذان الفجر . . في كل فجر تصحو القرية كلها على صوت الحاج عبد الله يؤذن للصلاة . . وكان صوته أعجوبة . . إنه لا يؤذن كمجرد أداء واجب ديني ، فهو ليس مؤذناً ولا إماماً للمسجد . . ولكنه فتان . . إنه مطرب . . إنه صوت عال نادر . . ولو أنه استطاع أن يحرق نفسه من شخصية المزارع وتقاليده مجتمع القرية لاستطاع أن يحترف الغناء ويصبح مطرباً مشهوراً في مصر كلها . . ولكنه كان مصحماً على أن يحتفظ بشخصيته في القرية وبكل التقاليد القديمة المروضة على هذه الشخصية . . وربما كان يغنى أعاني عادية بينه وبين نفسه . . ولكن لا أحد يسمعه ولا أحد يسمعه إلا وهو يؤذن آذان الفجر كأنه قرر أن لا يعطى فنه إلا الله حتى لو حرم منه الناس . . وفي مناسبات قليلة كان أهل القرية يبحون على الحاج عبد الله

أن يلقى أذاً آخر . . وكان عندما تكون هناك مناسبة مفرحة . . كمحاج محصول القطر ، أو انقراج أزمة . . يقبل أن يلقى آذان العشاء بحجاب آذان الفجر وبرة واحدة في عمره كله ألقى آذان الصلوات الخمس . . ألقاها كما لم يسمعها مسم من قبل . . ألقاها ودموعه بين عبيه . . وكان هذا يوم توفيت أم صلاح وكان صلاح عندما يكون معاً وحداً يقف ويقلد والده في الأذان . . وكنت أسمعها أضحك عليه وأقول له إن صوته أشبه بصوت صرصر الليل بحجاب صوت أبيه . . ولكن صلاح كان يبدو متمتعا مفعلاً فعلاً وهو يقلد أباه . . وكان يقلده دائماً في الخفاء خوفاً من أن يصل الحبر إلى أبيه فيفسره بأن أبيه يستهزئ به .

ومع السنوات بدأ صلاح لا يكتبني في خلواتنا بتقليد أبيه بل أصبح يقلد كل المطربين ويردد مواويل وأغاني الريف ، ثم تجرأ صلاح أكثر وبدأ يردد أغانيه في جلستنا مع أولاد القرية أثناء الليل . . وبدأنا نحه وهو يغنى . . لم يخطر على بالنا أيامها أن نقدره كفتان . . ولكننا كنا نتركه يغنى أن نطلب منه أن يغنى . . لتعني معه . . وغالباً ما يرتفع صوته على صوته . .

ولم يجزئ صلاح أبداً على أن يغنى أمام أبيه أو أن يعترف أمامه بأنه يحب أن يغنى . . رغم أنه قطعاً ورث صوته وورث كل فنه عن أبيه ، ربما لأن تقاليد القرية كانت تحجب من الفنانين والمطربين مجموعة أقرب إلى الشحادين ، وهي التقاليد التي حرمت على والد صلاح نفسه أن يغنى وأجبرته على الاكتفاء بأداء آذان الفجر ، وهي نفسها التقاليد التي كانت تحمله يتعنى أن يكون ابنه أي شيء إلا أن يكون مطرباً . . وربما كان كبقية آباء الريف يصل غاية ما يتماشى لانه أن يكون ضابط بوليس لأهلية وقوة ضابط البوليس بين قرى الريف . . وأنا . . أنا ليس في عائلتي أي تراث ولا أي ظاهرة موسيقية . . ولكني وجدت

نفسى مد صباى آمد يدى إلى أعواد البوص وأحاول أن أنفخ فيها أنفاسى لنصيح  
بعما . ثم بدأت أفند الذين يصحون العرق الربيعى من عارق الأرغول والنأى .  
أعلق فى أصابعهم وهى تتحرك فوق ثقب عود البوص بل إن أول نأى حاولت  
أن أعرف عليه صنعته يدي تقيدا لما كنت أراه فى أيدي العازفين . . ورغم  
ذلك فلولا رباطى مصلح مد صباى لما أصبحت الآن عارفاً محترماً للنأى . .  
إلى أن دخلنا المدرسة الابتدائية . .

وانقلنا . . صلاح وأنا . . لنقيم فى المركز ، ورغم أنى أكبر منه سنًا فقد كنا  
معاً فى سنة دراسية واحدة . . ربما لأنى أصلام أكن من هواة دخول المدارس ،  
كان حلم صباى أن أزرع وأجلس على حافة الساقية أعزف النأى وصلاح يعنى  
لى .

وفى المركز انطلقت هوايتنا . . وانطلق بنا الفن إلى آخره . .

كان صلاح يعنى ليل نهار ، وشماسة وبلا شماسة ، وأنا أعزف النأى كلما  
استطاعت أصابعى أن تصل إلى ثقوبه . . بل إننا ، صلاح وأنا ، بدأنا نحاول  
أن نعزف ونعنى أى شئ ، يصل إليه . صلاح حاول أن يعنى بابيوى تقيداً  
ليقال جريكى كما نردد عليه ، وحاول أن يعرف الأكورديون والبيانو ، والكمان ،  
والأرغول . . و . . و . .

كل ذلك دون أن يعطر على بال أحداً أنه يرسم لنفسه مستقبلاً فنياً . .

وأذكر أننا كنا فى زحام مولد سيدى البرائى ، وانفصلنا مع بقية الطلبة إلى  
مكان بعيد وبدأ صلاح يعنى والطلة تصفق وأنا أعزف النأى . وكذا نصحك  
وقطع الأعانى لتبادل الشنائم التى كما يعتبرها نكات . وتجمع بعض الناس  
حولنا يستمعون . إلى صلاح ويثنون معنا ، ويصيحون معنا . . وكان من

بين من تجمع طالبات المدرسة الابتدائية للبنات ، كن متابعات فى خجل  
نصائحك الضحكات الخجولة المثيرة . . وغنى صلاح إحدى الأعانى الربيعية  
المعروفة وإذا بصوت يبدو من بين الطالبات يعنى معه . . صوت خجول . .  
بعضى كمتبر ويسكت . ثم يعود يعنى . . ولكن الطالبات ابتدأن فى  
الإنحاح على الفتاة أن تغنى مع صلاح . كأن السات هرب أن يحدين فى الص  
الأولاد . .

ونحن أيضاً بدأنا نلح عليها أن ترفع صوتها لنسمعه . .

وغنت الفتاة . .

بل اشتركت مع صلاح فى أعباء واحدة كانت أيامها أغنية شعبية معروفة  
كل منهما يريد على الآخر يقطع منها . .

وكانت هذه الفتاة هى فاطمة . .

ولم نعرفها يوماً . .

وسأل صلاح بعدها عنها كثيراً . . ربما كانت ابنة موظف من موظفى المركز  
أو ابنة مزارع أو ابنة المأمور . .

بل إن صلاح بدأ يذهب ويقف أمام مدرسة البنات بحثاً عن هذه الفتاة  
التى لم تكن تعرف أن اسمها فاطمة . .  
ولكن صلاح لم يعثر عليها أبداً . .

وفى هذا العام . . ونحن فى السنة الثالثة الابتدائية . . توفى الحاج عبد الله  
ولد صلاح وفى صباح يوم الوفاة . . دون أن يبلغ صلاح أحداً . أو يستأذن  
حاله الذى أصبح مسئولاً عن العائلة . أو أخاه الأكبر . وحتى دون أن يقول



لى . . صعد فى القجر إلى مئذنة جامع الكمر . . وأذن للصلاة . . كما كانت عادة أبيه . . كأنه يريد أن يقول لأهل القرية إن أبيه لم يمُت ، أو كأنه يريد أن يعلن أنه يستطيع أن يملأ الفراغ الذى تركه أبوه ، أو كأنه كان يريد أن يرسل تحية لأبيه فى قبره . . وذهل أهل القرية وهم يستمعون إلى صلاح وهو يؤدى الأذان . . واعترفوا لأول مرة أنه ورث عن أبيه صوتاً أقوى وأحلى وأداء لم تسمعه القرية من قبل . . وبدأوا يلغزون حوله فى ليالى المأتم . . ويطالبونه بأن يقرأ القرآن . . أو أن يعود ويؤذن ليقية الصلوات . . ولكن صلاح كان يرفض .  
إلى أن عدنا إلى المركز . . إلى المدرسة .

وبدأ صلاح يبدو فى شخصية جديدة . . لقد كان والده هو الشخصية الوحيدة التى تقيده . . ويحسب حسابها . . ويتخفى عنها حقيقة ميوله ومطعم أحلامه . . وقد تحرر بعد وفاة والده . . وأصبح يجاهر بفته المتمكن منه ، ويركز كل ذكائه وكل حرائره وأحياناً كل جنونه على ممارسة هوايته . .

ولكنه لم يكذب يوماً فى انطلاقه حتى أصيب بالضربة الأولى . .

البلهارسيا . .

والبلهارسيا كانت قد أصبحت فى الريف مرضاً عادياً كالزكام أو الصداع . . ولكن صلاح لم يكن ينتظرها . . لم يعتبر نفسه مشلولاً عنها رغم السوات الطويلة التى قضاها فى مياه الترع والقنوات وهو يعلم أنها مياه مسمومة بالبلهارسيا . . لقد كان غروره بنفسه يرفض أن يدعه يعترف بأنه السبب فى أى مصيبة تحدث له . . لذلك مرت شهور وصلاح متزو ، منهار ، ساخط على كل شيء ، يعالج نفسه من البلهارسيا . .  
وشق .

لا . . إني بعد سنوات طويلة أصبحت مقتنعا بأنه لم يشف . . وأن اندفاعه نحو هوايته الفنية أيامها جعلته يتسرع ويهمل فى علاج نفسه ، ويعجز عن إقطع الدم الذى كانت تترقه البلهارسيا اعتبر نفسه وكأنه شق تماماً ولم يعد فى حاجة إلى طبيب ولا إلى علاج . .

وكان الانطلاق الذى اندفع فيه صلاح بعد وفاة والده يجعله لا يكتفى بالاشتراك فى الفرقة الموسيقية التى تجمع بين طلبة المدرسة ، والتقى أصحابها مطرب المدرسة ، ولا يكتفى بالعناء بين أصدقائه بل أصبح يبحث عن المناسبات التى يستطيع أن يغنى فيها . . ورغم ذلك فإنه لم يصل إلى شيء إلا إشباع هوايته . . لم يكن بين الناس أكثر من طالب يستطيع أن يعنى ويستطيع أن يلعب بكثير من الآلات الموسيقية . . مجرد لعب . .  
ودائماً كان يسأل عن فاطمة . .

ولم يعلم عنها شيئاً أبداً حتى من صديقاتها اللاتى كن معها يوم رآها . . ربما كانت أيامها مجرد زائرة لإحدى عائلات المركز ، أو ربما جاءت إلى المدرسة مع أهلها مصادفة لحضور الاحتفال بالمولد . . إلى أن انتسبا هو وأنا - من المدرسة الابتدائية . .

وفى فترة الصيف قضيت أيامنا فى القرية نحاول أن نرمم مستقملنا . . وكان المقروض أن المستقل كله يتحصن فى التحاقنا بمدرسة دمنهور الثانوية .

ولكن لا صلاح ولا أنا ، نريد أن نصنع أنفسنا بين حواظ المدارس . . نريد أن نطبق . . نبحر . . أن نبحر . . وتركزت كل أحلامنا فى الالتحاق بالمعهد الموسيقى الذى كنا نسمع عنه . . أى أن نهاجر إلى القاهرة . . ولولا أننا كنا مجبرين على أن ندخل المدارس . . أى مدرسة . . لما فكرنا حتى فى الالتحاق

بالمعهد الموسيقى ، ولا تطلقا معنى وعزف في كل اللاد كأي فرقة من الفرق  
الريفية . . إلى هذا الحد كان صلاح يريد أن يمارس فيه ، ويمتج به نفسه قبل  
أن يمتج به الناس . . وإلى هذا الحد كنت متأثراً ومقتعاً بكل ما يخطر على  
بال صلاح

ولكن لأننا كان يجب أن ندخل مدرسة ، فقد دخلنا المعهد الموسيقى ،  
ولم يعارض خال صلاح . . فقد كان كل ما يشعل ناله هو معقات التعلم . .  
وربما كان مقتنعاً بأن صلاح ورث عن أبيه ميوله الفنية ، فتركه لجنونه . وأنا  
أيضاً لم يكن يهتم عائلتي إلا كم تدفع . .  
وذهبنا نعيش في القاهرة . .



ولم يلتحق صلاح بقسم الأصوات . . ولكنه التحق بقسم الآلات . .  
مضى . . رأى لأن الدراسة في قسم الآلات أوسع ، وربما لأنه هو نفسه لم يكن يدري  
حتى هذه الأيام هل يستطيع أن يحج كمطرب أم يستطيع أن يحج كعازف  
أما شخصياً كنت أتمنى له ما أتمناه لنفسى رغم الفرق الكبير بين قيمة صوته  
وصوتى . . كنت أريده أن يكون عازفاً . . لأن امتلاك الآلة الموسيقية أطوع  
من امتلاك صوتك . . إن الآلة لا تستطيع أن تخالف أمرك . . ليست معرضة  
للمرض . . ولا للضعف ولا للهزال ولا لسرعة التطور . . الآلة إذا أصيبت بخدش  
تستطيع أن تلتقيها بعيداً وتستبدلها بأخرى جديدة . . ولكن صوتك إذا خدش  
لا تستطيع أن تبدله . . والآلة تعيش اتاريخ كنه .

البيانو الذى كان يعزف عليه شيللى هو نفسه البيانو الذى عرف عليه اليوم .  
مهما تطورت الألحان . . ولكن صوت صالح عد لحي لا يمكن أن يطرب الآن .  
لأن الصوت مرتبط بالقدرة على التحديد ، والتحديد يعتمد على الطبقات  
الصوتية . . والطبقات الصوتية هي قدرات فردية لا يستطيع أى فرد أن يصل إلى  
ما يشاء من الطبقات .

وأريد أن أرى كيف كما يعيش في القاهرة ليست دعوة أن ندأ في  
القاهرة وأن يعيش نقرش صاع في اليوم . . وتستطيع أيضاً أن تصل إلى مائة  
جيه في اليوم . .

وكنا منذ وصلنا إلى القاهرة نعيش - صلاح وأنا - في حجرة واحدة مؤجرة

داخل بيت في إحدى حواري الجزيرة من البيوت التي تؤجر للطلبة .

وكنيت أصحو كل يوم وأنا في انتظار معجزة من معجزات صلاح ، قد نكون معجزة ترتفع بنا ، وقد تكون معجزة تهار على رؤوسنا . ولم تكن معجزة صلاح أنه استطاع بسرعة أن يجيد العزف على الكمان الذي اختار أن يتخصص فيه عندما التحق بالمعهد ، ولا معجزة تقدمه بصوته الذي يفتن به عندما كان يدهشني أنا شخصياً رغم أنني عشت العمر كله مع هذا الصوت . ولكن معجزة الكبرى هي قدرته على الاتصال بالناس . واكتساب صداقتهم ثم استغلال هذه الصداقة . لقد كان يعرف بذكائه أن الفن لا يساوي شيئاً إلا إذا استطاع صاحبه أن يصل به إلى الناس . إلى الجمهور . ولكي تصل إلى الجمهور يجب أن تصل أولاً إلى مراكز القوى التي تسيطر على حركة المرور إلى الجمهور . مراكز القوى الفنية . إنها مراكز تضم أفراداً أقرب إلى عساكر المرور . تشير ، تنشر إلى الجمهور . تشير فتشرف مكانك دون أن تتقدم إلى الجمهور . وأحياناً كثيرة تسحب منك رخصة القيادة لعمية فتجد نفسك قد انتهت كمان . وكان صلاح له قدرة عجيبة وذكاء حارق في اكتساب أفراد مراكز القوى الفنية . إنه يعرف مقدماً ماذا يريد كل منهم ومنهم من لا تستطيع أن تكسه إلا إذا لدوت أمامه ضعيفا غلاماً ، محتاجاً ، تثير شفقتي ، وتثير فيه عقدة السيادة وتشتع فيه شهوة العظمة . ومنهم من يحتاج لإقناعه لنوع من القوة أقرب إلى التهديد . ومنهم من ينتظر رشوة والرشوة ليست دائماً مبعلاً من المال . إن هناك أنواعاً كثيرة من الرشاوي وصلاح يستطيع دائماً بدكائه وحديثه وحيويته أن يكشف الإنسان الذي يحتاج إليه ، ويكشف وسيلة الوصول إليه . وكان أول ما حاول صلاح أن يستغل فيه معجزاته هو حاجتنا إلى أن نعمل

واكسب حتى ترتفع من مستوى سندوتش الفول إلى مستوى طبق الكباب . ومن مستوى البطول الواحد إلى مستوى ثلاثة أو أربعة نطلونات . ولم يكن هناك طريق أمامنا لعمل واكسب ونحن لا نستطيع شيئاً إلا الفن . ولا نقبل أن نحرف عن إصرارنا بأن نعطي كل حياتنا لهذا الفن ، ولا أحد يعرفنا كقناتين في هذا البلد الكبير ولا نزال طلبة في المعهد مفروض أننا لم تتم تعليمنا بعد . ولكن صلاح استطاع في عام واحد أن يعرف كثيرين من أفراد الفرق الموسيقية ، وأن يكسبهم بدكائه وخفة دمه ، ولا أقول القدرة العمية ، بل كان صلاح يعتمد إحصاء قدرته الفنية حتى لا يثير بين أصدقائه الحسد البيرة والخوف على أنفسهم من فنه . كما يحدث دائماً بين أفراد المهنة أو الفن الواحد .

ولم يكد العام الأول يمر ونحن في فقر نعيش على ثلاثة جيبها في الشهر يتلقاها صلاح من بلده وجيه واحد أتفقه أنا ، حتى استطاع صلاح أن يصنع نفسه في إحدى الفرق الموسيقية كمعازف لكمان ، ويضحي معه كمعازف ناي . وكسبتنا . ارتفعنا إلى مستوى الكباب ومستوى شراء القمصان والبطونيات وتفصيل البدل . وارتفعنا أيضاً إلى مستوى السكن في شقة إيجار . شقة وحدنا . صلاح وأنا . وكل ذلك كان ارتداعاً إلى مستوى متواضع ، أي إلى مستوى عشرة في المائة من المستوى الذي نعيشه الآن . ولكننا - أيامها - كنا نحس أننا ارتفعنا مليوناً في المائة من المستوى الذي نعلم أن نعيش فيه

وكان أصدقائنا الجدد قد بدأوا يعرفون أن صلاح يفتن . وكان يفتن لهم ، لكثيرين منهم يهلون له ويحدثون عليه أن يبدأ في محاولة الطهور كمطرب وكثيرون أيضاً استهزأوا به ورفضوا الاعتراف به كمطرب . كناية عليك الكمجة ما تطلعش فيها .

وصلاح لا يريد أن يقدم نفسه علانية كمضطرب إلا في الجلسات الخاصة الضيقة . . إنه عندما يقف يردد أغاني محمد عبد الوهاب أو سيد درويش وأحياناً محمد عبد المطلب أو يردد الأغاني الريفية والشعبية . . وهو لا يريد لنفسه كل هذا . . إنه مقتنع بأن صوته يمكن أن تكون له شخصية منفصلة . . شخصية قائمة بذاتها . . شخصية تخلق الحديدي ولا تكتفي بتزويد القديم . . إنه لا يريد أن يقدم نفسه للجمهور إلا كشخصية فنية جديدة ، شخصية الصوت . وشخصية اللحن . . وشخصية الأداء . . يجب أن يبدأ بشخصية جديدة بأغنية لم يسمع الناس مثلها من قبل . .

ولكن الجديد ، يتطلب مدحاً جديداً . . وشاعراً جديداً . . إنه لا يستطيع أن يلحظ إلى أي ملحن ويطلب منه أن يلحن له . . فهو غير معروف ، ولا يستطيع أن يدفع ثمن اللحن ، وصوته قد لا يكفي لدفع أي ملحن إلى أن يقدم له بحثاً مجانياً . . وعبد الوهاب إنه حلم صلاح . . إن عبد الوهاب بالنسبة له هو القمة التي لا يستطيع أن يصل إليها أو على الأقل لا يستطيع أن يصل إليها وهو لا يزال واقفاً في القاع . . إنه يخشى وهو في القاع ألا يصل صوته إلى القمة . يرتعش ويخاف أن يرفضه عبد الوهاب .

وبدأ ذكاء صلاح يعمل . . إنه حديد . . جيل جديد مجهول من الناس ومن محطات الإذاعة وشركات الأسطوانات ورعاة التليفزيون . فإذا أراد أن يبدأ فيجب أن يبدأ معه كل الجيل الفني الجديد . . إنه يقدم نفسه وهو مجهول . . ويجب أن يكون الملحن أيضاً مجهولاً . . وكاتب الأغنية . . وموزع الموسيقى والموسيقيون . يجب أن يكونوا كلهم مجهولين يجب أن يقدم نفسه من داخل الجيل الحديدي . وبدأ صلاح وأنا معه نعيش بين مجموعة من الفنانين المشاهير المحبوبين .

مصهم من طلبة المعهد . وبعضهم من هواة . . وبدناً كنا نعمل بصح أعباء جديدة . . فتأجديداً . . كل ما فيه جديد ، قد ننحج كلنا أو نفشل كلنا . قد نحج الجيل الجديد أو يفشل الجيل الجديد . . كنا نعيش أيامها كأننا نخطط لانقلاب للاستيلاء على مقاليد الحكم الفني والتهينا من وضع أول أغنية تمثل الجيل لصي الجديد . كنا فيها مشترك في التلحين وفي الأداء وفي الغناء . . كنا نعيش كأننا في مصخرة فية ولكن كيف تقدم هذه الأغنية للناس . لا طريق إلا الإذاعة . . ولكن

مستحيل أن نقلنا للإذاعة

وبدناً كلنا نعيش اعتماداً على ذكاء صلاح . . وقد استغرق ذكاء صلاح عاماً كاملاً استطاع خلاله أن يكتسب صداقة الأستاذ عباس حمدي الذي اعتبر إحدى الشخصيات القوية في مركز قيادة الإذاعة . . وأعجب عباس صلاح كمتنا . . أعجب به فعلاً . . وأعجب بالأغنية الجديدة واللحن الجديد . . حد أن أعلن لثورة على الروتين لتجند للإذاعة الذي يحرم دخول الجيل الحديدي .

وأذيعت الأغنية . . لأول مرة . .

وسمعا الجمهور في عشر دقائق . . وكنا قد قصينا في إعدادها عامين ، آخرهما أسبوعاً لم ننه حللها أسباً . قصيناها كلها بعد وترجع . . وعيد وراجع إلى أن تم التسجيل في الإذاعة .

فرحتنا الكبرى . . بنجحت الأغنية . .

وكل الأسماء التي أذيعت معها ، كانت أسماء جديدة . . صلاح . . والملحن

رأفت التوتى . . والشاعر أحمد حلمى . . أما اسمى فهو لا يذاع . .

ولكن النجاح الأول لا يمكن الاعتماد عليه . . إنه أشبه بصدمة لأحد ينتظرها . .  
ولا يمكن أن نحقق حمهوراً ثابتاً . . خصوصاً إذا كانت الأغنية قد أدبت فجأة  
وبلا دعابة تجذب الناس لها .  
تترى كم واحدا سمعها . .

وأذكر أنى عدت ليلتها مع صلاح إلى البيت ، وقال لى وهو منطلق فى  
خياله كأنه يبحث به عن المستقبل :

- لسه بلىرى يا عمر . .

وليلتها دخل صلاح الحمام ، وكنت فى غرقى واعتقدت أنه دخل يفسل  
وجهه . . ثم ذهبت إليه داخل الحمام . . وفوجئت به وقد أمسك القوطة وهو  
يمسح بها حوض الحمام والقوطة ملطخة بالدم . . وخطوط من الدم لا تزال  
معلقة داخل الحوض . . ودعرت :

- ما هذا الدم يا صلاح . .

وأجابنى صلاح وهو يحاول أن يعلق ابتسامة بين شفتيه :

- لا شىء . . بسيطة . . إن دى ثقيل وأحاول أن أحصمه . .  
وصرخت :

- هل هى المرة الأولى التى تنزف فيها دمك من فمك . .

وأجاب وهو لا يزال يحاول أن يبتسم :

- المرة الأولى . . وبإذن الله الأخيرة . .

وأخذته إلى فراشه ، وأنا ساخط أصرخ فى وجهه وأصمم على استدعاء  
طبيب . . ولكنه يرفض . . إنه يهدد بالكذب على الطبيب لو استدعيت . .

وهو مؤمن بأن لا شىء قد حدث له . . إنه لم يتم طوال أسبوعين ، وقد أسرف فى وضع  
الشفطة داخل الساندويتش . . وهذا هو كل السبب . .

ونام . .

وبدأت ألاحظ لأول مرة الخطوط التى ترسم على وجهه عندما تنتابه  
الأزمة . .

خطوط تظل عالقة تحت عييه حتى وهو نائم . .



وفي صباح اليوم التالي دق جرس الباب . . وفتحت . .  
إنها فاطمة . .

وفرحت بها كأنى وجدت الدواء الوحيد الذى يمكن أن ينقذ صلاح .  
وأحسبها فى الصلابة ، وجريت إلى صلاح وهو لا يزال راقداً متعباً من أثر  
الأزمة . وما كاد يعرف أنها فاطمة . . الفتاة التى يبحث عنها منذ خمس سنوات . .  
حتى قفز من الفراش وألقى على وجهه قطرات من الماء . وأدخل يده فى قميصه  
وبنظلوله . . وجرى إليها . . إلى فاطمة وهو يهيمس كأنه يهين نفسه .

- الأغنية تبحث . . مادامت قد جاءت لى بفاطمة فقد تبحث . .

وكان هذا صحيحاً ، لقد سمعت فاطمة الأغنية فى الإداعة . . وقالت له إنها  
عرفته من صوته لا من اسمه رغم أنها لم تسمعه إلا مرة واحدة فى سوق سيدى برانى  
ومنذ خمس سنوات . . واتصلت بالإداعة وعرفت عنوانه وجاءت . . وقد حاولت  
من قبل أن تتصل به فلم تستطع . . مرت سنوات حتى استطاعت أن تعود مرة  
أخرى إلى دمشق ، وسألت عنه هناك ، ولم تجده .

ورأيت صلاح يومها كما لم أراه منذ زمان طويل . إن صحكنه منطقة صادقة  
ليس فيها هذا التعمد الذى يضعه دائماً كأنه واقف دائماً أمام آلة تصوير . .  
والحطوط التى تركتها الأزمة تحت عينيه احتفت بسرعة . وهما يتذكرا الأعيان  
التي غناها معاً فى المولد . ثم يعنى لها أغنيته الجديدة وتغنيها معه . . إن صوتها  
فيه شيء . . إنها يمكن أن تصبح شيئاً جديداً . . كبيراً . .

وأصبحت فاطمة فى حياة صلاح . . لا . . أقصد إن صلاح أصبح فى حياة  
فاطمة . . أما حياته فأتى لم أكن أعتقد أنه يمكن أن تكون فيها فاطمة  
أو أى إنسان آخر . . لقد أعطته فاطمة قوة جديدة . . قوة الزهو بالنفس  
قوة العز . . ولكن كل هذه القوة لم يكن يعطيها لأحد إلا لغته . . أنانية الفنان . .  
وقد بدأ صلاح فى إعداد الأعيان التالية . . ويقضى كل أيامه مع مه ، وفاطمة  
لا تجد طريقاً إليه إلا أن تجرى وراءه . . وهى لا تعصب . . به يعطى نفسه لشيء .  
تجبه . . لغته . . وهى راضية ، فرحة به . . وتحملة كأنها هى التى تفتنى . .  
وكانت تفتنى فعلاً . . كانت فى الأوقات التى يبقى فيها صلاح فى البيت وتأتى  
إليه ، تفتنى معه . . وتعيد كل ألحان البروفات التى كان يؤديها وهى جالسة  
تسمعه . . وفى يوم قلت لصلاح :

- إن فاطمة صوت جديد . . إنها تستحق أن تكون مطربة . . لنحاول  
أن نقدمها لأصدقائنا . . ونظر إلى صلاح فى دهشة كأنى قد نسيت . . وقال .  
- أنتظر إلى أن أنتهى من بناء نفسي أولاً . .

ورفض صلاح أن يقدم فاطمة إلى عالم الماء . . أنانية الفنان . . وربما لم  
يكن يريد أن يكرر طبيعة الصراع الفنى الذى كان قائماً بين عبد الوهاب وأم كلثوم .  
كان يخاف أن يعانى هذا الصراع ويحلّق أم كلثوم أخرى . من يدري ربما كانت  
فاطمة تستطيع أن تكون شيئاً جديداً بالنسبة لأم كلثوم ، كما أصبح صلاح  
شيئاً جديداً بالنسبة لعبد الوهاب . ولكن المهم أن فاطمة نفسها لا تريد أن  
تكون أم كلثوم . . لا تريد أن تحترف الفن وتعلن نفسها أمام الجمهور كمطربة  
يكفيها صلاح . . إنها تجد فيه كل ما تحلم به لنفسها . .

وكان صلاح قد اكتشف بعد الأغنية الأولى أن المصاح لا يتم إلا بمجدب الناس

إلى العمل الفنى . . إن كل شيء يحتاج إلى قوة جذب حتى الأغنية الناجحة . .  
 وقوة الجذب الكبرى هى الصحافة . . إن الرعاء السياسيين يعتمدون على الصحافة  
 كقوة لجذب الناس . . لا يكتفى أن الزعيم يلقى خطاباً ويجذب الجمهور دون  
 أن تقوم الصحافة بمهمة وضع الجمهور أمامه . . والشيكولاتة لا يأكلها الناس  
 إلا إذا جذبتهم إعلانات الصحف إلى شرائها وأكلها . . وكذلك الفنان الذى يواجه  
 الجمهور . . وبدأ صلاح يركز ذكاه على الاتصال بالصحفيين حتى يجذبوا  
 الناس إلى أغانيه الحديدة . . صفار الصحفيين وكبار الصحفيين . . وأذكر  
 أن صلاح أقتنع أحد صفار الصحفيين بأن يقدمه إلى أحد كبار الصحفيين . .  
 وصحب الصحفي الصغير صلاح إلى الصحفي الكبير وطلب منه أن يستمع إليه  
 ولم يكن قد سمعه فى أغنيته الأولى ، وقال الصحفي الكبير :

- اعمل معروف . . لا تجربه فى . . دعه يجرب نفسه فى غيرى . .

ولم تنقضى شهور حتى أصبح هذا الصحفي الكبير من أقرب أصدقاء  
 صلاح . . إن صلاح لا يأس أبداً من الاستيلاء على صداقة من يريد صداقتهم . .  
 وبدأ اسم صلاح يلمع فى الصحف . . ولم يكن يكتفى حتى يلمع اسمه أن  
 يكون صديقاً للصحفيين بل يجب أن يكون قد نجح فى اجتذاب الجمهور ،  
 حتى تضطر الصحف إلى ترديد اسمه . . أى يصح نجاحه أقوى من أن تتجاهله  
 الصحف . . ولكن الصحف بدأت تعرف قصة الحب بينه وبين فاطمة . .  
 وبدأ صلاح يفتى قصة حبه . . لقد طلب من فاطمة ألا تكون معه أثناء البروفات  
 وطلب منها ألا تظهر معه فى مكان عام . . وكان عندما يدعى إلى حفل خاص  
 ويجدها هناك يتعمد أن يبدو أقل اهتماماً بها . . بل يعتمد تجاهلها . . وقلت  
 له يوماً :

- إنك تقسو عليها بهذا التجاهل .

وقال وهو يشهد بحسرة :

- إلى أقسو على نفسى . . إن مسئوليتى عن شئ تأخذ منى أكثر مما أطيع . .

إن المغنى الذى يعنى للحب يرسم أمام المستمع صورة من الخيال وهذا المستمع  
 يتصور أن الفنان نفسه هو هذه الصورة . . كالتقارئ الذى يقرأ قصة حب ،  
 إنه يتخيل أن الكاتب نفسه هو بطل هذه القصة ويعيش معه فيها ، وقد تكون  
 القارئة فتاة يأخذها خيالها إلى أنه تتصور نفسها بطله وأنها هى التى يحبها كاتب  
 القصة . . وكذلك المطرب . . إلى عندما أغنى الحب أرفع المستمع إلى الحب  
 إلى الخيال . . ولو عرف الناس قصة فاطمة فكل مستمع سيتصور أى أغنى  
 لفاطمة وحدها فينهار خيال المستمع . . يفقد الخيال متعته لأنه ينقلب إلى  
 واقع قصتى مع فاطمة . . أما محكوم على حتى أحتبط بخيال المستمع والمستمعين  
 بأن أشر كل فتاة بأنى أغنى لها حتى ولو كنت فى الواقع أغنى لفاطمة .

محكوم على أن أحنى حتى داخل قلبى وتحت ثيائى حتى لا يراه الناس

وربما لم أقتنع بهذا الكلام . . ولكن فاطمة نفسها كانت مقتنعة به . . كانت  
 مقتنعة بأن الفنان ملك لكل الناس وليس ملكاً لنفسه . . فإذا اهتم يجب أن  
 يتسم لكل الناس . . وإذا أحب يجب أن يبدو كأنه يحب كل الناس . .  
 ويجب أن تبقى حياة الفنان الخاصة بعيدة عن الناس . . إنها تفكر كما يفكر  
 صلاح . . وتحس كما يحس صلاح . . بل حيل إلى أنها أصبحت تتكلم بنفس  
 أسلوب وصوت صلاح بل إنها أيضاً تقلده فى حركاته دون أن تعتمد التقليد . .  
 ربما لأنها أحبته حتى جعلته قطعة منها من عقلها ومن شخصيتها . . وربما لأن  
 النجاح السريع الذى حققه صلاح يجعل كل من يطمع فى النجاح يتأثر به . .

وفاطمة لا شك تطمع في النجاح . . وإن كنت لم تحدد بعد ماذا تريد أن  
تصح فيه . .

ولكن الحدث الأكبر في حياة فاطمة وصلاح كان يوم عرفت بمرضه .  
كان قد مضى أكثر من عام وهو يحقق عبا الأزمات التي تتابته وتقدر بدمه من  
بين شمتيه ، ويسقط بعدها وكأنه لم يعد فيه قطرة دم ، كان يعتبرها هي أيضاً  
واحدة من الجمهور الذي يحقق عنه مرضه . . حتى لا تنهار صورته الفنية .  
صورة الشاب المرح القوي المليء بالحياة الذي يعني للحب . . كانت شخصيته  
الفنية تغلب شخصيته الأدمية ، حتى لا يريد أن يعترف بأن فاطمة يمكن أن  
تحبه كبنى آدم . . إنها تحبه فقط كفنان . . والفنان لا يمكن أن يكون مريضاً . .

وكانت فاطمة أحياناً تلمح المزال والضعف الذي يبدو على وجه صلاح  
ولكن - لأنها لم تكن تعرف أنه مريض - كانت تعتقد أن كل ما يبدو عليه هو  
نتيجة إتهالك نفسه في عمله الفني . . وأحياناً كانت تعتقد أن هذه هي طبيعة  
تكوينه الجسماني . . ولد هكذا . . ترسم فوق وجهه خطوط الضعف والمزال ،  
ويصغر قوامه في حشد رفيع قصير . . وكانت تقول له ضاحكة : -

- صلاح . . طيل عمرك ستبقى سنك سبعة عشر عاماً . . إنك تستطيع أن  
تمش في السينما أدوار الشباب المراهقين دون أن تحتاج إلى مكياج . . يا حبتى

حمد ربنا

إلى أن كانت يوماً معنا في البيت . . وكان صلاح قد استيقظ من النوم  
منهكاً عصبياً وجلس معها وهو لا يستطيع أن يستمر في حديث . . ولا يستطيع  
أن يعنى لها أو يدعها تعنى له . . ووجأة تقلصت عضلات وجهه ، واتسعت عيونه  
كأنه يختنق ، ويضع يده على صدره كأنه يحس في داخله بطلقات مدقع

مترليوز تنفجر واحدة بعد الأخرى وفمه مفتوح إلى آخره دون أن يصرح . . وصرحت  
فاطمة :

- صلاح . . ماذا حدث لك . . أجبني . . تكلم . .

ولم يتكلم صلاح . . إنه لا يستطيع . . وقام يجرى مترنحا ناحية الحمام ،  
وقبل أن يصل إليه سقط على الأرض وانفجر شلال الدم من بين شفتيه . .  
إنها الأزمة . .

ولأول مرة تراه فاطمة في أزمته . .

وساعدتني فاطمة في حمله إلى فراشه ، وهي ترتعش وتصرخ :

- الدكتور . . اطلب الدكتور . . أين الدكتور ؟ . .

ولم تكن تعرف أن صلاح كان حتى ذلك اليوم يحرم علينا استدعاء الطبيب  
حتى لا يعرف الناس خبر مرضه :

وكان شلال الدم قد توقف قبل أن تصل بصلاح إلى فراشه . . إنه شلال  
لا يستغرق سوى ثوان كطلقات مدفع المترليوز ، وطر إليها صلاح وهو عمد يلتقط  
أعماه كأنه يسترد بها الحياة ، وقال في ضعف :

- لست في حاجة إلى دكتور يا فاطمة . . أنا بخير . . الدم توقف . .

ثم اغتصب ابتهامة من بين شفتيه وعاد يقول :

- أمس وضعت على عشاءي نصف كيلو شطة على الأقل . . وهذا هو

السبب . . إنها ليست القوطه هي المجنونة كما يقول الناس . . إنها الشطة . .  
الشطة مجنونة وأنا مجنون بالشطة . .

وفاطمة نظر إليه في تعجب ، ثم انقلبت نظرتها إلى نظرة غاضبة ثائرة كأنها  
أم أخرجا أبنها عن هدوئها ، وصرخت في وجهه :



- اممع . . أنا أفهمك جيداً . . ليس هناك عاقل يرفض استدعاء الطبيب بعد أن يتقياً دمه . . إننا نستدعي الطبيب عندما نصاب بصداع أو زكام . . وأنت أفرغت دمك ، ربما كان فيك شيء عميق . . ونكبت لا تريد لطبيب لأنت لا تريد أن نتعرف بالمرض . . لا تريد أن يعرف الناس أنك مريض . . حتى أنا أخفيت عني كل هذه الأيام أنك مريض . . عترني واحدة من جمهورك . .  
 إنك لا تحبني . . وأنا مجرد إحدى المعجبات بفنك الرفيع . .  
 ورأيت صلاح يرفع رأسه كأنه يستجمع كل شيابه مدافعاً عن نفسه ،  
 ولأول مرة أسمعهم يعترف :

- فاطمة . . أنا أحبك . . عمري ما اعتبرتك واحدة من الجمهور .  
 ولكني أحفيت عنك لأني كنت أخاف على حبك من مرضي . . إنني أريد حبك كاملاً ولا أريده إشفاقاً عليّ من مرضي . .  
 وقالت فاطمة وقد استرذت هدوءها :  
 'نمت لي حبك . .

قال :

- كيف . . ما هو أكثر من أتركك ترينني في ضعفي . . في مرضي . .  
 قالت في هدوء :

- الأكثر أن تتركني تستدعي الطبيب . .

والفتحت إلى فاطمة تطلب مني أن استدعي الطبيب في التليفون ، واحتارنا هي وأنا ، في تحديد اسم الطبيب الذي نستدعيه . . ولكن صلاح هو الذي حدد اسم الطبيب . . من يدري ربما كان قد تردد على هذا الطبيب من قبل مراراً ودون أن يعلمني أو ربما كان يراجع بينه وبين نفسه أسماء الأطباء ويختار الشخص

في مثل حالته استعداداً لمثل هذا اليوم . . إن ذكائه يتسع لكل شيء . .  
 وجاء الطبيب . .

وقبل أن يصل كانت فاطمة قد أخذتني خارج العرفة وجلست معي بحجة أن تترك صلاح ليستريح وجعلتني أعترف لها بكل حالات مرض صلاح .

وكان الطبيب قد وصل بأسرع مما تتصور . . ربما لأنه اندفع وراء مرحته باستدعائه للعلاج المطرب المشهور صلاح . . وربما لأنه أحسن بإرضاء غروره بنفسه واكتساب شهرة طيبة عندما يعرف الناس أنه طبيب المطرب المشهور . . وربما لأن هذه هي طبيعته في تلبية حاجة المرضى . . + الله أعلم . . ولكنه جاء بسرعة . . والاهتمام يشمل كل ملامح وجهه ، ودخل إلى صلاح وأنا وفاطمة معه .  
 وبدأ يسأله . . وصلاح يجيب إجابات مائعة ، وهو لا يزال مصراً على الاحتفاظ بانتمائه ، كأنه الطبيب ليس سوى واحد من الجمهور .  
 وتدخلت فاطمة قائلة في حزم :

- قل كل شيء بصراحة يا صلاح . . وإذا لم تقبل فسأقول أنا . . إنني الآن أعرف كل شيء . .

ونظر إليها صلاح عاضاً ، كأنه ليس من حقها أن تتحادثه بهذه الحرارة أمام عريب . . أمام واحد من الجمهور . . ولكنه بدأ يكون أكثر صراحة في حديثه مع الطبيب

. . واستغرق الطبيب وقتاً طويلاً في الكشف على صلاح ثم كتب له مجموعة كبيرة من الأدوية تشرب وتبلع وتضمخ ، ثم قال وهو يجمع أدواته :  
 - بسيطة . . ولكن أرجوك . . لا تتحرك من الفراش إلا بعد أن أقول لك . .  
 ثم الكشف لم يتم بعد . . يجب أن نأخذ أشعة على كل جسمك . . خصوصاً الكبد

لم قال لنا الطبيب ونحن نسير به إلى باب الخروج :

- المسألة ليست سهلة . أعتقد أنه نوع من تليف في الكبد نتيجة اسهالها ريسا . .

نتح عنه فقاغات في المرئ يتجمع فيها الدم ، وتتصحم إلى أن يبقيا دمه كل ذلك مجرد استنتاج ، في انتظار الأشعة .

وما تخاذ الطبيب يخرج ونعود إلى صلاح . حتى قال :

- العود . هاتوا العود . .

وقالت فاطمة :

- عود إيه يا صلاح . الدكتور كتب لك حقنة منومة . . ويجب أن

تنام . تسريح . .

وصرخ صلاح :

- العود مش ممكن دهم وأنا عدير العود وحلاص اعترى لريارة

انتهت . . فين العود . .

وذين أن أسمع رأى فاطمة . حملت العود ووضعت بين يدي صلاح . .

إني أطمئن على صلاح والعود في أحضانه أكثر مما أطمئن عليه وهو بين يدي الطبيب .

وابصرت فاطمة خارحة وهي غاضبة .

ونقم العود بملاً البيت بلحن الأغنية الجديدة . . وصرخت من بعيد :

- مش كله يا صلاح . . غلط . . راسع الفقرة دى تانى . .

٢٩٢



.. وهكذا عشت مع صلاح . . عشت معه والأزمات التي تستنزف دمه

لا تنهى ولا تتوقف وتكاد في كل مرة تقضي عنه . ولا يندهم بها إلا أن يمارس

فته ويستمد منه قوة تعيله إلى الحياة . . حتى أصبحت أؤمن أن قوة الفن أعظم

من قوة العلم . أقوى من علم الطب والأدب . . إن اعلم بأمه بأن يبقى في فراشه

ويهدده بملوت . . والفن يأمره أن يعيش فته ، أن يعيش بين الناس . . أن يبقى

ويصحك ويعمل . . ويتنصر الفن على العلم . . ولكن تعدد الأزمات على

صلاح جعله يعيش وهو في حالة خوف دائم ونقله المخوف إلى حالة عجيبة ،

فهو لا يتألم الليل أبداً وينام النهار ، وعندما حاولت في بداية هذه الحالة أن

أحبه كبقية الناس ينام الليل ويعيش النهار . . قال لي في يأس :

- لا أستطيع . . إني أخاف الليل . . أخافه لأن كل الناس من حولي

بيام . وقد تتأني الأزمة فلا أجد من حولي أحداً ليساعدني عليها . . ولذلك يجب

أن أبقى صاحباً حتى أساعد نفسي أو أستطيع أن أوقف من يساعدني . . أما في

البار فكل من حولي في يقظة فأنا أنا مطمئناً على نفسي . . إني أخاف الليل

رغم أني أغنى الليل للناس . .

وأنا مع صلاح في خوف دائم . . أخاف عليه وهو في أزمته . . وأخاف عليه

وهو يتحدى الأزمة ويستسلم لقمة ويهرب من فراشه ليعمل . . وهكذا

فاطمة أصبحت تعيش مثل مع صلاح صلاح المريض المنهار الذي يزوف

الدم ، صلاح الفنان الجمار الذكي الأثافي الذي يستطيع أن يحصل دائماً

على كل ما يريد منه .

ولكن فاطمة بدأت تعيش حالة جديدة . . فإن نجاح صلاح حدث إليه مئات المعجيات بذت وساء يخذلن إليه منه وتخالجه . وكل منى تحول الاستيلاء عليه ، أو على الأقل تحاول تدوقه . إن النجاح يحبس من الرجل المباح شيئاً أشبه بقطعة الفاكهة البادرة التى تطعم كل امرأة فى الاستيلاء عليها أو على الأقل تدوقها . وكان صلاح يصرح بأنه قطعة من الفاكهة البادرة . ويصرح هؤلاء المعجيات . ويصرح بالتليفونات والخطابات والدعوات الخاصة . ويصرح أكثر عند تكون المعجبة من عائلة كبيرة معروفة إنه يحس معها أنه استولى على العالم كله من القمة إلى السفح . . وكنت أرى صلاح وهو مع هؤلاء المعجيات أو وهو يحادثهن فى التليفون كأنه يمثل دوراً فى فيلم سينمائى . . إنه يبدو كأنه كله حب ، وكله فن ، وكله رقة ، وحديثه المذكى يستطيع به دائماً أن يكمل الصورة التى رسمها ، حتى لا يترك وحيدة إلا وقد استسلمت لكل ما يريد . . يتركها وهى تعيش الحب . . حبه . . وكان حبه مرض صلاح قد أذيع وانتشر . . وعلى عكس ما يتصور صلاح فإن الجمهور تعلق به أكثر بعد أن عرف بمرضه . . وازداد عدد المعجيات آخريات أن الجمهور يرداد ثقة بالإنسان الضعيف المريض . وأصبحت صورة صلاح أمام الناس هى صورة الرجل المريض الذى لا يمكن أن تكون له شهوة فى إحدى النساء . . إنه مريض . . ولا يستطيع أن يستسلم لشهوة . . واطمأن إليه الرجال . . فلا يشك أحد منهم فى أنه يمكن أن تكون له علاقة بأمرأة . . بزوجة أو أمانة أو أخت . . والبنات اطمأن أكثر إلى الاتصال به . . لأن لا أحد يمكن أن يشك فى أنه يمكن أن تقوم علاقة كاملة بين أى فتاة وبه . . اكتسب سمعة البراءة كأنه واهب . . ولا يمكن أن يكون إعجاب امرأة به أكثر

من إعجاب بالفن . .

وبدأت فاطمة تجتاز مرحلة حائرة . إنها تحبه . . تحبه قبل أن تكون قطعة من الفاكهة البادرة . وهى تحب على حدها من هاتيك المعجيات . وهى تعلم أن صلاح ليس مجرد فنان . . إنه رجل كبقية الرجال . . ومرضه ليس له علاقة برحولته . . وأحياناً كانت تشتد به العيرة وتندأ فى نقاشه والصراخ فى وجهه . . فبرد عليها وهو يحتضنها بين ذراعيه . .

- لا تكفى مجنونة يا فاطمة . . هذا شغل . . الشغل عايز كده . . أنا مضطر . . وكما أنى لست ملك بنفسى . . لا أستطيع أن أكون ملكك لوحده . . أنا ملك الناس . . وإذا كنت بتحصينى صحيح لا تحرمى الناس منى . . ولا تحرمينى من الناس . .

وكانت تقول ودموعها تلمع فى عينيها :

- أنا خايبة عليك يا صلاح . . وخائفة على نفسى . . خائفة أن تضيع منى . .

ماذا يطمشنى

ويقول وصوته ينبض بحبه :

- يطمشك أن ليس بينين واحدة تعرفى . . كلهن يعرفن صوق بس . . ليس بينين واحدة تعرف شكلى عندما تنتابنى الأربة . . ولا بانترق وناحناق باقول به . . ولا ياكل على راسى ياكل إيه وياكل أزاى . . ليس بينين واحدة تعرف صلاح الإنسان وكلهن لا يعرفن إلا صلاح الفنان . . وإنتى عارفه إلى فنان وانت لوحده الى بتشوفينى كإنسان . .

وكانت فاطمة تقتنع . . وتحمل المعجيات . . بل إنها أحياناً وهى معنا فى البيت كانت ترد على التليفون وتلتقى مكالمات المعجيات . . ثم تعطى السماعة

لصلاح ونجلس بجانبه وهي تسمعه يمثل دور راهب الحب . وعندما كانت تسألها المجبة لتي تتلقى بكلماتها عن من هي كانت ترد أنا أخته . وأحياناً ترد . أنا الشغالة يا سقى .

وبهذا كان أكثر ما يطمئن فاطمة في حيرتها أنها كانت مقتنعة بأنها وحدها لتي لها الحق في ريادة صلاح في بيته . كل البنات يحدثن في التليفون ويقاسن في المحفلات الخاصة أو لعامة ، هي وحدها التي تدخل البيت .

وكانت فاطمة تحب دائماً تحيرى في شخصيتها . وتحيرى في كل حياتها فهي كصلاح أيضاً لا تتحدث كثيراً عن نفسها ولا تتكلم إلا بقية ذكائها . كما لا تعرف شيئاً كثيراً عن عائلتها ولا عن حياتها العائلية . كل ما كان تعرفه أنها تعيش مع أبيها الموظف بوزارة الداخلية ، مع زوجة أبيها ، بعد أن توفيت أمي . وسعياً كما تعرف عنوان بيتها وعرة التليفون ولا أكثر . وكنا نعرف أنها طلبة في الجامعة كلية الاقتصاد والسياسة . ولكنها كانت أعجب الأيام معنا . وكنا نسألها لماذا لم تذهب إلى الجامعة ، فتقول ضاحكة . زومت . أو تقول في قرف :

ما ليشى نفس للجامعة . أنا دخلت الجامعة بس علشان أخرج من البيت .

وكان الشيء الوحيد الذي تتمسك به هو أن تعود إلى بيتها في الساعة السادسة حتى تتفادى ثورة زوجها أبيها . لم ترها أيضاً بالليل .

إلى أن دخلت نهال في حياة صلاح .



. . كانت نهال من أجمل فتيات المجتمع الراقي . . كانت ابنة رجل حفيد عائلة السلاوى ، واستطاع أن يستمر في الاحتفاظ بمستوى ثرائه ومكانته الاجتماعية . وربما كان في حياة نهال ما جعلها دائماً هادئة هديرأ أقرب إلى الحزن ، صامته دائماً كأنها مكتنبة بأن تعيش في خيالها . والهدوء والصفاء يعانها بالطبيعة الحلوة . . ويحتفظان لجمالها بهرة . . ليست مثيرة أقرب إلى صورة من صور الملائكة أو صورة مريم العذراء . . وربما كان ما في حياتها هو ما أدى بها إلى التعلق بصوت صلاح وأغاني صلاح . هو ما جعلها تتعلق به منذ اليوم الأول الذي التقت به فيه خلال حفلة عائلية خاصة .

وبهر صلاح بها كما لم يهر من قبل . . بهر بجمالها . . وبهر باسم عائنتها الكبير . . وبهر بهدونها . . وبهر بصحتها هل أحبا . . ؟ لا أدري . .

ولكن كل أيامه أصبحت « نهال » . . إنه يتمتع عينيه ليحدثها في التليفون ويحدد مصيره يومه كله بعد أن يحدد مصيره معها في هذا اليوم . متى يلقاها . . وحتى تحدثه في التليفون وبعد ذلك كل شيء . . حتى أنه أصبح يأتي بعد تحديد مصيره مع نهال . . وهي . . نهال .

قطماً أحته . .

إنها تعطيه من اهتمامها ومن الملهفة إليه أكثر ما تعطى فناة لا يدفعها سوى الإعجاب بفته . . وبدأت قصة نهال وصلاح تنتشر في المجتمع ، ثم . . نشرت في لصحف . . ولم يعترض صلاح على نشر القصة في الصحف وقد كان يستطيع تصدقته لكل رجال الصحافة أن يمع نشرها ولكنه لم يفعل . ربما لأنها قصة يتباهى بها وترضى غروره ، أو ربما لأنه قدر أنها قصة ترفعه في أعين المعجبين لأن نهال يبين شيء غال أمين .

ولم تكن فاطمة قد عرفت شيئاً عن قصة نهال . . وكان صلاح لا يزال مرتبطاً بها . . وإن كان قد أصبح يحتج بأعماله ومواعيده حتى يقلل من زيارتها له واتصاله بها . . إلى أن قرأت ما نشر في الصحف . .

وحاءت إلى البيت وأنفاسها مبهورة . . وبلا موعده . . ولم يكن صلاح في البيت فانتظرته وتأنى إلى ما بعد الساعة السادسة فبقيت في انتظاره . إلى أن جاء في الساعة التاسعة يبدل ثيابه استعداداً لحمل كان يقيمه في تلك الليلة ، ووحى بها . إنه لم يتعود أبداً أن يرى فاطمة بعد الساعة السادسة وقالت له في هدوء :

إيه الحكاية الجديدة دي يا صلاح .

قال وجهمه ترتعش فوق عييه .

- حكاية إيه ؟

قالت وهي لا تزال تبتسم :

- حكاية اللي اسمها نهال .

وقال وهو يلوى شفتيه ساخراً :

- زى بقية الحكايات . .

قالت :

- بس أنت بتقول لي على كل الحكايات ، ودي ما قنليش عليها

قال :

- ما اتكترتش . . وماجتش مناسبة . .

قالت :

- واشمعي الحكاية دي اللي انتشرت في الصحف . .

قال :

- أنا عارف . . يمكن عشان من عيلة معروفة .

قالت :

- بس أنت كنت تقدر تقول لهم ما ينشروهاش .

قال وقد بدأ يفقد أعصابه :

- أنت فاكراي عايش في الجرايد علشان أعرف إيه اللي ينتشر وإيه اللي ما يتشترش . ما احنا حكايتنا اتنشرت ، قبل ما أطلب أنها ما تتشترش .

قالت :

- وحكايتها زى حكايتي

وصرخ صلاح :

فاطمة ما تحبش . إذا كنت بتقول بتحبي بقي حبيبي زى ما أنا

ما فيش فائدة انا تعيريني . وما فيش فائدة اناك تحاسبيني .

قالت وهي تكاد تبكي :

الحب يعني أطعمش على حبك . وأنا مش مطمنة

قال كأنه قرعان :

- أطلنك إزاي ؟

ونظر إليها طويلاً إلى أن هدأت ثورته ، ثم ارتفعت إلى شعته ابتسامة هادئة كأنه استرد كل حبه لفاطمة ، وقال وهو يقترب إليها ليأخذها بين ذراعيه :

- عايزه تطننى ، ، بوسينى ، ،

وتركهما ليكملان بقية قبلتهما . .

وفي اليوم لندى كنت أنا الذى اتصلت بفاطمة بالتليفون لأعشش عبيد أن تأخرت في العودة إلى بيتها إلى ما بعد التاسعة ، ولم ترد على التليفون رد صوت عيب كلماته كقطع الحجارة تنق في وحيى لعلها زوجة أبيه . وانصلت مرة ثانية ، ولم ترد فاطمة بضاً وفي آخر النهار . هي التي نصلت لتقول لي ٣٠ تشجرت مع زوجة أبيه بسبب تأخرها وتركنت البيت ، وهي تقف الآن عند إحدى صديقاتها ، وعندما أحست بالزعاجي عليها ، قالت ضاحكة :

ما بهمش . مش دى أو مرة . كلها كام يوم وأرجع البيت تانى

وصلاح مستمر في علاقته مع ٣٠ . وضح ييلو معها في المجتمعات ، بل ربما كان يعتمد الظهور معها ، إلى أن بدأت صورتها تظهر بجانب صورته في الصحف . .

وفاطمة تحتمل . بل تحتمل أيضاً ترب صلاح منها ، وتواعدت الأيام التي أصبحت تنقه فيها . إلى أن أصابته الأزمة يوماً ، وما كاد تزييف الدم يتوقف حتى صرخ :

- فين فاطمة . دور على فاطمة .

وفي هذا اليوم ، وهو لا يزال راقداً في فراشه عقب الأزمة ، انصلت هال

التليفون وأشار إلى من بعيد لأقول لها به حرج . بيتا كانت فاطمة قد جاءت لتحنس بجانب فراشه . فراشه المريض .

ومرت الأزمة .

وعاد صلاح يقف . . ويثير ضجة حول حكايته مع نهال . . ويتحقق حبه لفاطمة . .

ولم أكن أعرف أن نهال مخطوبة إلا بعد أن قرأت خبر فسخ خطبتها في الصحف

وأعقب نشر خبر فسخ الحطة إشاعات ملأت البلد كلها حول قرب زواج صلاح ، وكنت أنا أول من سأل صلاح .

هل ستزوحها ؟

وأجاب ضاحكاً :

- مش ممكن . ما فيش واحدة ترضى بيثا احنا الاثنين انا واثت . كل حاجة عملناها من يوم ما تولدنا عملناها احنا الاثنين . . فاكز . . اللعب اللى لعبناه في البلد . . والكتاب والمدرسة . . والباي . . والكمنجة . . والمزيكة . . والفن . . والحلوى . . والشيع . . والضحك . . والبكاء . . كله احنا الاثنين إلا الجواز هو ده اللى ما تقدرش عليه احنا الاثنين . .

وضحكت دون أن أفهم شيئاً من نيات صلاح ونهال

وحاءت فاطمة .

حاجات نائرة على غير عاداتها . . لا تحاول أن تعتمد على ذكائها . . ولا تحاول أن تقتل المدهود ولا النفاق . . وحاءت في الساعة الثامنة صباحاً حتى تتأكد من أن صلاح لن يهرب منها بعد أن يقوم من النوم . . وما إن فتح عينيه حتى ألقت

عليه صراخها وربما قل أن تقول له صباح الخير .

- أنت حاتجوز الى اسمها نهال .

وانتفض من فوق وسادته كأنه يتلقى كارثة وقال :

- لا . .

وقالت له في سرعة . .

- خلاص . . ما دام مش حاتجوزها . . الجواز .

وصرخ :

- إيه الكلام اللي بتقوله ده . . من إيش بتكلمى عن الجواز . .

وارتفع صراخها على صراخه :

- من يوم ما شفتك وأنا باتكلم عن الجواز . . وأنت صامتى كويس

وما بتردش . . وكنت ناوية أعيش وأنا باحلم بالجواز . . حلم . . أحلم وبس . .

واستحملت كل حاجة علشان أفضل عايشة فى حلمى . . استحملت يوم

ما خبثنى عن الناس . . وفضلت تحبى لعاية دلوقت مش عايز حد يعرف بيتى

وبينك إيه . . واستحملت أنك متعنى عن أنى أتعلم العربى ، كنت عارفة إنك

بتفكر فى نفسك أكثر ما بتفكر فى . . استحملت اللي بتقول عليهم معصيات .

ودلوقت حضرتك رايح حاي مع واحدة تاية وساب الناس والحرديد تنكلم وأنت

ساكت ومبسط وآحر حاجة إنهم يقولوا أنك حاتجوز . . حتى لو كانت إشاعة . .

ليه الإشاعة ما تكوش على أنا . . تعرف ليه . . لأناك مستعز منى . . مش مالية

عنيك . . بتحبني فى السر وبس . . وعين عارف بتحبني ولا ما بتحبنيش . . .

وصرخ صلاح :

- أنت المحبى . . أنت مش فاطمة . . مش فاطمة اللي بحبا . . فاطمة

قدرت تفهم إى فتاك . . وقدوت تعرف إنى ما الجوزتش إلا غوة حديدة وإلا لحما  
جديداً . . .

وقاطعته صارخة :

- كهاية حكاية الفن بأه . . الفنان مش هو الإنسان اللي يودى غيره فى  
داهية .

وصرخ صلاح :

- أنا ما وديش غيرى فى داهية . . أنا بودى نفسى . . وأنا ما طلبتش منك

حاجة . . ما كذبتش عليك . . وما وعدتش وما عملتش بوعدى . . أنت اللي

راضية بي . . مش أنا اللي غاصب عليك . .

وقالت :

- وأنا دلوقتى مش راضية . . حاتعمل إيه ؟

قل :

- أنت عايزه إيه ؟

قالت :

- عايزه أنك تتجوزنى . . وإذا ما الجوزتش حللى الناس تنكلم عنى . .  
أنا . . .

وقاطعها :

- ما اقدرش . . مش ممكن . . وإذا ما كانش عاجبك ميبينى . . ابعدى  
عنى . .

وصرخت :

- للدرجة دى . . للدرجة دى يا صلاح .

ثم رقت أباحورة الإضاءة من جانب فراشه وألقنها على الأرض ، ثم أخذت تحطم كل ما تصل إليه يداها في الغرفة وهي تصرخ :

- أنا أحسن منك ومنها ميت مرة . . أنا إلى عملته لك ما قيش واحدة تعمله لواحد أنا مجنونة . . أنا مجنونة . .

وأمسكت بها حتى لا تحطم باقي الغرفة . . وأنا أحاول أن أهدئها ، ولكنها تفصلت من بين يدي ، واطبقت تجري خارج البيت . .

وقفز صلاح من فوق فراشه يحاول أن يمسك بها . . ولكنها كانت قد خرجت وصمقت الباب وراءها بعنف كأنها تصفع البيت كله . . وعاد صلاح إلى فراشه صامتاً وعلى وجهه آثار معاناة عاطفية عميقة . . إنه يحبها . . إني إلى اليوم مقتنع بأن الحب الوحيد في حياة صلاح هو فاطمة . . كل السنين اللاتي مررن به كن أشبه بالحنان الاجتماعية بوجهها المجتمع . . حتى نهال . . ولكن فاطمة كانت حياته الخاصة . . حبه الذي يضعه بعيداً عن عمله وعن مطهر الفنان وعن المظاهر والإشاعات الاجتماعية . . وقد بقى في فراشه صامتاً ثم مد يده إلى التليفون وطلب فاطمة . . ليست هي التي ترد . . وبعد قليل حاولت أنا أن أتصل بها في التليفون . . ولم ترد . . ثم عاد صلاح وحاول الاتصال بها بالتليفون . . ولم ترد وقال لي وكلماته ترتعش بين شفتيه :

- أنا لازم أطمئن عليها . . لتكون عملت في نفسها حاجة . . قوم تروح ها في البيت .



كان من المستحيل أن نذهب أنا وصلاح لزيارة فاطمة في بيتها إن أهدأ سيطر دوماً فقطاً معزولاً يراد صلاح وقد يعتدون علينا بالصرب فهم يعتقدون أن صلاح هو الذي جنى على مستقبل فاطمة ذلك فصلاح يصبر ، ثم رضى أخيراً أن أذهب أنا وحدي إلى هناك

وقلت له :

ونكي لا أعرف أحداً من أهلي

قال :

- ولو . . إعمل نفسك زميلها في الجامعة . . ولا أي حاجة .

وقررت أن أذهب إلى بيتها بعد الساعة السادسة حتى أناكد من أنها عادت إليه كعادتها إذا كانت قد قصت اليوم في الخارج .

وصعقت على جرس الباب . . وفتح لي رجل مكعبر الوجه ، لاشك أنه والدها . . وقت له إني زميل فاطمة في الجامعة وإني جئت إليها بكراسة المحاضرات كما طلبت مني . . وصرخ الأب في وجهي .

- اعدوا عن فاطمة بأه . . كفاية إلى عملته هب عود من وشي .

وصمق الباب في وجهي . .

وعدت إلى صلاح . . وكان يتحدث في التليفون . . يتحدث إلى نهال

ولأول مرة أراه وهو يبذل جهداً كبيراً حتى يحتفظ بهدوته وهو يتحدث إلى نهال .

وأهوى الكلمة بسرعة ، وهو يسألني بلهمة :



- لقيتها ؟ -

ورويت له كل ما حدث .. وصلاح يرداد عصبية ، وهو يردد .. دى مجنونة .. أنا عارف أنها مجنونة .. وبدأ يستعد للسهرة التي أقيمت يومها وهو فى عصبية بل إنه قبل رفع الستار بدقائق غير برنامج الحفل ، ووضع أغنية لم تكن فى البرنامج مكان أغنية أخرى مما أحر رفع الستار حوالى نصف ساعة حتى يعبد الموسيقيون جميع أوراق اللحن الآخر ويستعد كل منهم .. وعنى صلاح .. وأحسست يومها لأول مرة أنه يعنى لفاطمة وحدها .. يناذرها من بعيد .. ويرجوها ألا تتركه وحده .

وانتهى الحفل فى حوالى الثالثة صباحا .. ودعها لتناول العشاء فى الكافيتريا وصلاح لا يتحدث عن الحفل .. ولا يحاسب نفسه أو يحاسب الموسيقيين كما حدثه .. ثم بعد ذلك خرجت وأنا بحاجه فى السيارة بأنه يسألنى عن مكان بيت فاطمة ، ثم يقود السيارة إلى هناك ويوقفها بحيث يستطيع أن يراقب باب البيت وقال فى إصرار كأنه لا يقبل المناقشة .

- أنا متأكد أنها بإيته فى بيتها .. والصبح حانزل تروح الجامعة أو أى حته .. ستناها لعاية منزل .

وكانت الساعة الخامسة .

ولم أناقش صلاح ، إلى أعرف جنونه ..

ونمت فى السيارة وهو لا ينام .

وأصبحت الساعة الثامنة .. والتاسعة .. والعاشره .. والناس تمر وتنظر إلى صلاح فى دهشة .. وبعضهم يقف ويحييه .. وهو يدعى لكل من يسأله أنه فى انتظار أحد أصدقائه ولم يخرج فاطمة من باب البيت .

وعاد صلاح إلى بيتنا وهو منهار ، أخاف عليه أن تدمره الأزمة .. ولكن الأزمة لم تدمه ، ويسو أن الحب كالس أقوى من المرض . وقضى يومه وهو يحاول أن ينام ، ثم يقوم يطوف أنحاء البيت فى خطوات عصبية كأنه يبحث فيه عن فاطمة ، ثم يعود ويحاول أن ينام ..

وفى اليوم التالى دق جرس التليفون ، وكانت فتاة تريد أن تحدث صلاح وهمت أن أعترض لأن صلاح لم يكن فى حالة يستطيع فيها الكلام ولكنها أسرعت وقالت إنها صديقة فاطمة فأعطيت التليفون لصلاح وقالت له الفتاة إنها رائة أمس فى سيارته فى انتظار فاطمة ، وكل سكان الحي رأوه ، وكلهم يعرفون حكايته مع فاطمة .. وهى تريد أن تبليه أن فاطمة نقلت هذا الصباح إلى المستشفى . مستشفى المقطم . وأنها تلتفه دون أن تتأذن فاطمة فى إبلاعه وعندما سألها صلاح وهو يرتعش عن صحة فاطمة ، أجابت :

- دى تعبانه .. تعبانه قوى يا أستاذ .. كلنا بندعى لها .

وأصبح صلاح كأنه محبوس .

ويبحث عن مستشفى المقطم ..

إنه مستشفى للأمراض العصبية .

وسألت عنها فى التلفون .. وقال لى عامل التليفون إنها ليست فى خطر ، وطلبت أن أتحدث إلى الطبيب المختص وقال لى أيضاً إنها ليست فى خطر ، ولكنها فى حاجة إلى علاج بعيد أعصابها إلى طبيعتها وصوى أكثر من أسبوع استطاع صلاح خلاله أن يتعرف بطبيب المستشفى ، وأن يتفق معه كل يوم تقريراً عن صحة فاطمة ، إلى أن اتفق معه على أنه يسهل له ريارتها فى وقت لا يكون أهلها معها .. لم يقل للطبيب عن قصة حبه لها ، ولكنه قال إنها معجبة قديمة

تحدث أن تعبر عن إعجابها دائماً وهو لا يعرف أحداً من أهلها ، ولذلك يريد أن يراها وحدها . .

وذمبت معه إلى المستشفى

وكان لقاء عجباً .

إن فاطمة قد استعادت كل أعصابها تماماً . . ولكنها تغيرت . . إنها لا تحدث صلاح بنفس اللهفة ، ولا بنفس اللهجة . . وهي تبدو دائماً كأنها تفكر في شيء بعيد . . ورغم الكلام الكثير الذي قاله صلاح يؤكد لها حبه . . وارتباطه بها العمر كله ، حتى بلا زواج وحتى لو تزوجت غيره فإن حباها هو الذي يعينه على فنه وعلى مرضه . . ورغم كل هذا الكلام فإن فاطمة كانت تنفقه بابتسامة شاكرة دون أن يبدو عليها أنها أصبحت تتأثر بهذا الكلام . .

وخرجنا من المستشفى وصلاح حائر مثل في الشخصية الجديدة التي رأى بها فاطمة . .

خرجنا وقد اطمأننا أن فاطمة ستترك المستشفى بعد أيام .

كل ذلك وقصة صلاح ونهال مستمرة . وإشاعة زواجهما تنبع . . وبدأت الصحف تشير إلى دور ن يحاور صلاح أن يتدخل بسبب الإشاعة أو يسكت الصحف . . لقد كان في حاجة إلى نهال . . إنها أعطته مجتمعاً كان طول عمره يريد أن يصل إليه . . مجتمع القمم . . ومظاهر وتقاليده وفخامة حياة القمم . . وكانت نهال تبدو أحياناً كأنها تلقنه دروساً في تقاليد حياة هذا المجتمع ، بل إنها بدأت تعلمه للتعين لفرنسية والإنجليزية ، وقد تعمد أن يحيد اللعنين حتى أنه لم يكف نهال فاتفق مع أساتذة يعطونه دروساً خصوصية في البيت .

والإشاعة أصبحت أكبر من أن تعيش العمر كله كإشاعة . . ونهال تعاني

سخطاً من عائلتها ومن خطيبتها السابق لعود إليه . وأصبح صلاح مصصاً أن واجه نفس المشكلة ، مشكلة الزواج . . وهو يعرف عائلتها ويعرف أنها عاتبه لا تحب كثيراً بزواجه من ابنتها ولكنه يستطيع رغم ذلك أن يتزوجها حتى و اضطر أن يهرب بها . . ولكن هل يتزوج صلاح ؟ لا . . إنه لا يريد . لا يستطيع . . إنه ليس منكناً لنفسه إنه ملك لله . . ملك الناس كلهم . . ولا أدري هل استطاع أن يفتح نهال بكلامه أو أنها اضطرت للاستسلام لما يريد حتى تحفظ بكرامتها وتقاليدها وتعاليمها .

وقلت أن تعود إلى خطيبتها الأولى تحت ضغط عائلتها ، وقلت لصلاح :

- إننا لا نستطيع أن نتزوج ونحن نعيش الحبه . . وأنا مصطرة أن أعيش

لزوج بلا حب

وقال صلاح بذلكاته الذي لا يعجز أبداً عن المطلق الذي يبرر به تصرفاته :

- إن الزواج هو الواقع ، والحب أقوى من الواقع . . وأنت وأنا مضطران أن نستسلم للواقع ، ونحتمله لأننا لا نفقد الحب أبداً

وقد عارضته أنا كثيراً . . كنت أريده أن يتزوج نهال عادم لن يتزوج فاطمة . . قلت له إن عبد الوهاب عاش عمره القوي ولا يزال يعيشه وهو متزوج ، دون أن يفقد الجمهور ولا هبة المحبات ، وكان يقول لي

- عبد الوهاب من حبل لم يكن فيه الزوج يستولى على الرجل كله . . وعبد الوهاب لا يعاني ما أعانيه من آزمات . . وعبد الوهاب أساذي في كل شيء حتى في فن الحياة ولا أستطيع أن أرتفع إلى مستوى أساذي

وتزوجت نهال

وصلاح هو الذى أحيا حفل الزواج . . وكنت أحسن به وهو يفتى كأنه هو الذى يملك ثمال وهو الذى تنزل عنها فى سبيل إسعادها . . كان يتصرف كأنه صاحب البيت وكأنه صاحب الفصل . . وربما كان هذا هو الإحساس الذى كانت تحسه به نفسها . فحتى بعد لزواج ظلت على علاقتها بصلاح تدعوه إلى بيتها وتسال عنه . وتطمئن عليه وتحنه . . . . .

وخرجت فاطمة من المستشفى . . ولم تعلم بخروجها إلا عن طريق الطبيب ولم تتصل بصلاح بعد خروجها ، وفوجئنا بأحد أصدقائنا من أفراد الفرقة الموسيقية يبلغنا بأنها ذهبت إلى نادى الفرقة وكانت تعرف كل أفرادها عن طريق صلاح ، وأنها بقيت هناك وقتاً طويلاً . وأنها عبت لم تمر كمحترفة ولكنها غت وسط أفراد الفرقة وهي تصفح معهم . . وقال صديقنا . . والله صوتها مش بظال . وجمد صلاح لهذا التطور الذى حدث فى حياة فاطمة ، إنها لم تعد حريصة على أن ترصيه بامتيازها عن الجو الفنى وخصوصاً عن أصدقائه بل إنها كل يوم أصبحت مع صديق من هؤلاء الأصدقاء . . واستطعت أخيراً أن أحدها ولتأبأ أنها لم تحاول لقاء صلاح . . وقالت فى بساطة :

— هو عايز يشوفنى . . خلاص أشوفه . .

وحادت إلى البيت . . ولكنها حادت إنسانة أخرى . . جلست تنكد كأنها إحدى المعجبات وتهرب من أى حديث يدهه صلاح عن الحب والفرح حتى عندما هم بتقبلها أعطته قلبها فى برود كأنها تحاول أن ترصيه أو كأنه زبون من زبائن القبل . . وعندما ثار صلاح وبدأ يصرخ فى وجهها ويستعمل لأول مرة ألفاظاً جارحة تخدشها ردت عليه بهدوء

— اسمع يا صلاح . . أنا لسه بحبك ويمكن أفصل أحبك عمري كله . أنا أقورت أنى أحك زى ما انت تحبى تمام . . أنت متحط منك وتستغلك . . ويعدين الحب وأنا كنت بحط الحب الأول حتى لو ضحيت بنفى يستبلى . . إنما خلاص حتى زيك ، قى ومستقبل الأول . أنا فانة يا صلاح وأنت عارف إنى كللى فى . . وأحب أقولك إنى سببت الجامعة وبقيت فى معهد لىاليه . . اخترت الباليه علشان أنا عارفة أنت مش عمارنى أنسى مش عاير فى أنا وأنت فى من واحد . وأنا مش عابراك نصحى بحاجة إنما عابراك تعمى من النصحية . . خلاص أنا نعت من النصحية واستمر النقاش والجدال بينهما كأنه لن ينتهى أبداً .

وأصبحت العلاقة بين صلاح وفاطمة علاقة غريبة . . لم تشهدا أى قصة حب . . إن كلا منهما يبدو كأنه يحاف الآخر ، ويعارب الآخر ، ويجادل الآخر ثم مفاجأة يلتقيان فى ساعدت حب عنيفة . يلتصق فيها كل منهما بالآخر كأنه لن يتركه أبداً ، ثم يعودان إلى الخوف والحرب والحادة . . وقد جد على صلاح أنه أصبح يغار على فاطمة . إنها أصبحت تعيش فى الوسط الفنى كله . وبدأت الإشاعات تلاحقها عن علاقات ييب وبين هذا أو ذاك ، وبين صلاح إلى حد أن يتخذ مواقف قاسية من هذا أو ذاك . . قامت إشاعة قوية عن علاقة بين فاطمة وعازف العيتار ، فما كان من صلاح إلا أن عزل عازف العيتار من لفرقة واستبدل به آخر . . أما فاطمة فكانت قد تموت على الفيرة منذ عرفت صلاح . . لم يعد يؤثر فيها استمرار صداقته بهال ولا زيادة عدد المعجبات . .

ولكن حب فاطمة كان يعود كما كان تماماً إذ أصيب صلاح بالآزمة لتي تقذف بطفقات الدم من فمه . . كانت لا تسمع بالآزمة حتى تترك كل ما هى

فيه ويجرى إليه لتجلس بجانبه على حافة فراشه . . وتبقى معه إلى أن تطمئن عليه . .  
تبقى معه مهما كلفها بقاؤها من تضحية بالفض والمستقبل اللذين تسعى إليهما . .  
وربما كانت فاطمة هي أول من اكتشف أن أقوى علاج لصلاح في أزمته  
هو فنيه . . كانت بعد أن يتوقف الزيف ويستريح في فراشه تطلب منه أن يغنى . .  
وكانت أحياناً تثيره حتى يغنى قائلة :

- صلاح . . سمعني الغنوة الجديدة . . فيها حته مش عجباي

أو أحياناً كانت تبدأ هي في الغناء ، حتى تأخذها إلى الإحساس بالتحدى  
فيغنى معها أو يسكتها ليغنى وحده . . ولا يكاد صلاح يبدأ في الغناء حتى يبدو  
كأنه يسترد حياته . .

ومرت شهور ، وأقام معهد الباليه حفلته السنوية ، وإذا بفاطمة تبدو في  
العرض متميزة عن كل الطالبات بل إنها استطاعت خلال هذه الشهور أن  
تكتسب ثقة وحج أساتذة المعهد بنفس أسلوب صلاح في اكتساب من يحتاج  
إليه ، فوضع أساتذة المعهد عرضاً في البرنامج تبدو فيه فاطمة وحدها وهي ترقص  
وتغنى أيضاً . .

وآثارت فاطمة إعجاب من شاهدها وبدأت الصحف تتحدث عنها . .  
بدأت فاطمة تعيش بين الأضواء . . وقبل أن تتم دراستها في المعهد التحقت بفرقة  
الرقص الشعبي وأصبحت تقدم شيئاً جديداً . . رقصات باليه كلاسيك ، مع أغان  
شعبية . . تغنى وهي ترقص . .  
وأصبحت فاطمة نجمة . .

كل ما كان يضعفها في نظري أنها استعرت تقلد صلاح في كل شيء . .  
في حركاته وفي أسلوبه . . وفي تصرفاته وتفكيره . . ربما لم تكن تتعمد تقليده

ولكنها كانت متأثرة به إلى حد أن سيطرت شخصيته عليها ، وأصبحت تؤمن  
بأن طريق النجاح إلا طريق هذه الشخصية . . حتى لو كانت تقدم فناً يختلف  
عن فن صلاح . .

وكنت كثيراً ما ألح على صلاح أن يضم فاطمة إليه في عمل واحد . . حفلة  
غنائية . . فيلم سينمائي . . مسرحية . . ولكنه كان يرفض . . وكان يقول في  
سخرة مرة :

- عايزنى أنزل لمستواها . . ولا ترفعها لمستوى . . والناس بعد ما يشوفونا  
حابتكلموا عنها ولا غنى . .

وكنت أقول له إن الناس لا تتكلم عن صلاح ولا عن فاطمة . . ولكن تتحدث  
عن العمل الفني وإذا ضمها إليه في عمل واحد فإنه سيقدم عملاً فنياً ضخماً  
يثير ضجة ويخلق مستوى فنياً جديداً ، وعبد الوهاب عمل مع أم كلثوم فقدما  
قفزة فنية جديدة وارتفع عبد الوهاب وارتفعت أم كلثوم ولم يتأثر أحدهما بمستوى  
الآخر . . وكان يرد على قائلاً :

- عبد الوهاب ما اشتغلش مع أم كلثوم إلا بعد ما يطل يغنى للناس . .  
اشتغل معاها من غير ما يواجه الناس وهي جنبه . . ما ظهرش معاها على مسرح  
ولا في فيلم ولا في أغنية واحدة . . مش ممكن اتنين يغنوا مع بعض حتى لو كانوا  
راجل وست . . وما يقرش بيغنوا يقوا يقولوا منولوجات . . وأنا مش عايز أبقي  
منولوجت ياسى عمر . .

وفاطمة تنطلق في آفاق النجاح . . أصبحت شخصية فنية قائمة بذاتها . .  
إنها ترقص رقصات الباليه وهي تغنى وبدأ الناس يقارنون بينها وبين صلاح ،  
كما كانوا يقارنون بين عبد الوهاب وأم كلثوم . . وانقسم الشعب إلى حزب صلاح

وحزب فاطمة ، كما كان منقسماً إلى حزب عبد الوهاب وحزب أم كلثوم . .  
وقد بدأت فاطمة تحرص على إخفاء أى علاقة لها بصلاح ، كما كان يحرص  
هو من إيمان على إخفاء علاقته بها . . ترفض أن تظهر معه فى مكان عام ،  
وترفض أن تلتقط لها صورة معه ، وأحاديثها عنه التى تنشرها الصحف أحاديث  
باردة . . وأحاديثه عنها أبرد . . ويرغم ذلك فالعلاقة بينهما مستمرة بأسلوب جديد . .  
إنى فى فترات متباعدة أفاجأهما فى البيت يستردان كل حلالة قصة الحب  
الأولى ، وأحياناً أيضاً كنت أكتشف أن صلاح قضى الليل فى بيتها بعد أن انفصلت  
عن عائلتها وأصبحت تقيم وحدها . . والناس لا تعرف شيئاً . .  
وإذا ما أصيب صلاح بأزمته جاءت فاطمة بسرعة . . وعادت الفتاة  
الصغيرة التى تضحى بكل شئ من أجل حبها وجلست بجانب فراشه . . حتى  
لو عرف الناس وكنت أنظر إليهما وأنا اتساءل : كيف استتبتى هذه القصة . . قصة  
أعجب حب بين رجل وامرأة . . لا . . إنهما ليسا رجلاً وامرأة . . إنهما فتان وفتانة .



هذه هى قصة حياة صلاح . . أو قصة ما عشته مع صلاح . . وقد عشت  
معه العمر كله إلى أن حدثت إصابته بالأزمة قبل أن يغادر المسرح . . ثم حدثت  
مرة أخرى وبعد أسبوع واحد عندما أقام حفل بناء بيت الطلبة . . ويومها قرر  
الأطباء أنه يجب أن يسافر إلى لندن ليتم علاجه هناك . . وحدد له بسرعة موعد  
مع الطبيب الإنجليزي . . وسافرت معه إلى هناك . . إلى لندن . .  
ووضع الأطباء الإنجليزي مرض صلاح فى صورة أخطر مما وضعها أطباء مصر . .  
وبعد أيام طويلة قضاه صلاح وكل أدوات الكشف الطبى الحديثة مسلطة عليه  
تقرر إجراء عملية جراحية عاجلة له . .  
ولم أفهم تفاصيل العملية ، وربما لم أهتم بفهمها ، يكفى أنها عملية جراحية ،  
وأول عملية يتعرض لها صلاح . . وقضى صلاح بعد إجراء العملية خمسة عشر  
يوماً وهو غائب عن الوعي ، وكلما أفاق ، حققوه ليعود إلى غيبوبته . .  
ودخلت إليه مرة وهو راقد على فراشه فى المستشفى وإذا فى أجنده يغنى . .  
صوت ضعيف متناثر ، ولكنه يغنى به . .

وقلت له :

- ما تجهدش نفسك يا صلاح . . مش وقت الفنا . .

وقال وكأنه ييكنى :

- أنا حاسس أنى حاموت ، وعابز أموت وأنا باغنى . .

وكنت دموى حتى لا أبكى معه ، ولا أغنى معه . . أغنية الموت . .

والحمد لله . . بعد أيام بدأ صلاح يسترد حالته التي تعود عليها . . حالته بعد أن انتهى الأزمة . . يقضى ويعمل وهو في فراشه . . وفي مرة ذهبت إليه وفاجأني قائلا :  
 طلع الناي .

وكان يعلم أني أحفظ دائما في جيبي بصفارة صغيرة أتسلى بالعزف عليها عندما أجد نفسي وحيدا . . وأخرجت الناي من جيبي . . وبدأت أعزف عليه ، وصلاح يقضى . . وإذا بالمرصعات يلغفن حولنا معجبات ضاحكات ، بل كثير من المرضى الذين تسمح لهم حالتهم بمغادرة الفراش وبينهم كثير من العرب ، جاءوا إلى غرفة صلاح ليستمعوا إليه .

وبدأ صلاح يقضى مرات كثيرة في المستشفى خصوصا بعد أن سمح له الأطباء بمغادرة الفراش كان يطوف على المرضى ويقضى لهم ، وهو مريض بينهم . . وكان يمكن أن يغامر صلاح كهافته ويغادر المستشفى قبل أن يسمح له الأطباء ، ولكنه كان لا يزال في خوف وحرج أمام الأطباء الإنجليز .

وفي يوم قال لي صلاح :

- إيه رأيك . . تعال نقضى ناي بالإنجليزية . . علشان يفهمونا . .

وبدأ صلاح يقضى أغنية إنجليزية كانت شائعة . . ولكنه كهافته . . كان ضموها عبيدا . . هاما . . كان يريد أن يقضى أغنية بالإنجليزية له وحده . . أغنية جديدة هو الذي يقدمها . . وبدأ يسأل عن أسماء وعناوين الموسيقيين الإنجليز معيا لستف معهم على تلحين أغنية له .

ولكن قبل أن يبدأ في صناعة الأغنية الإنجليزية سمح له الأطباء بمغادرة المستشفى على أن يعود إليهم بعد ستة شهور ، لاستكمال العملية التي أجريت له .

وفي الطريق إلى مصر قال لي صلاح :

- اسمع . . أنا وحدي . . وعازب أغنى بالإنجليزية . . طيب له كمان ما يكونش ملحن مصري بلحن للإنجليز . .

ومند وصل صلاح إلى مصر وهو يعمل مع الملحنين على إخراج أغنية بالإنجليزية . والواقع أن صلاح كان بعد هذه العملية أقوى وأبعد وأتم صحة مما كان قبل العملية . . واستطاع أن يقدم ثلاث أغنيات جديدة في أقل من شهرين ، وأن يقيم عددا من الحفلات لا يقل عن حفلة كل أسبوع ، كأنه كان يريد أن يطمئن الناس على صحته .

وقاطعة فرحة به . . ونقضى فرحتها وحبا . . وتلقاه سرا . . هذه اللقاءات المتعاقبة التي قد تتباعد أكثر من شهر وشهرين . . إلى أن عدنا إلى لندن . .

ومرت الأيام الأولى بعد العملية . . والأطباء يجتازون به حافة الموت إلى أن استطاع أن يعود إلى حالة مقاومة الموت بالنفن . . وبدأ يقضى . . ثم أرسل يستدعي ثلاثة من الموسيقيين . . عازف الجيتار ، وعازف الكمان ، وعازف الطبلية ، وقدم أغنيته الإنجليزية في المستشفى . .

ولا تتصور فرحة المرصعات والمرضى بالأغنية . .

لقد تمحنت داخل المستشفى إلى حد أن كتبت الصحف الإنجليزية عن صلاح وأغنيته . . بل تقدم أحد المتعهدين الإنجليز بعرض إقامة حفل عام يقضى فيه صلاح بالعربي للمقيمين العرب في لندن ، ويقضى بالإنجليزية للشعب الإنجليزي . .

وكان صلاح قد تعود على الأطباء الإنجليز ، فأصبح يتقاد لتهوره ، أو يتقاد

لفته دون أن يستأذنيهم . . فكان يخرج من المستشفى بلا إذن . . ويعود دون أن يقول متى يعود ، وفي مرة شكرته للطبيب ، وقال لي في اطمئنان :

- هناك شيء في الإنسان لم يصل إليه العلم بعد . . شيء أقوى من العلم . . إن صلاح يعرف مرضه جيداً ، وهو قطعاً لا يريد أن ينتحر . . فإذا كانت في داخله دوافع أقوى من المرض فيجب أن تتركه لها . . من يدرى ربما كانت هذه الدوافع هي سر استمراره في الحياة . . ربما كان تحسكه بفته أقوى من كل ما تسلهه الحياة . . فلنستسلم للأقوى . . وأصبحت هذه هي حياتنا . .

نقضى نصف السنة في مصر . . ونصفها الآخر في لندن مع الأطباء الإنجليز . . وصلاح لا يريد أبداً أن يستسلم حتى يشق تماماً . . بمجرد أن يتحرك يعود إلى فته . . وأقام حفلات عامة في لندن نجحت نجاحاً ضخماً ، وأصبحت أغانيه بالإنجليزية تذاق في الإذاعة الإنجليزية كما تذاق أغانيه في القسم العربي . . وكان يتفق على إقامة هذه الحفلات وهو راقد في فراشه وفي المستشفى . . إنه دائماً مطمئن إلى أن فته أقوى من مرضه . . وكان يخرج من المستشفى ليقيم الحفل رغم تحذير الأطباء . . بل كان أحياناً يخرج من المستشفى ويأخذني من يدي وأجد نفسي في طائرة تطير بنا إلى المغرب أو إلى لبنان أو إلى الكويت لنقيم حفلاً هناك . . ثم يعود إلى المستشفى . .

وفي مرة ظهرت في صحة صلاح عناصر جديدة خطيرة ، وتقرر أن يذهب للعلاج في فرنسا بدلاً من لندن . . وانتشرت الإشاعة إلى أنه أصبح في حالة ميثوس منها . . كل الناس في انتظار الخبر المفزع . . وأنا منهم . . وكنا في مستشفى باريس عندما فوجئت بفاطمة تدخل علينا . .

كانت قد تعودت أن لا تجلس بجانب فراش صلاح وهو يعالج في الخارج ولكن هذه المرة لم تستطع أن تقاوم الإشاعات ، وجاءت لتجلس بجانبه . . أصبح الحب بجانبه . .

وساعده الحب حتى خرج من مرحلة الموت ، وبدأ يستعين بقوة الفن للتغلب على الموت . . وانتصر الفن . . وعاد يقى . . وأقام حفلاً غنائياً في مسرح باريس لأول مرة تشترك فاطمة معه . . لقد ظهرت أمام الجمهور في باريس ورقصت وغنت . . ثم ظهر صلاح وغنى وحده . . غنى بالعربية . . وبالفرنسية أيضاً . . ثم ظهر الاثنان معا وألقيا أغنية مشتركة . .

كان هذا هو أكبر تطور في قصة صلاح وفاطمة . . انتصر الحب حتى جمعهما في عمل واحد وإن كان لم يجمعهما في زواج . . ولا أعتقد أنه سيجمعهما في زواج أبداً . . وحتى في باريس رأيت نهال تجلس بين جمهور المتفرجين . . وهكذا نعيش . .

نعيش في فرحة نجاح فتي . . وفي خوف دائم من الموت . . والنجاح والموت يتصارعان داخل جسد يعيش على الألم . . كيف تنتهي . .

لا أدري . . لا أحد يدرى . . الله وحده . . رب الفن ورب العلم . .

تمت